

روائع المسرح العالمي

٣١

## سُرُّ القلوب المحطمة

تأليف جورج برنارد شو

ترجمة محمود سامي أحمد

مراجعة الدكتور شكري محمد عياد

تقديم دريغس فريشة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي  
المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والنشر



## جورج برنرد شو

أحسب أن الانسان اذا كلف بتلخيص دائرة المعارف البريطانية في مقال واحد جامع مانع كان ذلك أهون عليه من الكتابة عن جورج برنرد شو في مثل هذا المقال .. ذلك أن الكاتب عن شو يكون حيال رجل جبل شامخ صعب المرتقى .. لا يدرى أى سبيل من سبله الكثيرة المتلوية المتعددة يمكن أن تصعد به الى قمة هذا الجبل .. بل الى منتصف القمة من أول السفح ، دون أن يضطر الى العودة من حيث بدأ كي يلتس سبيلا أخرى لا يدرى الى أين تنتهى هي أيضا .

لقد ظل شو ثلاثة أرباع قرن من الزمان يكتب وينقد ويحاضر ويؤلف ويسخر ويتهمك ويثرثر ويفرض شخصيته وآراءه على الدنيا كلها وليس على العالم الانجليزي وحده ، ويرغم كل حامل فلم في أركان الدنيا السبعة — ان صح أن للدنيا سبعة أركان فقط — على التحدث معه ومناقشة آرائه والتبشير بها مرة ومعارضتها مرات .. وكانت مناقشة هذه الآراء تخرج كثيرا الى حدود الشقشقة التي تتعب السر ..

لكنها مع ذلك تلك الشقشقة التي تستقر منها أشياء .. وأشياء كثيرة في أفهان القراء أو المتفرجين أو السامعين فلا تبرح هذه الأذهان أبدا .. بل هي لا تنفك تفعل فعلها فيها حتى تخلق من أصحابها أناسا آخرين وعقليات جديدة .. وهذه ظاهرة لم تتم على يد كاتب قط قبل شو .. ولا نستثنى من الكتاب أحدا حتى فولتير أوجيته .

على أننا نريد مع ذلك أن نضع المفتاح الذهبي لحياة شو في يد القارئ ، حتى قبل أن نتحدث بشيء عن تلك الحياة الحافلة الختبة المكافحة التي لم يمل فيها صاحبها لحظة واحدة من الكتابة أو المناقشة أو التأليف أو المشاركة الإيجابية في توجيه الفنون والآداب والفلسفة وجميع فروع المعرفة ، وطبعها بطابعه الساخر الجبار . أما ذلك المفتاح الذهبي فيتلخص في أن شو كان طوال عمره كله « ناقدا » .. كان ناقدا في كل شيء ، وفي جميع مجالات الفكر .. ولم يكن في الخمسين من المسرحيات التي كتبها ، أو القصص التافهة التي ألفها في صدر شبابه ، أو في الكتب الاشتراكية أو السياسية التي أصدرها ، أو في مقدمات تمثيلياته التي كان يصول فيها ويجول حتى يخرج عن موضوعات تلك التمثيليات .. لم يكن شو في ذلك كله الا « ناقدا » .. ناقدا ان لم يجد ما ينقده ، وما أندر ما كان

يمجز عن ايجاد ما يتقده ، خلق أفكارا جديدة وراح يرحم بها وجه العالم أجمع ، ثم شرع يناقشها ويخلق لها المتشابهات والأضداد ، ويشغل بها أذهان الناس حتى يفرقوا في غمرتها ، وحتى تصبح لهم مشغلة تلهيهم حتى عن أنفسهم لأنهم كثيرا ما كانوا يرون فيها أفكارهم ووسوسات صدورهم .

فلنذكر دائما اذن أن شو كان طوال عمره « ناقدًا » .. وأنه كان ناقدًا لا يمل من النقد ولا يتعب من الكتابة .. وأنه لكثرة ما كان يضطرب به ذهنه من الأفكار .. ولما رأى أن الكتابة باليد لا تسعفه في تدوين تلك الآراء استعمل من يسايلها عليها – وكانت له سكرتيرة لهذا السبب ، ثم استعمل الآلة الكتابة .. فلما رآها شيئًا بطيئًا أيضًا ، وأنها لا تسعفه في تدوين تلك الأفكار كلها استغنى عنها ولجأ الى الاختزال ! ولعله لو أنسأ الله في عمره كان يلجأ الى الاختزال الذرى .

وعبقرية شو وان كانت من نسيج آخر غير النسيج الذي صنعت منه عبقرية شيكسبير لا تكاد تختلف عنها ، من حيث أن الذي صنعها هو الكفاح وشيء من الكدح التماسا للرزق . فلقد ولد شو سنة ١٨٥٦ بمدينة دبلن ( عاصمة أيرلندا ) من أبوين متوسطي الحال . فأبود جورج كار شو G. Carr Shaw كان موظفًا بسيطًا بالمحاكم ولا يكاد يقوم بعمل يستحق عليه

الراتب الضئيل الذي يتقاضاه ؛ وأمه لوسندا اليزابث ( جرلى Gurly ) شو فنانة فاضلة اضطرت لفساكة ما يتقاضاه زوجها الى التكبب بالفناء والانشاد واعطاء الدروس الخصوصية فيها وفي مبادئ الموسيقى أيضا ، ومن هنا شب ابنها شو على تمسك ذلك كله ، وتبريزه في تحصيل فنون الفناء والموسيقى ، وغرامه الشديد بالموسيقى الكلاسية بوجه خاص . حتى أهله ذلك لأن يكون من أبرز النقاد الموسيقيين فيما بعد . أما شو فلم يتلق الا قدرا ضئيلا من التعليم فيما يشبه المدارس الابتدائية بنظامها القديم عندنا .. وذلك في بعض مدارس دبلن ؛ وقد اضطر الى التماس الرزق في سن مبكرة ، لما كان عليه أبواه من رقة الحال وقلة المورد ، فعمل شبه كاتب عند أحد سماسة الأراضي براتب لا يزيد على ثمانية عشر شلنا — أى اثنين وسبعين قرشا — في الشهر ؛ ثم عمل صرافا حينما بلغ السادسة عشرة . وعندما بلغ من العمر عشرين عاما ، وكان راتبه قد ارتفع الى سبعة جنيهات في الشهر — أو أربعة وثمانين جنيها في السنة — فر بجلده من دبلن ليستقر نهائيا ، وطول حياته ، في لندن .. مهاجرا في سبيل حياة أفضل .. لكن هذه الحياة الأفضل تلكأت وتسكمت فاضطر الى الالتحاق بوظيفة حقيرة في شركة أديسون للتليفونات حيث ظل فيها بضعة أشهر كان

لا ينفك يتحسس فيها طريقته الى عالم الأدب .. وكان شو  
نهما الى القراءة .. لم يكد يبلغ العشرين حتى كان يحفظ  
جميع مسرحيات شيكسبير عن ظهر قلب ، وكان كأنما يعرف  
جميع شخصيات هذه المسرحيات معرفة القريب ، و النسيب  
أو الرجل الذي عاشها واختلط بها وتكلمها وشرب معها كما  
يقول هو . ولا سيما الشخصيات الهزيلة منها .. شخصيات  
الخدم والوصفاء والوصيفات والإشرار الذين تدفعهم الظروف  
انى أن يكونوا شرارا .

وظل شو فى لندن يقاسى مرارة الحرمان تسع سنوات تبعا  
لم يكن يكسب فيها الا مالا يكاد يذكر .. بل يقال انه لم يكسب  
ملوؤها من ثمرات قلمه الا ستة جنيهات عن صيغة اعلان عن  
أحد الاختراعات فى ميدان الأدوية ، وعن مجموعة من النظم  
كانت باكورة انتاجه فى ميدان الشعر فى عهد الصبى ، وكانت  
والدته لهذا السبب تمده من دبلن بمعونة مالية تعينه بها على  
حياته .. أعنى بلواه ..

وبين عامى ١٨٧٩ — ١٨٨٤ كتب شو خمس قصص كادت  
تجر الافلاس على نشرها .. والمعجب أن ناشرا حديثا دفع لشو  
على اعادة نشرها .. وكان ذلك بعد الطبعة الأولى بثلاثين عاما  
تقريبا — مبلغا من المال لى كان شو ربحه عن الطبعة الأولى

تغيرت حياته .. ولكن كيف كان هذا التغير قمينا بأذ يكون ..  
فلا أحد يدري .. ولعلنا كنا خسرنا في شو الكاتب المسرحي  
الفضل .. ولعله كان انقطع لكتابة القصة .. وعلى كل حال ..  
فليس في الامكان أبدع مما كان ، كما نقول نحن العرب :  
على أنه استطاع في هذه الفترة أيضا أن يخاطب رجالات  
الفكر الانجليز وأن يبرز بينهم بوصفه محدثا لبقا ومحاضرا  
فذا .. ولما تأسست الجمعية الفابية Fabian Society — وهي  
جمعية الاشتراكيين المعتدلين — انضم اليها وأصبح من أبرز  
أعضائها ، وكانت الجمعية تدعو الى تحرير الأراضي والصناعات  
الكبيرة من سيطرة الملاك والرأسماليين الفرديين ووضعها في  
خدمة المجتمع . واسم الجمعية مشتق من كوينتوس فايوس  
Quintus Fabius ( ٢٧٥ — ٢٠٣ ق . م ) القائد الروماني  
الذي كان يلقب بلقب كُنكاتور Cunctator ، والذي اتصر  
على هانيبال بحنكته وبعد نظره وليس بالقهر والغلب ؛ ومن  
ثمة نسبة الفابية الاشتراكية التي تسعى لتحقيق أهدافها بالاقتناع  
وبالوسائل السلمية ، وليس بالعنف أو حد السلاح .  
وقد كانت صداقته لأعضاء الجمعية الفابية نقطة تحول  
في حياته .. فلقد درس الاشتراكية دراسة عميقة وجعلها دينه  
وديدنه .. وحسبك أن تعرف أنه أصبح صديقا لسدني وب

S. Webb ، ووليم موريس W. Morris ، ووليم آرشر W. Archer ، وادورد كارپنتر E. Carpenter ، وغيرهم من المفكرين العظماء الذين لا نبالغ اذا قلنا انهم هم الذين غيروا العقلية الانجليزية وأثذوها من سيطرة مسزجراندى .. تلك السيدة التى يرمزون بها الى جمود العصر الفكتورى وتزمته وسيطرة التقاليد العتيقة الرجعية البالية .

فسدنى وب (١٨٥٩-١٩٤٧) هو ذلك الكاتب الاقتصادى الكبير الذى ظل خمسين عاما متتالية يشر بالحركة العمالية ويطالب بانصاف العمال ورفع مستواهم المعيشى والتوسع فى تسيير الخدمات العامة لهم .. وهو منشئ الجمعية الفابية المذكورة ثم اليه يرجع الفضل فى تكوين حزب العمال فى انجلترا والكف من غلواء حزبي الأحرار والمحافظين .

ووليم موريس ( ١٨٣٤ — ١٨٩٦ ) هو ذلك الشاعر الكاتب المغمم بالفنون الرفيعة ، والذى ترتبط حياته بحياة جماعة الفنانين على سنن ما قبل رفايل ، وحياة الحركة الاشتراكية فى انجلترا . وأثر موريس فى شو أثر عميق بلا شك ، والذى يدرس مسرحيات ومقدمات شو ويكون قد قرأ قصص وأساطير موريس يدرك من فورده أن المسحة الخيالية

اللطفة التي تسحرنا في مسرحيات شو هي أثر لا شك فيه من آثار موريس .

أما وليم آرشر (١٨٥٦-١٩٢٤) فهو الصحفي الاشتراكي والمحرر الأدبي والنقاد المسرحي الكبير .. ثم هو فوق كل ذلك المترجم الذي بشر بأحسن ونقل جميع مسرحياته الى الانجليزية فاهتز بها العالم الانجليزي اهتزازا عنيفا .. ثم هو أيضا الناقد الذي نقت أنظار الانجليز الى ما كان يضطرب به المسرح الفرنسي من التجارب الجديدة في المذهب الواقعي والمذهب الطبيعي والمذهب الرمزي - وكان يحجب عالم المسرح في الدنيا كلها ، ولا سيما في أمريكا ، ليكتب عنه كتابة الذي يرى رأى العين ، وكنت مقالاته تحتل مكانها في أشهر الصحف والمجلات الانجليزية ، وقد جمعت في مجلدات ضخمة ، ولا تزال تقرأ وتدرس حتى اليوم .

وادوارد كاربنتر ( ١٨٤٤ - ١٩٢٩ ) هو الكاتب الاشتراكي الذي حمل على كاهله العبء الأكبر في الدعوة للحركة الاشتراكية في إنجلترا والأخذ بيد العمال فيها .  
فهؤلاء أربعة من الكتاب الذين أثروا بلا شك في عقلية شو .. وكانت مبادئهم الاشتراكية تجد لها صدى كبيرا في نفسه ، وكانت الحاجة التي يعيش فيها باستمرار تذكى دعوتهم

في قلبه ، ومن ثمة عاش طول حياته اشتراكيا غاليا في اشتراكيته ، بل لقد أسرف آخر الأمر فمال نحو اليسارية المتطرفة ، حتى بعد أن أصبح من أصحاب الملايين ، وبعد أن أصبح رأساليا بخيلا الى أبشع حدود البخل .

وقد توسط له صديقه وليم آرشر فأصبح ناقدًا للكتب وعارضا لها في صحيفة اليول مول غازيت Pall Mall Gazette ثم ناقدًا للفنون في صحيفة العالم The World ، وكان مؤهله لهذا العمل الأخير كثرة تردده في أيام طفولته على المعرض القومي بمدينة دبلن . ثم اتسعت دائرة عمله الصحفي بعد ذلك ، فكان ناقدًا موسيقيا لصحيفة ستار Star من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٨٩٠ وكان ينشر فصوله فيها باسم مستعار هو كورنودى باستو Corno di Bassetto ثم انتقل بنفس الاسم ولنفس العمل في صحيفة العالم من سنة ١٨٩٠ حتى سنة ١٨٩٤ . وكانت مقالاته في النقد في هذا الميدان تعد زادا جديدا في بابها ، ووضع الأسس الفنية للنقد الموسيقى في انجلترا الحديثة ، وكان بعد بصره في الملاحظات التي يوجهها الى الموسيقيين — مؤلفين كانوا أو عازفين — تسترعى انتباههم وتوجههم توجيها كريما حسنا .. وكانوا يعجبون لهذا الناقد العالم الذي يتحرى البناء ولا يعد الى الهدم ، ويقصد

الى الأخذ بيد الموسيقى المرجو حتى يبلغ حد الكمال في عمله  
الفنى العظيم .. من أجل ذلك أقبلوا على مقالاته يدرسونها  
ويتأملون ما فيها ، وكانت المعاهد والمحافل الموسيقية نفسها  
تنتظرها وتحفتى بما فيها وتقدرها تقديرا عظيما وتعجب لهذا  
الكورنودى بأستوى .. وكانوا يحسبونه فنا ايطاليا ! — كيف  
ينطوى على كل هذا الفضل والعلم .

على أن ميدانا جديدا افتتح أمام شو ، وفي مجال فنى  
آخر .. هو مجال النقد المسرحى فى صحيفة ستر داي ريثيو  
Saturday Review التى ظل يواليها بفصوله فى هذا  
الباب من يناير سنة ١٨٩٥ حتى مايو سنة ١٨٩٨ . وقد كانت  
هذه الفصول التى يتحدث فيها شو عن التمثيليات والممثلين  
فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر مفاجأة جديدة فى فن  
النقد المسرحى .. هذا الفن الذى كان يتبارى فيه فى وقت  
واحد عاهل النقد فى ذلك العصر : وليم آرشر الذى أشرنا اليه  
آنفا ، ثم فطاحل النقد الذين سبقوه الى الميدان فى تلك الفترة  
نفسها ، أمثال ا . ب . ووكلى A.B. Walkly ، وكلمنت  
سكوت Clement Scott ، وجوزيف نيت Joseph Knight ،  
وج . ت . جرين J.T. Grein ، و س . ر . لتلوود  
S.L. Little Wood .. الخ .. ممن لا يزال فن النقد المسرحى

يفخر بأثارهم الى اليوم ومن قاموا عمود هذا الفن لنقاد المسرح الحديث يحتذونه ويمشون في ذراه . وقد جمعت فصول شو في النقد المسرحى والتي نثر معظمها في المترداى ريشيو ، وأعيد نشرها فى مجلد باسم : « مسارحنا فى التسعينات Our Theatres in the Nineties أى فى الحلقة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وهى تقرأ الآن كما كانت تقرأ قبل ستين عاما أو يزيد وكأنها كتبت لنا اليوم دون أن يكون فيها سطر واحد يعد كلاما قديما أو رأيا فطيرا أو حديثا نظريا أكل الدهر عليه وشرب . اننا نقرأها ونستمتع بما فيها من روح فكه وتيار فكرى دافق وتوجيه سديد سليم وأسلوب هو أسلوب شو الخالد الذى يسيل رقة وحلاوة وملاوة . واسع اليه مثلا وهو يكتب عن مسرحية سمبلين لشيكسبير بعد تمثيلها على مسرح اليسيوم سنة ١٨٩٦ .. ولملك تعرف أن شو الذى كان يحتفظ شيكسبير عن ظهر قلب كان يعادى شيكسبير بعد أن لمع هو ككاتب مسرحى ، بل كان يفضل نفسه عليه ولا يعده شيئا الى جانبه : يقول شو :

« تمر بالانسان أحيانا احظات لا يملك أن يسأل فيها نفسه ، وقد استولى عليه الضيق ، ونال منه اليأس ، عن السبب الذى من أجله كتبت اللعنة على مسرحنا بفرض شخصية

هذا اللص على ذلك المسرح . ذلك النشال « الخالد » الذى لا يفتأ يسطو على قصص غيره من الكتاب وأفكارهم ثم يقدمها للناس بعد أن يفرقها بما برع فيه من اطناباته البيانية الضخمة ، وسخافاتهِ وتفاهاته المتذلة التى لا حد لها .. وقدرته الفائقة على تبسيطه لأشد مشكلات الحياة تعقيدا وأدقها تداخلا الى الحد الذى تبدو به بعد ذلك مسائل عادية وأمورا عامة مما يحتدم حوله الجدل فى المنتديات التى تجمع طبقات شتى من الفنانين وأهل الفكر .. ثم فرضه آراء على الناس فرضا عجيبا غريبا .. ثم جمعه المحكم بين التفكير السديد المهيأ المروء والعقم الذهنى التام ، ثم قصوره المتتابع فى التخلص من أى جماعة يدخلها فوق منصبه حتى أشد هذه الجماعات جهلا وأقلها تنورا اللهم الا حينما يقول فى جلال ومهابة شيئا سخيفا تافها بالغا فى سخفه وتفاهته الحد الذى لا يجوز على عقل عاقل بحيث لا يستطيع مستمعوه من ذوى التفكير المحدود المتواضع أن يكفوا أنفسهم عن الدهشة من أن رجلا عظيما كهذا الرجل قد قصد حقا أن يتحدث كما تحدث جداتهم ..

« الا أننى لا أملك مع هذا الا أن أرثى أشد الرثاء لكل شخص لا يستطيع أن يقدر شيكسبير وأن يستمتع به .. وأن يقدر موهبته على سرد حكاية من الحكايات » بشرط أن يكون

بعضهم قد حكاها له أولاً ! ، وسيطرته العظمى على زمام اللغة ، ويتجلى ذلك في انتهاكه الشنيع الأخرق لتلك اللغة بقدر ما يتجلى في خوارق تعبيراته ؛ ثم فكاهته ، وبصره الفطرى بطباع شخصياته ؛ ثم ذخيره العظيمة الضخمة من ذلك النشاط المتدفق الحيوى الذى هو على ما يبدو الخلة الحقيقية المميزة الكامنة وراء ملكات الانسان العبقرى ، سواء كانت هذه الملكات ملكات طيبة أو خبيثة أو سهلاً — وبالأحرى — لا تفرق بين ما هو طيب وما هو خبيث ؛ الملكات التى تساعده على الترفيه عنا وادخال السرور على نفوسنا بهذه الطريقة المثمرة البالغة التأثير حتى لتصبح المناظر الخيانية والناس الخياليون الذين خلقهم وابتكرهم ابتكاراً مناظر أقرب الى الحقيقة وناساً أقرب الى الواقع من واقعنا الحقيقى نفسه وحياتنا الحقيقية ذاتها — على الأقل الى أن يبدأ ادراكنا لهذه الحياة الحقيقية وتملؤنا بها فى التعمق والتوقد فيما تحت سطح الأمور العامة العادية . اننى عندما كنت فى العشرين من عمري كنت أعرف كل شخصية من شخصيات شيكسبير ، من هاملت الى آبهورسون ( فى مسرحية دقة بدقة ) معرفة أشد ألفة من معرفتى مُعاصرى الأحياء .. » .

فهذا نموذج مما كان يحفل به فقد شو للموضوعات التى

ينقدها .. لقد صور لنا شيكسبير فجعله « نثالا » ينشل  
قصص الكتاب وأفكارهم .. لكنه نثال عبقرى له ذوقه الجم  
وقدرته الفائقة على حسن الاختيار والتنخل ، ثم هو بعد ذلك  
يخلو الى ما نشله فيعمل فيه ملكاته الخاصة من بعد بصره  
وخبرته بأخلاق الناس ، وحسن تصويره لدخائلهم ، وافتنانه  
في تصوير المناظر تصويرا كلاميا كان لا بد منه لمنصة المسرح  
العارية في ذلك الزمان .. ثم خلقه لشخصيات خيالية تبذ  
الشخصيات الحقيقية في قريبا من الواقع .. ثم بعد هذا كله  
سيطرته على اللغة وقلة احتفاله بضوابطها وحذقات اللغويين  
وسخافاتهم .. هذا بالاضافة الى تلك الفكاهة وذلك الظرف ،  
وتعبيراته التي كان يضربها على أم رأسها فتدخل رغم أنها  
في تعبيرات الناس وكلامهم .. ان شو يصور لنا شيكسبير في  
هذه السطور القلائل تصويرا يكاد يكون كاملا .. انه يصوره  
تصويرا موضوعيا يستطيع قارئه بعد أن يفرغ من قراءته أن  
يتخذه ميزانا يزن به ما يقرأ .. فما بالك اذا قرأ لشو مجادا كاملا  
في نقد التمثيلات والممثلين والمسارح ومن يعمل فيها من الفنانين  
في حقبة حافلة من الزمن ، كانت هي الحقبة السابقة على تفرغ  
شو نفسه للتأليف المسرحى أو شبه تفرغه لهذا التأليف .  
والظاهر أن اشتغال شو بالنقد المسرحى تلك الفترة الطويلة

من الزمن ، ثم اقتناعه بعدالة الاشتراكية ومخالطته جماعة  
الاشتراكيين الانجليز وكثرة محاضراته عن دقائق المذهب  
الاشتراكي على أسس عملية فلسفية ، واصراره على فضح  
النظم البرلمانية والرأسمالية .. فضلا عن ظهور ترجمات ابن  
الى اللغة الانجليزية ولا سيما ترجمة صديقه وصفيه وليم  
آرثر .. كل هذا شجع شو على الكتابة للمسرح .. على أن  
أكبر ما شجعه على ذلك هو انشاء ج ت : جرين J.T. Grein  
وقصر من الشركاء للمسرح الانجليزى المستقل أو الى :  
Independent Theater في مدينة لندن سنة ١٨٩١ ، وذلك على  
غرار المسرح الحر Théâtre Libre الفرنسي الذى أنشأه أندريه  
أنطوان في باريس سنة ١٨٨٧ والذى أنشأ براهم Brahm  
على غراره المسرح الحر الألماني في برلين سنة ١٨٨٩ لقد كان  
الباعث لجرين واخوانه على انشاء المسرح المستقل الانجليزى  
هو تشجيع الكتاب الناشئين على اخراج مسرحياتهم التى يحاربها  
التجار من العاملين بالمسرح ويقفون لها بالمرصاد لعلمهم بأنها  
لن تغل لهم ربحا ذا بال ، ان لم تجر عليهم الخسارة المادية ،  
فضلا عن اثارها للرأى العام الذى كان يتأدب بأداب  
المسزجراندى رمز التزمت فى العصر الفكتورى كما أشرنا الى  
هذا ، والذى كان يتنكر للدعوة الاشتراكية التى كانت تنادى

بها الجمعية الفابية في أقدر مجتمع رأسمالى استعمارى عرفه التاريخ . وقرأ بعض ما جاء فى خطاب كنبه شو الى جرين فى هذا الصدد بمناسبة اصدار جرين لمجلد من مقالاته فى النقد سنة ١٩٢١ ، قال :

« يكاد هذا العام أن يكون ختام الأعوام الثلاثين منذ أن شمريت عن ساعد الجبد للقيام بمحاولتك المستيئة لكى تجعل المسرح الانجليزى يرتبط برابطة ما بالثقافة المعاصرة الحاضرة . وقد أوحى الينا ماتيو آرنولد بالقيام بتلك الخطوة ، بيد أن أحدا من العاملين بمسارحنا لم يلتفت قف الى ما أوحى به ، لأن أحدا من العاملين بتلك المسارح لم يكن يعرف قط من هو ماتيو آرنولد هذا ! .. وأنت حينما دفعت اليأس الى نشر اعلان بالصحف لأول مرة تعلن فيه بأن ذلك المسرح الذى لم يسمع به من قبل والذى يسمى المسرح المستقل سوف يقدم تمثيلية لم يسمع بها من قبل كذلك فى أمسية معينة من أمسيات أيام الآحاد وليلة يوم الاثنين التى تليها .. وعندما جاهرت الصحافة بعد أن مثلت المسرحية بوجوب محاكمة مدير مثل هذه الفرقة لادارته مثل هذا المسرح الثائر المتمرد المخل بالنظام ، ووجوب نفيك من البلاد أنت وهذا الشخص الأجنبى الوبش (!) المدعو ايسن الذى كان شريكك فى هذا العمل ،

وذلك بوصفكما شخصين غير مرغوب فيهما .. أنت حينما قمت بهذا العمل كنت قد فتحت ثغرة في سد الأمواج ، ثم تبعك الفيضان الخارجى بثقله ، فقام ببقية المهمة . وعندما أعلنت أنك سوف تبرز الى الضوء كنوز المسرحيات الانجليزية التى لم تسئل من قبل والتى كان يختمها مديرو المسارح فى تلك الأيام بحبسها عن التمثيل اكتشفت أنه لم يكن ثمة أية مسرحية انجليزية غير مثلة اللهم الا فصاين من تمثيلية لم يتم تأليفها بعد ( شرع المؤلف فى كتابتها منذ ثمانى سنوات ثم ألقاها جانبا ) أما هذا المؤلف فهو .. أنا ! الا أن انشاء المسرح المستقل هو الذى جعلنى أهم باتمام تلك المسرحية .. ثم تلا كل شيء من تلك النقطة .. نقطة البداية . لقد كتبت مسرحية « الأسلحة والرجل » بعد ذلك .. ثم لم تلبث مس هورنمان Miss Horniman أن أنشأت مسرحى المذخيرات The Repertory Theater فى مدينة دبلن وفى مدينة مانشستر .. كما ظهرت مسرحيتى « كانديدا » فى حفلة نهائية « ماتينيه » قدمتها فرقة جرانفيل بيكر فى مسرح الكورت .. الخ .. » .



وعلى هذه الصورة اذن دخل برنرد شو عالم المسرح

مؤلفا مسرحيا بعد أن دخله ناقدًا مسرحيا .. دخله كاتبًا مسرحيا بعد انشاء جرين لمسرحه المستقل بدعوى تشجيع المؤلفين الناشئين الذين لا يجروا أصحاب المسارح على اخراج مسرحياتهم ، فلما بحث عن هذه المسرحيات لم يجد منها شيئاً .. وكل الذى وجدته هو هذا الجزء من مسرحية « بيوت العزاب » Widowers' Houses ، والتي مثلت خطأ في محضر في موسم ( ٦٠ - ٦١ ) باسم بيوت الأراامل .. وهى لا صلة لها بالأراامل مطلقاً .. وكان شو قد كتب منها فصلين ثم تركها جانبا .. ثم عاد الى اتمامها بعد أن ألح عليه جرين فى ذلك ، على أن تكون مسرحية افتتاح فرقة المسرح المستقل.. ولما مثلت المسرحية كانت مفاجأة مستغربة لهذا الجمهور الرأسمالى القذر الذى شهد تمثيلها .. وكيف لا تكون كذلك وهى تهاجم الاستغلال الحقيقى الذى يلجأ اليه الرأسماليون المحدثو النعمة فى مراكمة أموالهم ومضاعفتها بأخيث الطرق وأسفلها .. حتى اذا احتج بعض ذوى المال على ذلك بدافع الانسانية ، ثم كادت المصلحة العامة أن تمس ثروته هو بالذات ومصدر رزقه الذى يرتزق منه عاد فتنازل عن مثله العليا .. وراح يفضى عينيه على القذى كما يفعل من احتج عليهم من الرأسماليين ، فأجاز وسائلهم ، واندفع فى تيارهم لكى يزداد ثروة ومالا .

وكان طبيعياً أن تسقط المسرحية لهذا السبب بالذات ..  
ومن ثمة قولة شو المشهورة : لقد نجحت مسرحيتي وسقط  
الجمهور .. وأى جمهور ؟ . هذا الجمهور الرأسمالى الذى  
يفرق فى أدراان الرأسمالية العفنة الى أذقانه .. ولهذا أقسم  
شو ليشحذن سكينته ، وليذبحن هذا الجمهور وليسلخنه  
سلخا ..

وكان ذلك سنة ١٨٩٢ حينما مثلت « بيوت العزاب » التى  
كان قد بدأ كتابتها سنة ١٨٨٥ ، والتى أخرجها ج . ت . جرين  
على مسرح الرويسالتى Royalty Theater ، وفى ابريل  
سنة ١٨٩٤ ظهرت مسرحيته الأسلحة والرجل فوق خشبة مسرح  
الأقنيو ويسخر فيها شو من الجندية ومن الحرب ويصور فيها  
تمسية الجندى المعجوز الذى يفضل الطعام والشوكولاتة على  
جمبة الرصاص ، كما يصور فيها حيلة بظلنا عنترة بن شداد  
فى أحسن الوسائل لبلوغ النصر .. وذلك بتنس نقط الضعف  
فى العدو وتلا فى نقط القوة فيه .

وكان شو قد كتب فى السنة السابقة — أى سنة ١٨٩٣  
مسرحيته « حرفة المسزورن Mrs. Warren's Profession »  
و « زير النساء The Philanderer » ، وموضوع المسرحية  
الأولى هو آفة البغاء وتمسيات البغايا ، وإن البغى حينما

تضطرها ظروفنا الاجتماعية الى احترام هذه اللعنة مرغمة  
تبدوها بنفس ذكية وقلب من ذهب ، فاذا أصبحت الحرفة  
عملا عاديا انقلب البغاء فأصبح عادة .. وأصبحت اللعنة لعنة  
مجتمع وليست لعنة فرد ؛ وآية ذلك تلك الأم البغي التي  
أسفقت أن تنشأ ابنتها في ذلك الماخور الوخم الذي اضطرب  
الأم الى ادارته .. فأقصت الابنة عنه وربتها أحسن تربية ..  
فلما عادت الابنة بعد اتمام دراستها وعرفت أى حرفة تحترفها  
أمها نقشتها في ذلك .. واقتنعت بوجبة نظرها .. لكنها لما طالبتها  
بالاقلاع والتوبة وجدت أن أمها لا ترى الى التوبة من سبيل ..  
لقد أصبح البغاء حرفة وعملا : أو business ، كما يقول  
الغريبون . وهنا تأسف الابنة .. وتنصرف عن أمها الى الأبد .  
وقد منعت الرقابة تمثيل هذه المسرحية ، ووافق الرأى العام  
على وجهة نظر الرقابة ، لكن شو لم ينفك يهاجم الرقابة ويهاجم  
الرأى العام حتى سح بعرض المسرحية .. ولكن الجمهور كان  
لا يزال خاضعا لروح التزمت الفكتورى .. ومن ثمة كان  
مصير المسرحية معروفا .. وكيف يقبل الجمهور المتزمت  
الرأسمالى المحافظ على مشاهدة مأساة تم تدير بضعة مواخير  
في بلاد متفرقة !! ان الموضوع وان بدا أنه مشكلة الا أنه  
لا يزال من الموضوعات الشائكة التي تنفر منها الأذواق ،  
حتى بعد تشييل المسرحية سنة ١٩٢٠ ( ! ) .

أما « زير النساء » .. وما كان أظرف أن نسميها « القلاتى ! » فيسخر فيها شو ممن يصمون الزواج بأنه عبودية ورق ، فاذا وقعوا في شرك الغرام طالبوا بأن يتزوجوا ممن يحبون .. أى بوضع أغلال الرق في أعناقهم ، حريصين على ذلك ، سعداء به . فهذا هو بطل الملهية تشار تاريس Charteris — زير النساء — تلاحقه حبيبة جديدة « جوليا كرافن J. Craven » حتى تشتد أواصر الحب بينهما ، ثم هى تأبى أن تتزوج منه لأنها تعد الزواج صفقة خاسرة تحط من كرامة المرأة ، اذ أنها تبيع نفسها بموجبا لرجل مقابل هذه الوظيفة أو الحالة الاجتماعية التى تصبغ بها « زوجة » ثم لكى تضمن أن ينفق عليها هذا الرجل فى حالة شبخوختها .. من أجل ذلك تؤثر جوليا أن تظل حرة من قيود الزواج حتى اذا أحست بوجود صيد جديد .. أى حبيب جديد .. استطاعت انتهاز الفرصة وخوض مغامرة جديدة .. لكن الحالة تنقلب .. لأنها تشعر أن تشار تاريس — زير النساء .. هو الذى شرع يجرى وراء صيد جديد .. وهى لهذا تشرع فى الحاح فى مطالبته بالزواج .. الزواج الذى يضمن لها وضع القيود لمصلحتها فى عنق حبيبها .. وفى عنقها هى أيضا ! ..

وهذه المسرحيات الثلاث : بيوت العزاب ، وحرقة المسز  
ورن ، وزير النساء ، هى التى تكون تلك المجموعة التى أطلق  
عليها شو اسم « تمثيلات غير لطيفة » .. يقصد أن موضوعاتها  
موضوعات تصدم أذواق الناس ، ولا سيما جمهور المجتمع  
الرأسمالى الاستغلالي الذى كان شو يناصبه العداء ، ومات  
وهو يحترقه ويسخر منه ويزدرية .

وكان شو قد كتب مسرحيته الأسلحة والرجل قبل ذلك .  
فلما كانت سنة ١٨٩٥ ظهرت ملهاته « كانديدا » التى يعدها  
كثيرون أحسن ملاهيه .. وهى من المسرحيات ذات العقدة  
الثلاثية .. وبالأحرى ال Triangle Plays ، أى المسرحيات  
التى تشتمل على ثلاث شخصيات منها شخصيتان تتنافسان فى  
حب شخصية ثالثة .. فكانديدا سيدة متزوجة من القس المحترم  
جيمس موريل J. Morell الذى لا يفتأ يخطب الناس  
ويعظهم ويحضهم على المحبة والخير والحق .. لكن فتى شابا  
وسيم الطلعة يقرض الشعر ويهوى الأدب ، يدعى يوجين  
مارشبانكس Eugene Marchbanks لا يكاد يخالط الأسرة  
حتى يقع فى غرام كانديدا التى تعطف عليه وترى أن تشجعه  
حتى ينبغ فى الشعر .. الا أن الغرام يشتد بالفتى الذى يأخذ  
فى احتقار الزوج القس .. وينفس عليه تمتعه بكل هذا الجمال

الذى تنعم به كانديدا .. ثم هو يرثى لمعبودة قلبه كيف يقسو عليها القدر فتزوج من رجل يسمح لها بأن تلوث أناملها الحلوة بزيت البترول وهى تشذب ذبالة المصباح ( أى شريطه ! ) .. ثم يكتشف الزوج هذه العلاقة فلا ينكرها الفتى .. ولا تنكرها كانديدا .. والمعجب أن يقترح الفتى على القس تفويض الأمر الى كانديدا لتختار أحد الرجلين .. ويقبل القس .. ولكن كانديدا تطلب منهما أن يتفاضلا .. كل بما عنده .. فإذا افتخر الزوج بقوته ، وافتخر الشاب بضعفه .. تبست كانديدا واختارت زوجها .. لأنه أضعف الرجلين وأحوجهما اليها .. انها ليست زوجة القس فقط ، بل هى أمه وأخته وصديقه .. وكل شئ، فى حياته !

وقد كانت « كانديدا » هى الحلقة الثانية — بعد « الأسلحة والرجل » من مجموعة مسرحياته التى سماها « مسرحيات لطيفة » .

وفى سنة ١٨٩٥ أيضا ظهرت مسرحيته « رجل الأقدار Man of Destiny » التى يسخر فيها من الطغيان والطفاعة وقادة الحروب فى شخص « نابليون » . وقد نجحت نجاحا ساحقا كما نجحت الأسلحة والرجل وكانديدا من قبل .. وهناك أوجه للشبه بين رجل الأقدار وبين الأسلحة والرجل .. ولا سيما من حيث

سخرية شو رجال الحروب ، ونسبة انتصاراتهم ومجدهم الى عوامل لم تكن لهم فيها يد قط . وكان نجاح هذه القطع الثلاث مدعاة الى حمد النقاد واتهامهم شو بأنه ينزع نزعة تجارية في تأليفه ، وأنه ينتهج فيها نهج « المسرحية ذات الحكمة الجيدة The well-made play » التي كان يعيبها من قبل ويهاجم الكاتب الفرنسى ساردو -- تلميذ سكريب مبتكر هذا النوع - من أجلها .. وذلك أيام تفرغ شو للنقد المسرحى .. فلما أصبح كاتباً مسرحياً لم يجد بدا من الأخذ بتلك الطريقة ابتغاء الربح المادى . وقد كان شو يعيب المسرحية ذات الحكمة الجيدة بحجة أن جمال هذه الحكمة تصرف أذهان الجمهور عادة عن أهمية الموضوع وتقلل من قيمته .. وذلك بعد أن اتجه ساردو بالمسرحية ذات الحكمة الجيدة اتجاها موضوعياً الى حد ما . والظاهر أن شو قد تأثر بهذا النقد غير العادل ولا الوجيه ، فأخذ يكتب مسرحيته : « انك لن تستطيع أن تحزر You Never Can Tell » ، وتتلخص فى أن طبيب أسنان فقيراً شاباً متهوراً يدعى فالتين يخالط أسرة المستر جراميثون كلاندون مخالطة شديدة ثم يهوى الفتاة جلوريا كلاندون هوى شديداً مخامراً ، كما تبادلته الفتاة حبه ، لكن عوائق تحول دون زواجهما ، منها فقر هذا الطبيب المنلس .. ثم يتم الفتاة التى

بتضح أنها ابنة صاحبة المنزل الذي فيه عيادة الطبيب العاشق  
وسكنه . وقد خرج شو في هذه المسرحية عن اطار المسرحية  
ذات الحكمة الجيدة تحديا لتقاده .. فكان ما توقعوه وسقطت  
سقوطا شنيعا ، بالرغم من مهاجسته تلك الفوارق الاجتماعية  
المصطنعة . وهكذا تمت سلسلة مسرحياته اللطيفة .

وبادر شو سنة ١٨٩٦ الى القيام بسرعة من عثرته السابقة  
فكتب ميلودرامته الظرفية « تلميذ الشيطان » التي جعل بطلها  
وتشارد ددجن R. Dudgeon هذا الرجل الآفاقي الشرير  
يقوم بتضحية وطنية كبرى كانت سببا في طرد الانجليز من  
مقاطعة نيو انجلاند الانجليزية .. وذلك أنه ادعى بأنه هو  
القس أندرسن R. Anderson المطلوب القبض عليه من  
جنود الملك جورج الثالث ملك الانجاز ، وذلك لكي يقود  
القس رجال الثورة ضد المستعمرين بعد أن اشتد عنفهم  
وطغا ظلمهم .. وهكذا كان جميع المواطنين يدا واحدة  
-- خيارهم وشرارهم ، في معركة التحرير حتى انتصروا .

وفي سنة ١٨٩٧ ظهر مسرحيته "نطوني وكليوترة" التي  
أراد بها تحدى شيكسبير في الموضوع نفسه .. ولكن ..  
هيات ! وان كان شو قد عطانا شيئا من سخرياته اللطيفة  
برومة وبمصر المغلوبة على أمرها في ذلك الوقت .

وفي سنة ١٨٩٨ كتب لصديقته وأجمل وأبرع ممثلات المسرح الانجليزي على الاطلاق : مس الن تري Ellen Terry والدة جوردون كريج ، أعظم المخرجين المسرحيين المحدثين والذي ترجمنا كتابه « فى الفن المسرحى » .. كتب لها مسرحية « هداية الكابتن براسبوند Captain Brasspound's » فكانت هذه هى المرة الأولى التى « يفصل » فيها شو احدى مسرحياته — لأغراض شخصية ! — على احدى الممثلات . ولكنى نعرف قيمة الن تري نقول ان معرفتها — بله صداقتها — كانت شرفا لا يناله الا الملوك والقادة وعظماء العصر الذى كان ينعم بحياتها فيه فوق خشبة المسرح .. وحسبنا أن تعلم أنه ما من دولة من الدول الراقية — بما فى تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية — التى مثلت فيها الن تري . لم تمنح المثلة الجميلة المقتدرة أسمى أو سمتها وأرفع نياشينها ، وأن معظم جامعات انجلترا والولايات المتحدة ، وبعض الجامعات الأوروبية الأخرى قد منحتها درجة الدكتوراه الفخرية اعترافا بفضلها على فن التمثيل .. الشرف الذى لم تنله غير سارة برنارد . كانت العلاقات بين شو وبين الن تري هذه قد تطورت من الصداقة والاعجاب -- كل بصاحبه — الى ما هو فوق الصداقة والاعجاب .. ولا يبعد أبدا أنها كانت ملهمة شو .

وتتلخص هذه المسرحية « المفصلة » في أن الكابتن  
براسبوند هذا الآفاقي المتشرد كان يتولى قيادة الجماعات التي  
تريد السفر الى داخل مراكش من مينائها موغادور وذلك  
باتفاق بينه وبين أحد مشايخ العرب . وكان رجال براسبوند  
يتألفون من الآفاقيين وقطاع الطرق والقتلة من أمثاله ، ويصل  
الى مراكش القاضي الانجليزي السير هوارد هالام S.H.Hallam  
وفي صحبته أخته غير الشقيقة ليدى سيسيلي وينفليت  
L. Cicely Waynfilet ، التي بلغت من الشجاعة — ومن  
الجمال — ما يجعلها تصر على اختراق جبال أطلس . ويتولى  
براسبوند قيادة الجماعة بالرغم من أن بينه وبين القاضي  
الانجليزي هالام ثأرا قديما .. فالقاضي هو عم براسبوند ،  
ثم هو الذي تسبب في جنون والدته والزج بها في السجن .  
ومن هنا يفكر براسبوند في أسر عمه ويبعه في أسواق الرقيق .  
وهنا تتدخل الفتاة سيسيلي .. وهي تتدخل بما لها من جمال  
آسر وفتنة ساحرة تطوى بهما قلوب المشايخ العرب وقراصنة  
الصحراء ، كما تفتن بهما هذا القرصان الفتاك براسبوند الذي  
ينسى انتقامه بعد أن وقع في حب الفتاة .. لكن نسيانه هذا  
الثأر ، وعدم أخذه حذره ، يوقعه في قبضة الشرط العرب  
ويقدم الى المحاكمة هو ورجاله .. ومن ثمة تتقدم سيسيلي

للدفاع عنه وللشهادة عليه كذلك .. وتنجح في مهمتها وتبرأ  
ساحته .

لكنه بعد براءته يصبح بلا عمل .. فماذا تصنع سيسيلي ؟  
انها تتقدم للزواج منه .. وعند وشاك انفاذ الفكرة تقدم احدى  
سفن القرصان فتدعوه للعمل معها .. فيقبل .. وهكذا يصل  
ما انقطع من حياة الشقاوة !

وتقول سيسيلي وسفينة القرصان تغادر الشاطئ :  
« ياله من مهرب ! » .

وفي سنة ١٩٠١ كتب شو مسرحيته الطويلة المشهورة :  
« الانسان والانسان الاعلى Man and Superman »  
بناء على اقتراح صديقه ا . ب . ووكلى A.B. Walkly الناقد  
المسرحي لجريدة التيمس في ذلك الوقت ، حينما اقترح عليه  
كتابة مسرحية عن شخصية دون چوان ؛ وقد قال عنها بعضهم  
انها مسرحية أشبه بنظرية النسوء والارتقاء ، واعترف شو  
نفسه بأنه أكثر فيها من الثرثرة والاستطراد ، بل اعترف  
باستحالة تمثيلها لطولها وركود الحركة فيها .. ولم تمثل  
هذه المسرحية كاملة الا سنة ١٩٣٩ حينما أخرجها ياسپر ديتير  
Jasper Deeter بمناسبة العيد السنوي لبرنرد شو .. وقد استغرق  
تمثيلها تسع ساعات ( ! ) بما فيها فترات الراحة .

على أن هذه الثروة وذلك الاستطراد في المسرحية هما  
أمتع ما فيها .. للقارئ طبعاً .. فالمسرحية وليمة ذهنية شهية  
جمع فيها شو كل ما قاله شو بنهور ونيثسه عن الحب وأثره  
في نشوء الانسانية العام وتنقلها في مدارج الارتقاء .. ان شو  
يؤمن بقوة الحياة Life Force ، ويؤمن بأنها لا تنفك  
تسمى في الارتقاء بالانسان العادى حتى يصبح انساناً أعلى ..  
وأن أقوى وسائلها الى ذلك هو الحب .. الحب الذى يسنه  
جمال المرأة في قلب الرجل وجمال الرجل في قلب المرأة ..  
ودون جوان في نظر شو هو هذا الحب ، وليس هذه الشهوة  
البهيمية التى ترتبط بهذا الرمز « دون جوان » كلما ذكر الناس  
اسمه .

توفى والد آن هويتفيلد Ann Whitefield وتركها تحت  
رعاية وصيين أحدهما رجل رزين هادى متزن يدعى روبك  
رامسدن Robuck Ramsden ، والآخر رجل ثورى حامى  
المزاج يدعى چون تانر J.Tanner .. الأول رجل رجعى  
متزمت لكنه يحسب أنه رجل تقدمى يفهم ما لا يفهمه الناس ..  
أما الثانى فرجل ثائر متطرف مصمم على القضاء على جميع  
القيم وتدمير كل التقاليد . ويتقدم شخص يدعى أوكتايفوس

لخطبة آن فينتلقاه تانر .. هذا الراديكالى المتطرف . فيعجب منه ،  
ولما يراه من شغفه بآن والحاحه فى طلب يدها ، وما يتمناه من  
أن تكون آن تبادلته هذا الحب وأن تكون راعبة فى مثل هذه  
الرغبة .. وهنا نرى تانر ينطلق فى حديث طويل ليقول للرجل  
ان المرأة مكتوب عليها فى الأزل أن تكون الأم الموعودة التى  
لا تقفأ تجرى وراء الأب الموعود .. وأننا نخطىء دائما حينما  
نحسب أننا نحن الرجال هم الذين يسعون دائما وراء المرأة  
يتقربون اليها بالحب ويتنظفون اليها بالمودة فى حين أن طبيعتها  
نفسها تفرض عليها انقيام بهذا العمل .. فالمرأة هى الصائد  
دائما .. والرجال هم الصيد .. هم الفرائس .. وهم المرأة  
الذى تحرص على تحقيقه هو أن تتزوج بأسرع ما يمكن ..  
فى حين يهتم الرجل بأن يظل غير متزوج أطول ما يمكن .

ولكن .. لماذا يقول تانر هذا الكلام ، وبأى دافع ؟ الحقيقة  
أن آن تحبه وتحرص على الزواج منه .. ومن ثمة فهى لا تهتم  
بخطبة أوكثافيوس .. وهى فى حرصها على الزواج من تانر  
تحاول جهدها أن تقف بينه وبين أختها الصغيرة التى يهواها ..  
ولكن تانر يكون حتى تلك اللحظة جاهلا لما يجرى حوله ..  
حتى ينبهه اليه سائق عربته .. وهنا يفزع المسكين ويقذف

بنفسه الى سيارته ويطلب من السائق أن يهرب به من انجلترا الى القارة .. بل الى أى بلد اسلامى ( ! ) تسود فيه الشريعة التى تحمى الرجال من النساء ( ! ) انه لا يهرب من آن وحدها بل ، منها ومن أختها ومن النساء جميعا . وتنتهى به سيارته الى جبال سيرا الأسبانية حيث يقطع عليه طريقه لوصولها الجيليون الذين يحترفون تمثيل الأوبرا الغنائية الهزلية المثلثة بالنكات الغليظة المضحكة .. ويكون هذا مدعاة لأن يتقبل تانر وضعه هذا تقبلا فلسفيا .. وفى منامه بالليل يرى حلما خياليا لطيفا ، يقوم فيه بدور دون چوان تنوريو Tenorio بينما يقوم بباقى الأدوار الشخصيات الأخرى التى تزخر بها أسطورة دون چوان المعروفة .. ويختتم الحلم بحضور آن التى انطلقت تقص أثر تانر هى وأصدقائها . وينقذ الجميع الجنود الأسبان من أيدي قطاع الطرق الجليين هؤلاء ، أما تانر فينقذ قطاع الطرق من أيدي الجنود بادعائه أنهم أصدقائه وحماة قافلته وخفرائها . ويكون لأوكتافيوس الذى طلب يد آن أخت ينتهى أمرها الى فضيحة غرامية ، لكنها ترفض أن تبوح باسم حبيبها ، ومن ثمة يعاملها أهلها معاملة الآثمة المجرمة .. فى حين نرى تانر وحده .. تانر الذى ينظر الى أمور الحياة نظرة عكسية دائما .. نراه يتقدم الى الفتاة بالتهنئة

القلبية العارة ، بدعوى أنه يعلم .. وجسع الدنيا تعلم .. أن حيوية المرأة وشجاعتهما هما أعظم خلتين يمكن أن تحصل عليهما المرأة ، وأنه لا أهمية مطلقا لأن تكون المرأة غير متزوجة زواجا شرعيا من الرجل الذي تحب ، وأن هذا لا ينقص من قيمتها شيئا ، « كما لا ينقص من تقديرنا الحقيقي لها مثقال ذرة ! » ولكن الفتاة لا يسعها مع ذلك الا أن تهاجم تانر وتقول انها لم تكن تستطيع القيام بأى عمل يناقض التقاليد أو يخرج على النظم وأنها كانت متزوجة زواجا شرعيا من حبيبها ، ولكن لأسباب شخصية أبقت الأمر سرا مكتوما . وفي الفصل الأخير نرى زوج فيوليت يطالب بها ويعترف بزوجيتها ، كما نرى تانر يستسلم لقوة الحياة المتجسدة في آن ، وأنه لم يعين وصيا عليها وراعيها الا بناء على طلبها أو اقتراحها هي نفسها .. وهو لهذا يقول : « اذن فالوصية وصيتك .. والشرك كان منصوبا منذ البدء ! » . وتجيبه آن : « أجل .. منذ البدء .. منذ طفولة كليتا .. ولكليتا .. وبقوة الحياة ! » :

وفي المساء .. يقول تانر وهو يعلن خطبته على آن ، موجها الكلام الى رفاقه الآخرين : « ان ما صنعناه نحن الاثنين ، أنا ، وآن ، هذا المساء ، هو نبذنا للسعادة ، وللحرية ، وللهدوء .. وانصرافنا فوق كل شيء عن الامكانيات العاطفية « الرومنسية »

التى يتسخض عنها مستقبل مجهول .. وذلك فى سبيل  
الاهتمامات التى لا بد منها لبناء منزل وقيام عائلة » .  
وهكذا تنتصر الطبيعة ، وتفرض علينا قوانينها .. ان قوة  
الحياة تنفذ أغراضها بوسائلها التى لا نستطيع منها فكاكا ..  
« وما أذهاننا الا الوسيلة التى تحاول بها الطبيعة أن تفهم  
نفسها .. والفلاسفة أنفسهم هم أيضا فى قبضة هذه القوة ..  
قوة الحياة توجههم من حيث لا يشعرون الى خلق الانسان  
الأعلى .. والرجل ، وهو فى يد المرأة من أحسن الوسائل  
الاقتصادية التى توفر بها الطبيعة الكثير من الجيد فى تحقيق  
أغراضها » .

\* \* \*

ومن هذه العبارات الخاطفة التى يفقد المسرحية تلخيصها  
ندرك أن شو أراد أن يكتب مسرحية النشوء والارتقاء فكتب  
بحثا فلسفيا جنسيا عويضا استخدمه — من وجهة نظره —  
من أسطورة دون جوان ، وأراد أن يقذف به الى خيبة  
المسرح فلم تحتسله مطلقا .. ولكن .. ما أمتع أن نجعل العقل  
مسرحا لهذا البحث الذهنى العرف .

وقد ذكر شو بلاد المسلمين فى هذه المسرحية فوصفها بأنها  
البلاد التى تحمى الرجال من النساء ، وقد نسى شو ، بالرغم

من تقديره دائما للنظم العسلية الاسلامية ؛ وأنها خير ما يصلح  
أن يكون نظاما عمليا عالميا إذا أراد العالم أن يختار له نظاما  
دينيا واحدا يأخذ به ، أقول نسى شو أن الاسلام هو أول دين  
حمى المرأة من الرجل بجعله اياها حرة تتصرف فيما تملك ..  
في حين كانت المرأة في غير الاسلام لا تملك ولا تستطيع أن  
تتصرف في شيء .. ولا ترث .. ولا تقبل ضمانتها المالية أمام  
المحاكم .. أما اذا كان شو يقصد حرية الرجل في طلاق المرأة ..  
فقد أصبح الطلاق في العالم الغربي هو النعمة الكبرى التي  
يفخر بها كل من الرجل والمرأة .. على أننا ندع هذا لنسفي  
في عرض صفوة مسرحيات شو .

ففى سنة ١٩٠٤ ظهرت مسرحيته المعروفة للمصريين جميعا  
« جزيرة جون بول الأخرى John Bull's Other Island » ..  
وأقول انها معروفة لنا جميعا لأن شو هاجم فيها الاستعمار  
الانجليزى القذر وسخر فيها بوسائل هذا الاستعمار الخسيس  
بمناسبة حادثة دانسواى المصرية ، وان صب السخرية فيها  
على بلاده عو بالذات « ايرلندة » قبل أن تنال استقلالها ..  
وكان شو قد بعد به العهد بتلك البلاد التي تركها نهائيا منذ  
أن بلغ به العمر العشرين عاما .

يصل الشابان الصديقان دويل Doyle وبرودنت الى

قرية روسكلن Roscullen الريفية الأيرلندية ومسقط رأس  
دويل .. وبرودبنت Broadbent هذا انجليزي قح من  
الأحرار الذين يتزعمهم جلادستون ويحرصون على امتصاص  
دماء المستعمرات ليجددوا بأموالها بلادهم الانجليزية ، ومن  
ثمة فهم يطلقون اسم جون بول على برودبنت هذا .. أما دويل  
فشاب ذكي ، ساخر ، جواب آفاق ، عرك الدهر أشطره كما  
يقولون .. عاد الى قريته هذ بعد أن هجرها ثمانية عشر عاما .  
ويدخل الشابان معترك الحياة السياسية وينجح برودبنت في  
الفوز بمتعد في مجلس القضاء الايرلندي بفضل مقدرته في  
انفاذ الأمور وبعد نظره واكبابه على حل المعضلات .. وبفضل  
وصوليته وانتهازه للفرص أيضا .. ويثق فيه المزارعون  
الأيرلنديون البسطاء ويعتقدون أنه بالرغم من كونه « حمار  
شغل » الا أنه أقل اتساما بخلق الحبير من نائبيهم الأيرلندي ..  
ويكون لدويل حبيبة قبل أن يغادر القرية ، ويكونان متعاهدين  
على الزواج ، فلما يهيم على وجهه هذ السنين الثمانى عشرة  
لا يسمع الفتاة الا أن تصبر وتتذرع بالجلد الذى يشتهر به  
الكاتيون Celts كل هذ المدة الطويلة .. حتى اذا عاد  
دويل أشاح بوجهه عن الفتاة وخاس بوعده فى الزواج منها ..  
وهنا ينتهز الفرصة الانجليزي القح برودبنت ويتقرب الى الفتاة

ويظفر بجبها ثم يتزوجها .. وهكذا يقهر صديقه — أى خصه — الأيرلندى فى المبدائين جميعا .. ميدان السياحة والأعمال وميدان الحب أيضا !

والرمز المنطوى فى القصة لا يخفى على أحد .. إذا ألقينا بالنا الى أن دويل يرمز الى الأيرلنديين وبرودبنت يرمز الى الانجليز الوصوليين الانتهازيين ، والمرحبة تتناول فى فصولها الأربعة مائة مشكلة ايرلندية من مشكلات زمانها .. حتى مشكلة التعريفه الجبركية .. ومن ثمة لم تنجح فى أمريكا النجاح الذى ظفرت به مسرحيات شو الأخرى . ومن عجب أن الشاعر والكاتب المسرحى ييتس W.B. Yeats - وكاتب ايرلندة المسرحى الأول كان هو الذى طلب من شو كتابة مسرحية لتمثيلها فى ال Abbey Theatre فى دبلن .. فكتب تلك المسرحية التى يسخر فيها بأيرلندة والأيرلنديين .. الأمر الذى شجع حركة المقاومة العنيفة ضد الاستعمار الانجليزى .

وفى سنة ١٩٠٥ ظهرت مسرحيته Major Barbara، وهى احدى روائع شو التى يسخر فيها من جمعيات الاحسانات الخيرية المنظمة ويهاجم فيها نظام الصدقات ابتغاء تخفيف آلام المحتاجين لأن حاجة المحتاج لا تعالج بالصدقات ولكن بالتنظيم الاقتصادى الذى يجتث الفقر من جذوره الحقيقية .. وتتلخص

المسرحية في انضمام هذه الفتاة باربرة أندرشافت Barbara Undershaft الى جيش الخلاص لشعورها بوجوب معالجة الشرور الناجمة عن النظام الاجتماعى الحالى فى حين يكون أبوها أندرو أندرشافت - وهو ملك من ملوك امداد الجيش بالميرة والذخيرة ومن كبار أصحاب مصانع الأسلحة ومن أكبر محبذى النظم الرأسمالية الاحتكارية وقيام مجتمع رأسمالى يزداد غنى وثروة بكل الوسائل الممكنة ، ومن أهم تلك الوسائل اذكاء العداوات الدولية والنفخ فى نار الحروب لكى تروج صناعة الأسلحة .. أى أن الوالد يقف فى الجانب المعارض أو الجانب المواجه للجانب الذى تقف فيه ابنته باربره .. انه يقف فى الجانب المادى الصرف غير حافل بالقيم الروحية ، بينما هى تقف فى الجانب الروحى الصرف الذى لا يحتفل بالقيم المادية . وتحمس الفتاة بعد انضمامها لجيش الخلاص لهذه المبادئ الروحية ولا تنفك تهاجم المبادئ الرأسمالية وتصنها بكل عيب وكل تقيصة .. لكن أبائها لا يزال بها يناقشها حتى تعترف آخر الأمر بأن قيام جيش الخلاص نفسه على مجرد هذه الصدقات التى لا يدفعها له الا الرأسماليون هو نظام فاسد بدليل أن هذه الصدقات اذا لم تصل الى جيش الخلاص لم يستطع أن يصنع شيئاً .. ثم يقنعها أبوها

كذلك بأن الفقر فقط هو الآفة الوحيدة التي يجب محاربتها والقضاء عليها .. وأن القيم الروحية لا جدوى لها ولا نفع منها في شعب فقير لا يجد ما يقيم أودده في عالم يتكالب على المنافع المادية قبل كل شيء .. ان الفقر هو الآفة الوحيدة التي يجب أن نخجل منها حتى يندى جبيننا .

وتظهر مسرحيته « حيرة الطبيب The Doctor's Dilemma » سنة ١٩٠٦ .. حيرة الدكتور الجراح سيركولنسو رديجون S. Celestio Ridgeon حينما تتقدم اليه السيدة چنيفر ديوبدات J. Dubedat أن يعالج زوجها السيد لويس ديوبدات بعملية عاجلة .. لكن الدكتور يكون موشكا أن يجرى عملية لصديقه بلنكنسوب Blenkinsop الذي كان زميل صباه ورفيق أيام الدرس .. ويحار الطبيب .. ثم يترك زوج السيدة لجراح أقل منه مهارة فيجرى له العملية ويقضى عليه لكي ينقذ هو هذا الصديق القديم .

والمسرحية زاخرة بالسخرية بالطلب والأطباء وادعائهم أنهم جنود الواجب وحماة البشرية وملائكة الرحمة .. مما يذكرنا بجهود مولير في التثريب عليهم وغمزهم .



وفي مسرحية الزواج Getting Married ( ١٩٠٨ )  
يهاجم شو نظم الزواج والطلاق في انجلترا ويسخر من العرف  
الذى يجرى عليه الناس فيها . فهذا هو الأسقف ألفرد  
بردجنورت A. Bridgenorth يعتقد بأن نظام الزواج هو  
شئ من صنع الشيطان بصورته القائمة ، وان الناس ان عاجلا  
أو آجلا سوف يضربون عنه ؛ وهو يحذر رؤساء الوزراء مغبة  
هذا الاضراب ، ويقول انه قد تحقق بالفعل بين الطبقات  
المالكة ، وأن الحكومة لا تجرؤ على التدخل .. ويوافق الوزراء  
على وشك وقوع الاضراب العام الا أنهم يتحاشون اجراء  
الاصلاحات التى تحول دون وقوعه مخافة أن يخسروا معركة  
الانتخابات القادمة .. أما الأسقف فيحمد الله على أنه عقد زواج  
أخرى بناته .. الا أن هذه العريس الصغيرة تسلم قبل زفافها  
خطابا بالبريد يشرح لها الغرض من الاضراب فتقتنع بوجوده  
وتضرب عن البناء بزوجها بالفعل .. ان الرسالة تقول لها ان  
الزوجة لا تستطيع تطليق زوجها في حالة ارتكاب جريمة قتل ..  
ويحاول العريس أن يقنعها بأنه لن يرتكب هذه الجريمة مطلقا ،  
لكنها ترفض التوقيع مع ذلك على قسيمة الزواج ما دامت  
تشتل على مثل تلك الشروط المجحفة بحق المرأة ، وتصر  
على تغيير تلك الشروط .. ويقتنع مندوب القسيس فيبدل من

تلك الشروط ويغير ، لكن العقد الجديد لا يكاد مع ذلك يختلف من العقد القديم فى شىء .. وهكذا يتضح أن الزواج ليس الا مهربا وحينه من الحيل .. وأن الانسان لا يستطيع تحقيق الكمال فى أى شىء . ومن ثمة وجب عليه الاستعانة بالحيل والحلول المؤقتة ولو الى حين ، حتى لا ينقرض النسل ، ما دامت هذه الشرائع قائمة ( ! ) .

\* \* \*

وفى سنة ١٩٠٩ ظهرت مسرحيته .. أو لعنته الكبرى .. اظهار حبة بلانكو بوسنت The Shewing-up of Blanco Bosnet وهى المسرحية التى صرح فيها شوعن معتقداته الدينية ورأيه فى الله — سبحانه — وايمانه بالفريزة كعامل هو المتصرف الحر التصرف فى أعمال الانسان .. وأن الطبيعة اله غشيم لا يزال يطور نفسه .. وقد خلقت الانسان ليقوم عنها بما تعجز هى عن القيام به نيابة عنها ! وبطل المسرحية بلانكو شخص وضيع وغد ولص يسرق حصانا ثم يجد أما تحمل طفلا مريضا فيدفع اليها بالحصان لكى تستطيع أن تبيعه وتعالج طفلها .. ثم يثور بلانكو حينما يفتن الى أنه بعمله هذا قد خضع لما يسونه فعل الخير .. وفعل الخير لم يدر له بيال قط .. لأنه حينما دفع بالحصان الى أم الطفل انما دفعه بفعل الفريزة

المحض ، وليس بفعل الفضيلة الانسانية .. « انه خفنى لأنه ادخر لى عملا .. وهو يتركنى أسير فى الحياة سيرة سائبة لا ضابط لها حتى يتم هذا العمل .. وأنا أعمله سواء كان فى عملى اياه شئنى أو عدم شئنى ا » .. وهذا يذكرنا بأوغاد شو جميعا .. مثل تلميذ الشيطان رتسرد ددجن .. الذى ذكرنا من قبل أنه افتدى القس أندرسن الذى كان عاملا هاما من عوامل نجاح ثورة الأمريكين فى نيوانجلند .. لقد فعل تلميذ الشيطان ما فعل بدافع غريزى محض .. ولم يفعله بدافع دينى أو لأن ما فعله هو الواجب الذى كان يجب أن يقوم به .

ولترك شو فى هذه الناحية التى له أن يقول فيها ما يشاء لتتابعه فى مسرحيات أخرى . ولتقول انه كتب سنة ١٩١٠ عدة قطع كان أهمها مسرحية Misalliance أو العلاقات الزوجية السيئة وغير المتوافقة وقد تناول فيها الروابط الأسرية بين الآباء والأولاد ؛ كما كتب سنة ١٩١١ عدة قطع أخرى كان من أهمها مسرحيته : « أول تمثيلية لى فنى Fanny's First Play » صرح فيها فى مقدمتها وختامها عن رأيه فى تقاد عصره المسرحيين . أما سنة ١٩١٢ فكانت من أخصب السنين فى حياة شو المسرحية ؛ فلقد كتب فيها ثلاث مسرحيات كان من بينها مسرحيته الخالدتان : أندروكليس والأسد & Androcles

the Lion ثم طرفته اللطيفة بجمال يون Pygmalion ..  
ولعل أحدا في الشرق العربي لا يجهل موضوع المسرحية  
الأولى التي تصور آلام المسيحيين في فجر التاريخ المسيحي ..  
أيام أن كان حكام الرومان يتلهون بقذف الشهداء المسيحيين  
المستمسكين بدينهم الجديد لتفتك بهم الوحوش الجائعة في  
مضامير السباع بمدينة رومة .. وذهور الرومان حينما تقدم  
الأسد الجائع من الشهيد أندروكليس فاذا هو يلحق ملاسه  
وتمسح به ولا يؤذيه .. وإذا هذا الأسد هو الذي أنقذه  
أندروكليس حينما انتزع من قدمه شوكة كادت تقضى عليه ..  
فحفظ الحيوان الجميل ولم ينسه . وهكذا أفاق الامبراطور  
الروماني وعفا عن جميع الشهداء .

أما بجماليون فقد بناها شو على الأسطورة اليونانية  
المشهورة التي صنع فيها المثال بجماليون — كاره النساء —  
تمثالا لربة الجمال والحب ثينوس .. فلم يلبث أن هام بتمثاله  
حبا وجعل يضرع للربة أن تهب التمثال الحياة .. ففعلت ..  
وتزوج التمثال التمثال ! .. فيها هو هذا المستر هجنز Higgins  
يراهن على أنه يستطيع تحويل الفتاة الوضيعة بائعة الأزهار  
اليزا Eliza الى سيدة من أرقى سيدات المجتمع الانجليزي  
ثقافة وسلوكا ومظهرا .. وقد أفلح هجنز في ذلك وأصبحت

البزا سيدة سالون من أرقى طراز .. لكن الفتاة تعشق  
استاذها .. الا أن الأستاذ يستعلم على هذا الحب .: فإذا أدركت  
الفتاة ذلك وعشقا حبيب آخر وعزمت على الاستجابة لهذا  
الحب فاق هجنز وبادر الى الزواج منها .. فلقد أدرك أنه  
يجبها حبا يخامر قلبه ويجرى في دمه ؛ وتزوجها بالرغم من  
معارضة والدته في ذلك .

أما مسرحيته الثالثة Overruled فهي مهزلة يسخر فيها من  
الخيانات الزوجية ومن المفتونين والمفتونات بالمظاهر الفارغة .  
وفي سنة ١٩١٣ كتب مسرحيته الساخرة The Great  
Catherine التي اتخذ فيها من كاترين العظمى قيصرية روسيا  
لعبة أضحك الناس عليها .. كما كتب مجسوة من المسرحيات  
القصيرة ترجم عدد منها وصدر سنة ١٩٦٠ عن وزارة التربية .  
ثم كان الجو العالمي يعصف وينذر بنشوب الحرب العالمية  
الأولى .. وكانت الظروف في العالم كله ظروفا مخيبة للأمال ..  
والرأسمالية الأوربية .. بل الرأسمالية الانجليزية تتوسل  
بأقندر الوسائل لا بتراز أموال الشعوب غير الانجليزية في  
الخارج .. والرأسماليون الانجليز في الداخل يحتالون بأقندر  
الوسائل لاصطياد أموال السذج وصغار المساهمين لبعثوا  
بعد ذلك عيشة الطيش والسفه والاستهتار .. العيشة السائبة

المنحلة التي جعلت أوروبا كلها .. وانجلترا بخاصة .. أشبه  
بالييت الحرب الذي يكاد ينقض .. أو السفينة المشفية على  
الفرق ..

ففى هذه الظروف كان شو يكتب مسرحيته التي تقدم  
لترجمتها .. والتي سماها Heartbreak House ، والتي ترجمها  
الأستاذ المترجم .. منزل القلوب المحطمة .. والتي كت أسميها  
أنا منذ أكثر من ربع قرن : منزل الحشرات .. لأنه منزل حشرات  
بالفعل .. وليس فيه الا قلب كبير واحد .. أو قلبان كبيران  
على الأكثر .

وقد أتم شو كتابتها سنة ١٩١٤ .. لكن نشوب الحرب  
العالمية الأولى حال دون تمثيلها في إنجلترا لسببين .. أولهما  
أن غارات الطائرات الألمانية على المدن الانجليزية ليلا ..  
ولا سيما على مدينة لندن لم تكن تسمح بفتح أبواب  
المسارح . أما السبب الثاني فهو هذه الحملة الشنيعة القاسية  
التي شنها شو في المسرحية على الشعب الانجليزى بعامة ،  
وعلى قذارات الطبقة الوسطى البورجوازية بخاصة .. وما وسم  
به تلك الطبقة من النصب والتزوير واقتراف المآثم والالتجاء  
الى أسفل الطرق لمص دماء العاملين ومجهوداتهم ، ثم حياة  
أفراد تلك الطبقة .. تلك الحياة السائبة الممتلئة بالخianات

الزوجية جبهة ومن وراء حجاب ، وعلى علم أحيانا من الأزواج  
والزوجات بما يرتكبه بعضهم ضد بعض . وهذا هو موضوع  
مسرحية بيت الحشرات .

ففى منزل الكابتن العجوز شوتوفر Shot over البالغ من  
العمر الثمانية والثمانين عاما .. ومن ربينة السفن الكبيرة  
سابقا ، والسكير الذى لا يشبع من الشرب .. والذى  
يقضى شيخوخته الخرفة فى اختراع أسلحة الحرب والدمار ،  
واستباط أنواع فتاكة من المتفجرات .. والذى يجرى وراء  
مثل خيالى أعلى يسميه قوة التركيز السابعة .. دليلا على عقليته  
المختلة .. فى المنزل الرفيى لهذا الرجل تجتمع شرذمة من  
الأضياف تعمدت ابنة الرجل الكبرى أن تدعوهم الى منزل  
أبيها — أى منزلها .. وفى وقت واحد .. لما تتويه من اثاره  
موضوع المسرحية .. وهو ما يتويه أحد هؤلاء الأضياف ..  
والمدعو المستر ماتزىنى دن من تزويج ابنته الرائعة الجمال ..  
والقناد المفضان : ايلنى دن .. من ذلك الرجل العجوز الطاعن  
فى السن المستر مانجان الذى يمثل فى المسرحية قذارة الوسائل  
الرأسمالية فى ابتزاز أموال السذج واستغلال مجهودات  
العاملين .. وماتزىنى يريد تزويج ابنته ايللى من ذلك الرجل  
ليكون زواجها منه ضمانا لها — ولها أيضا — من الفقر

وطريقا الى الحياة الناعمة الراضية .. مهما كانت هي صغيرة ومهما يكن هو — أى مانجان — من الشيخوخة والضعف ، ومهما انبنى على ذلك الزواج من تماسة الفتاة واشاعة الأحران فى حياتها كلها .

ان مسز هشاباى Mrs. Hushabye .. ابنة صاحب المنزل الكبرى ، وزوجة هذا الرجل الفندور الجميل الطلعة ، المستر هكتور هشاباى ، الذى لا يكاد يلقى امرأة الا سحرها بجمال طلعتة ، وحن شاربه المقول .. والذى لا عمل له الا هذا .. والا أنه زوج المسز هشاباى هذه .. و من يسونها تدليلا : هزيون .. ذات الجمال الصارخ هي أيضا .. والتي يتعشقها كل من يراها ..

ان مسز هشاباى هذه تراعى لما يعتزمه المستر ماتزىنى من تزويج ابنته ايللى من ذلك الرجل الطاعن فى السن .. مانجان .. لا لشيء الا ليكون هذا الزواج ضمانا له ولابنته من الفقر .. بعد الذى عاناه هو — أى ماتزىنى من الخسارة فى جميع مشروعاته الاقتصادية .. ولخوفه من أن يترك ابنته الجميلة ايللى هدفا لمتاعب الحاجة ومطالب الحياة من بعده اذا هو غادر هذه الحياة .. وهو لذلك يلجأ الى هذا الحل .. ولا يكاد مانجان يطلب اليه يد ايللى حتى يجب طلبه .. وهو لا يكاد

يتحدث الى ابنته في أمر زواجها من مانجان حتى تلبى الفتاة وترحب .. ولا ترى في هذا الزواج بالرغم من الفارق الكبير في العمر ما يمنع من اتمامه .. انها مؤمنة بفكرذ أبيها .. مؤمنة بأنه زواج مصلحة .. أو Marriage of Convenience كما يقول الانجليز : —

غير أننا نقاجاً في سياق الحوادث بحضور الابنة الصغرى لصاحب المنزل المستر شوتوثر .. هذه الابنة التي ضاقت بالحياة في منزل والدها فقرت مع حبيب — لورد — منذ ثلاث وعشرين سنة . وكسبت من الزواج منه لقب ليدي .. فهي الآن ليدي أترود .. والتي ينادونها أحياناً باسمها الأصلي : آريادن .. هذا الاسم اليوناني الأسطوري .. والتي يدلونها فينادونها باسم التصغير : آدى ..

ان آريادن هذه .. أو آدى .. أو لى أترود .. تقدم فجأة لزيارة أبيها وأختها بعد أن غابت عنهما ثلاثة وعشرين عاماً .. فلا يكادان يعرفانها .. لا الأب .. ولا الأخت .. ولا المريية جينيس التي سهرت على تربيتها زمناً طويلاً .. وهم جميعاً لا يكادون يحتفون بها ولا يشعرون بقدومها .. والفتاة تدهش لذلك ، وتكاد تغادر المنزل لتعود الى الفندق الذى نزلت به هي وزوجها الذى لا نراه .. ولا تكاد تشعر به

فى تلك المسرحية .. ولكن آدى هذه لا تكاد ترى هكتور  
زوج أختها الغندور .. فاتن النساء .. حتى تهيم به ، ولا تقول :  
تميل اله .. ولهذا فىبقى .. ولا تبارح المنزل .. والعجيب  
أن أختها مسز هشاباى .. تلاحظ ذلك فتصارع أختها به ،  
وتهنئها على ذلك الحب .. الا أنها تحذرهما من زوجها .. هذا  
الزئبق الذى لا أمان له .

ولا تكون هذه أول صبوة تحدث فى هذا المنزل .. ان  
مس ايللى دن .. الحسنة التى أراد أبوها مستر ماتزىنى أن  
يزوجها من مستر مانجان ليكون زواجها ضمانا لهما من الفاقة..  
ان مس ايللى هذه لا تكاد هى الأخرى ترى مستر هكتور  
زوج هزيون — أو مسز هشاباى — حتى يفتنها ، وحتى تجن  
به غراما .. وهى لا ترى فى هذا الغرام بأسا .. انها تجعل من  
هكتور — الذى يدعى لها أن اسمه ماركوس — حاجة القلب  
ومنية النفس .. لكنها سوف تتزوج مانجان لتجعل منه حاجة  
الحياة وضمان الأمان ضد تكاليف الحياة .. ومن ثمة نعلم أن  
ايللى فتاة مغامرة لا تريد أن تتعرض لما تعرض له أبوها ماتزىنى  
من صدمات مالية وافلاس .. وفقر .. وهى تعشق هكتور ..  
أو ماركوس .. هذا ، وهى لا تعلم أنه متزوج .. وزوج صاحبة  
الدار بالفعل .. فاذا استدرجتها مسز هشاباى وهى تحاورها

في موضوع الصفتة .. وبالأحرى .. في موضوع ما هي مقدمة عليه من أمر تلك النكبة التي توشك أن تحل بها بزواجها من مستر مانجان — ذلك العجوز الفنى — وعرفت منها أنها تحب .. أنها ممن ذاق نعمة الحب وعرف خفق القلوب .. ثم سألتها عن ذلك الحبيب ، ولماذا لا تتزوجه لتتفادى الزواج من مانجان العجوز .. اذا بماركوس يدخل فجأة وعلى غير انتظار .. واذا بها تقدم لمسز هشاباى فتاها الحبيب .. واذا بمسز هشاباى تضحك من مسيم بطنها .. ولا نقول قلبها ، لأنها لم تكن تملك قلبا .. وتقول لا يلقى المسكينة انه : هكتور .. زوجي !! ..

وتخجل ايللى .. أو لا تخجل .. لأنها فتاة مغامرة .. لكنها تنسى الحب وتضعه في جيبيها .. وتصر أمام مسز هشاباى على الزواج من مانجان بالرغم مما تبديه لها صديقتها من تحذيرات ونذر ونصائح .

وتحار مسز هشاباى من اصرار ايللى على اتمام الصفتة ، فتحاول افسادها من جهة والد ايللى .. ومن جهة مانجان — العريس — أيضا .. الا أن حديثها مع ماترينى والد ايللى لا يسفر عن شيء .. وان أسفر عن شيء فهو شيء غريب حقا .. شيء يدل على جنون أهل هذه الدار جميعا ، وجنون

أضيفهم أيضا .. ان الرجل — أعنى والد ايللى العجوز —  
يجد فى ابتسامات هزيون .. أى مسز هشاباى .. وفى طراوة  
صوتها الخاضع بالألحان ما يسييه ويغلب ليه .. ثم يغزو  
قلبه ! .. انه يعشق السبدة المتزوجة .. والتي يعرف أن زوجها  
أجمل فتيان الجزائر البريطانية كلها ! .. ثم هو بالرغم من هذا  
العشق الذى لا يخفيه عنها لا يخضع لتسيختها بعدم تزويجه  
ايللى لمانجان .. ولنفس السبب الذى جاهرته به ايللى !

ولا تبالى هزيون بهذا الاخفاق فى اقتاعه بخلطه ، كما  
لا تبالى بهذا العشق العجوز المتصابى .. وان لم تتلكأ فى  
تشجيعه .. حتى لا تكون عاقلة بين مجانين ، وذات قاب خال  
من الحشرات فى دار قلوب أهلها جميعا مستلىء بالحشرات ..  
وهى تنتهز فرصة اجتماع معظم من بالدار .. ومنهم أبوها  
ومانجان وماتزنى وايللى لتفتح موضوع هذا الزواج الغريب  
الذى لا يصح أن يتم .. انها تصارح مانجان رجل المال  
والأعمال والصفقات بأن زواجه هذا من ايللى سينتهى اذا وقع  
الى نكبة وهو لهذا يجب ألا يتم .. وهى تفيض فى شرح  
الأسباب ووجهات النظر .. ثم هى تقول للرجل ان الذى يطمع  
ايللى ويطمع أباهما فى ابرام عقدة هذا الزواج هو مال مانجان ..

ذلك المال الذى سيكون لهما ضمانا من الحاجة والعوز ويدفع  
عنهما القاقاة والمقرر .

وهنا يحدث ما يذهل الجميع .. وينهل ايللى قبل كل  
شخص آخر ! ان الرجل يصارح مسز هشاباى بأنه فقير  
لا يملك من حظام الدنيا شيئا .. فلا مال ولا ثنوب ولا أسهم  
ولا عمارات ولا شئء مطلقا .. انما هو جاهه وعمسه فى  
الشركات والمشروعات وما يدره عليه هذا كله من مكاسب  
ينفقها أولا بأول .. فاذا مات .. لم يترك وراءه شيئا .. ثم هو  
يعلم أنه هامة اليوم أو غد .. وأن حبل حياته قصير لا بد أن  
ينحرم بأسرع ما يظن من حوله ..

والرجل لا يكتفى بهذا .. بل هو ينتهز فرصة خروج  
ماتزىنى .. والد ايللى .. ليقول رأيه فيه .. انه رجل نشيط  
يجيد التفكير فى مشروعات مربحة .. لكنه أبله كمعظم أصحاب  
المشروعات الرابحة الذين من جنسه .. والذين يندفعون  
متحمسين فى مشروعاتهم — دون أن يعملوا حسابا للنفقات  
الضخمة التى لا بد منها لتنفيذ هذه المشروعات ؛ فضلا عن  
الأموال الطائلة التى لا بد منها لتظل هذه المشروعات قائمة حتى  
تدر بعض الربح .. وهو لهذا ينتهز أمثال تلك الفرص لبأتى  
بشركاء جدد ينفقون على هذه المشروعات أو ليشتروها اذا

أفلس أصحابها الأصليون .. فإذا وقع هؤلاء في الغلطة نسبها  
جاء شركاء آخرين ينفقون من جديد أو ليشتروا المشروع  
كله إذا أفلس من قبلهم .. وهكذا .. يظل يعقد الأمور دون أن  
ينفق مليا واحدا .. وحتى يصبح هو المشير الأول والأخير  
لجميع هذه المشروعات .. وبهذا تظل مفاتيح الخزائن بيده ..  
وهذا هو الذى يفعله لصوص الاقتصاد الجديد من  
رجال رؤوس الأموال، فى انجلترا .. انهم دجاجلة ولصوص  
محتالون يتمتعون دماء صغار المساهمين والبله ممن لا يعرفون  
فى دنيا الاقتصاد شيئا ..

وتدور الأرض قليلا برأس ايللى وهى ترى أحلامها فى  
الغنى والوفر والضمان من الفقر تبدد وتلاشى .. وهكذا  
تنجح هزيون .. تلك الشيطانة .. فى أفساد هذا الزواج .. حتى  
إذا انصرفت هزيون .. وانصرف الموجودون ، الا ايللى  
والا هذا الشيخ الهرم .. صاحب الدار شوتوفر .. رأينا ايللى  
لا تبالى أن تحاول استبدال شوتوفر بمانجان .. وليكن له من  
العمر ثمانى وثمانون سنة أو أقل أو أكثر .. فهذا لا يهم ..  
لأن غرضها هو مال شوتوفر وليس شيئا آخر .

لكنها تعلم أن شوتوفر هذا رجل باع نفسه فى جزيرة  
زنجبار للشيطان .. حيث تزوج هناك امرأة زنجية لا يدري

ان كانت قد ماتت أو ان كانت لا تزال حية ترزق .. وأنه  
أنجب منها هاتين الابنتين الساحرتين .. هزيون وليدى آتروود ..  
وأن الشيطان لا يزال يلاحقه من تلك الجزيرة الاستوائية  
الدائية الى الجزائر البريطانية .. ولهذا كتب لعنته على ذلك  
البيت وعلى أهله وعلى كل من يدخله .. حتى أصبح يشبه  
البنارستان أو دار المجاذيب ..

ثم يدخل كل من خرج .. فاذا ايللى ناعمة راضية .. تتناول  
يد شوتوثر وتعلن أنها زوجته ! .. زوجته فى السماء .. وليس  
فى هذه الأرض .. !

ولكن حادث سطو يقع فجأة .. ويقبض على اللص ..  
ويؤتى به الى المجتمعين .. وتبين شخصية اللص فاذا هو  
بيلى دن وسمى ماترنى دن والد ايللى الذى نعتة شوتوثر  
باللصوصية اول ما رآه فى هذه المسرحية .. ويتبين أيضا أن  
اللص يتذرع باللصوصية لكى يعطف عليه أهل الندار فيمنحونه  
شيئا ويطلقون سراحه .. ولكن الذى يذهل الجميع أن هذا  
اللص بيلى دن كان زوج المريية چينيس منذ زمن بعيد ، وأنها  
لا تزال تلعنه حتى اليوم .

والى هنا .. تكون المسرحية قد استطالت وذهبت كل  
مذهب .. والظاهر أن شو كان قد تركها زمنا طويلا .. ثم عاد

ليتمها بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها .. فماذا يصنع ؟ ..

انه يرسل على الناحية غارة جوية من غارات الألمان .. فيلوذ المجتمعون كل منهم بناحية يظنها تنجيه من قنابل العدو .. ويفر اللص ييلى ويفر معه مانجان .. وهما من رجال الأعمال دائما .. الى مخبأ فى كيف بأسفل الدار ..

ثم اذا انتهت الغارة .. رأينا الجميع سالمين لم يصيبهم أذى :: الا .. ييلى ومانجان .. فان قبلة تصيبيهما اصابة مباشرة وتريح ظهر الأرض منهما !

\* \* \*

وبعد .. فهذه خلاصة سريعة لتلك المسرحية الرمزية البديعة التى يشوهها التلخيص كما يشوه غيرها من المسرحيات .. انها المسرحية التى يقول الفنان الأمريكى اورنس لانجر L. Langner مؤسس مسرح الجيلد بنيويورك ومؤلف كتاب : الستار السحري The Magic Curtain انه لولا شراء هذه المسرحية من شو واخراجها بمسرحه لأفلس المسرح وأغلق أبوابه الى الأبد .. وقد أخرجت سنة ١٩١٩ فتهاقت الأمريكيون على مشاهدتها كما لم يتهافتوا على مسرحية من قبل .. ولكن النقاد اختلفوا فيها مع ذلك .. فبعضهم رفعها الى مستوى

كانديدا وبچاليون .. والى مستوى القديسة جوان  
( جان دارك ) التى كتبها شو فيما بعد .. وبعضهم عدها آية  
شو الكبرى .. لكن بعضهم لم يفهمها .. وقد سأل الذين  
لم يفهموها شو عن مغزاها والام ترمى .. فأجابهم ساخرا  
كعادته .. « اثنى أنا المؤلف فقط .. وعليكم أتم أن تقولوا الى  
ما مغزاها ! » والحقيقة أن جمال المسرحية .. بل جمال  
مسرحيات شو دائما فهو احتشاد الأفكار فيها وأخذ بعضها  
بخناق بعض .. ثم هذه السخرية التى تأتى مفردة وتأتى  
مجتمعه .. يعبها شو على المجتمع والساسة والسخفاء جميعا ..  
وهذا القطيع الانسانى الذى ينهش بعضه لحم بعض .

لقد شق الكاتبان المسرحيان الانجليزيان بنيرو وجونس  
أبواب المذهب الواقعى بمسكلاته الاجتماعية التى لا تنتهى  
لشو .. ثم فتحه وليم آرشر على مصراعيه حينما ترجم الى  
الانجليزية مسرحيات ابسن .. أستاذ شو الأكبر .: ثم كانت  
سخریات أوسكار ويلد التى أخذ منها بنصيب .. ولكن الذى  
يجب علينا أن نتذكره ولا نساها أبدا هو أن شو كان — كما  
قدمنا — ناقدا قبل كل شيء ، وأنه لم يكتب للمسرح الا لينتقد  
المجتمع الذى يعبش فيه .. وينتقد على أسس اشتراكية  
صارخة .. انه فيلسوف اشتراكى متطرف ينتقد نظم الحياة

الرأسمالية واساليبها القذرة التي زادها الانقلاب الصناعى والتوسع التجارى والاحتكار الانجليزى لأسواق العالم قذارة وتطرفا .. وشو يربط بين النتائج الاقتصادية والنتائج الأخلاقية فى فلسفته التي يشرحها شرحا وافيا فى كتابه الفذ : « مرشد المرأة الذكية .. » .

وينهب بعض تقاد شو الى أن اليوم الذى سوف ينسأه الناس فيه هو يوم قريب لا ريب فيه .. وهم يحتجون لهذا بأنه كان يتنبأ بأشياء ويدعو الى اصلاحات كاد معظمها أن يتم .. ومن ثمة تصبح الاصلاحات التى كان يدعو اليها غير ذات موضوع .. ومن ثمة أيضا سوف ينسى الناس شو .. وفى رأينا أن هذه مبالغة اذا صحت على عدد من مسرحيات الرجل فانها لن تصح على معظم مسرحياته .. ولا سيما مسرحياته الانسانية ذات الصبغة العالمية والتي لن يشبع العالم من تمثيلها وقراءتها أبدا .. وهذا هو ما كان حال مسرحيات شيكسبير التى أهل الآن عدد كبير منها وكانت ترجمتنا له — وأسفاه — تضييماً للجهد .. ولا أذكر المال ..

والذين يقولون هذا القول يفوتهم أن شو وان كان ينقد مشكلات زمن بعينه ويسخر من أهل الجيل الذى عاش فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر والستين الأربعين من القرن

العشرين ، كان يسخر بطريقته الفذة التي تثير الضحك ، وسوف تظل تثيره طالما أن هناك انسانية فوق هذا الكوكب الذي نعيش فيه .. ذلك أن واقعية شو ليست واقع الحياة نفسها .. وهذه نقطة في منتهى الأهمية ، ويجب على من يدرس شو أن يلقى بانه اليها دائما .. ان واقعية شو هي واقعية أفكار تولدت في ذهنه من انطباعات فعلت فعلها فيه ، ثم جعل ينسئها ويجترها حتى أخرجها هذا الاخراج الساخر المضحك الذي يجعلها غريبة على واقع الحياة وبعيدة عن هذا الواقع الذي يعرفه الناس جميعا .. وسيظل هذا هو حال أفكار شو وحال مسرحياته طالما كانت هناك انسانية كما قدمنا .. ومن هنا أيضا ما فطن اليه بعض نقاد شو من أن شخصيات مسرحياته ليست شخصيات واقعية كسائر الشخصيات التي نعرفها في مسرحيات غيره من الكتاب المسرحيين .. ان شخصيات شو لا تزيد على كونها « دمي » من صنع يديه هو .. ومن صنع ذهنه الواسع الشاسع الجبار .. يخلقها .. ثم يتذف بها في المسرحية أو على خشبة مسرحه الذهني ليؤدى كل منها الدور الذي تمثله ذهن شو ورسم له خطوطه بطريقته الغريبة التي لم يحد عنها قط منذ أن كتب للمسرح .. وفي هذا بالضبط يختلف شو عن شيكسبير الذي كان يرسم لنا في شخصياته

واقع الحياة البشرية كما نعهد نحن هذا الواقع .. ولا سيما في عواطفنا وأمزجتنا المختلفة المتعددة .. عواطفنا وأمزجتنا التي تتلاعب بنا وتحركنا لما نريد وما لا نريد ، كما كانت المقادير في المسرحيات اليونانية الكلاسية تحرك الناس لما يريدون أو ما لا يريدون .. من هنا كان شيكسبير يمثل البشرية في صورها الحقيقية .. ومن هنا كان شو لا يمثل الا نفسه ، وكانت جميع شخصياته لا تمثل الا نفسها ، لأنها شخصيات من خلق شو ومتولدة عن أفكاره ، ومن زاوية نظرته الى الناس والأشياء .. ولهذا فنحن نخرج من مسرحيات شو بأفكار تضطرب بها نفوسنا وأذهاننا .. أفكار تولدها المشكلات التي يعرضها علينا شو من وجهة نظره هو .. أفكار قلما تعطينا الصورة الحقيقية — أو الصورة الواقعية — لأية شخصية انسانية نعرفها .. واذا أردت المثال على ذلك من مسرحيات مشهورة تكون قد رأيتها . فاذكر الصورة التي رسمها لك شو عن نابليون في « رجل الأقدار » .. ثم سل نفسك هل صحيح كان نابليون هو ذلك الرجل المضحك التافه الذي عبده فرنسا ولا تزال تعبده ، ولا يزال القادة والناس جميعا يجلونه ويرفعون مكانته ؟ .. وقس على نابليون رتشر ددجن في « تلميذ الشيطان » وكانديدا في « كانديدا » .. بل قس

على ذلك جميع الشخصيات في جميع المسرحيات التي لخصناها لك من مسرحيات شو حتى تلك المسرحية التي تقدم لها .. انك ان فعلت هذا لتبين لك أن جميع شخصيات شو « دمي » حقا .. لكنها دمي تفلسف بلسان شو .. وهي تفلسف بهما كان الاطار الذي جيسها فيه .: فالخادم يفلسف ، والخادمة تفلسف ، والملك يفلسف ووزيره يفلسف .. وجميع مخلوقاته يفلسفون .. وهم يفلسفون فلسفة عميقة أحيانا وفلسفة خرقاء حمقاء أحيانا .. ومن هنا مصدر الضحك عند شو الذي يتكلم بلسانه هو على السنة هذه الشخصيات جميعا .. هذه الشخصيات التي يتخذها بوصفه ناقدا اجتماعيا اشتراكيا وفيلسوبا يريد أن يغير وجه التاريخ البشري في جميع ملامحه .. يتخذها وسيلة لبث آرائه ووجهات نظره في جميع شؤون البشر .. ولهذا كان الصراع عند شو صراعا مضحكا بين أفكار وآراء متنافرة ، وليس صراعا بين شخصيات لكل منها هدفها الذي يريد أن تبلغه ، ولا تبالي أن تحطم في سبيل الوصول اليه كل من يتف بسبيلها .. والصراع بين الأفكار عند شو هو الذي جعل معظم مسرحياته ملامهي دعابات ذهنية أو Comedy of fun .. قلما تبكيها .. وهي اذا أسالت الدموع في مآقينا أسالت دموع الغبطة ولم تسل

دموع الغم ، كما تفعل بنا مآسى شيكسبير ومارلو وراسين ..  
وهذا فرق ما بين شو وبين شيكسبير وغيره من سائر الكتاب ..  
ومن ثمة كان ما يذهب اليه شو من تفضيل نفسه على شيكسبير  
فزوة لا تقوم على أساس .. لأنه شيء .. وشيكسبير شيء  
آخر .. واذا كان شو قد نعت شيكسبير بأنه « نثال » ينشل  
قصص الغير ثم يعمل فيها عبقريته .. فهذا نعت ينطبق على  
شو الى حد بعيد أيضا .. فشو لم يتدع الاشتراكية ، بل  
أخذها عن غيره — ولا نقول نشلها - والاشتراكية هي التي  
كيفت ذهن شو .. ثم هو قد كتب طائفة من المسرحيات التي  
سبق غيره الي موضوعاتها .. ولا سيما المسرحيات التاريخية ..  
وهو قد فلد ابنن تقليدا واسعا ، بل قبس عنه كثيرا من  
موضوعاته -- مثل كانديدا — وكثيرا من شخصياته .. مثل  
شوتوقر في هذه المسرحية وهي التي قلد فيها شخصية  
اكدال في مسرحية « البطة البرية » ، وان كان بارعا في  
مواراة التقليد .

ومقدمات شو لمسرحياته .. تلك المقدمات المرفة في  
الطول .. انها جسيما عرض لمشكلات ناقشها الكتاب والفلاسفة ،  
وناقشتها الصحافة بالفعل ، وتناولها الاخصائيون في كتب  
مستقلة .. فهل يصح أن نقول ان شو قد « نشلها » كما كان

يفعل شيكبير ؟ وعلى ذكر هذه المقدمات نقرر أن عددا قليلا جدا من المخرجين كان يحفل بقراءتها أو الفاء النظر الخاطف عليها .. ولعلمهم كانوا على حق في ذلك .. فالإخراج المسرحي عمل فني يجب أن ينحصر في المسرحية نفسها .. وفي المسرحية من وجهة نظر المخرج ، وليس من وجهة نظر المؤلف ! .. وهذا هو ما كان يذهب إليه إدوارد جوردون كريج .. الذي كان يعد توجيهات شو المسرحية توجيهات طويلة مملة مسرفة ، بل توجيهات طفيلية يتدخل بها شو في صميم عمل المخرج .. حتى لقد طرده مرة وهو يخرج لوالدته الن ترى إحدى مسرحياته « لتدخله السمج في صميم عمله الفني ! » .. ثم ضاق به بعد ذلك ذرعا فلم يُخرج له قط !

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن ظهور مسرحية « منزل القلوب المحطمة » أو « منزل الحشرات » هذه كان تطورا غريبا في فن شو .. تطورا يتسم بما كانت تتسم به مسرحيات الكاتب الروسي تشيكوف الذي كان يحشد في مكان واحد أفراد أسرة واحدة وهم يمرون بظرف تعس من ظروف الحياة .. فلا يزال يمضى بهم حتى يعبروا ذلك الظرف .. مع فارق واحد بين الكاتبين .. هو أن شو كان يحشد أفكارا .. بينما تشيكوف

كان يحشد أشخاصا حقيقيين نذكرهم بدواتهم بينما نسي  
أشخاص شو ولا نذكر الا أفكارهم !

ولكن .. يا ترى ! ماذا كان من أمر شو بعد كتابته هذه  
المسرحية ؟ ..

ذلك ما لا يتسع له المجال الآن .: فالى لقاء آخر  
ان شاء الله .

درينى خشبة

## مقدمة المؤلف

### منزل القلوب المحطمة و حظيرة الجياد

#### أين يقع منزل القلوب المحطمة ؟

ليس منزل القلوب المحطمة اسم المسرحية التي تلى هذه المقدمة فقط ، وإنما هو أوروبا المتمدينة العاطلة قبل الحرب ، وعندما بدأت كتابة هذه المسرحية لم تكن قد أطلقت رصاصة واحدة ، وكان الساسة المحترفون والقللة القليلة من هواة السياسة الخارجية هم وحدهم الذين يعرفون أن المدافع معبأة . وقد قدم المؤلف المسرحى الروسى تسيكوف أربع دراسات مسرحية فائنة عن منزل القلوب المحطمة مثلت منها فى إنجلترا ثلاث هى « بستان الكرز » و « العم فانيا » و « النورس » ، وأما تولستوى فقد طلعنا عليه فى مسرحيته « ثمار المندية » بطريقته المتكبرة المتوحشة ، ولم يعطف عليه لأنه كان بالنسبة إليه المنزل الذى ستختنق فيه أوروبا حتى الموت ، وكان يعلم أن ما أصابنا من ضعف وعقم تام فى جو الصالونات الحار سيسلم العالم كله الى تحكم الدهاء والقوة المشويين بالجهل الخالين

من المروءة ، مع نتائجها المخيفة التي لحقت به الآن . ولم يكن تولستوى متشائما ، فأبى أن يترك المنزل قائما ما دام في استطاعته أن يهدمه على رؤوس سكانه المترفين ذوى الجمال والظرف ، وقد أحسن استعمال المعول في تصميم وغالغ حالة السكان كما يعالج صرعى الأفيون ، إذ يقبض على المرضى بخشونة ويعاملون بمنف إلى أن يفيقوا ، أما تشيكوف ، وهو أكثر ميلا إلى القدرية ، فإنه لم يثق بقدرته هؤلاء الناس ذوى الفتنة على تخليص أنفسهم ، فرأى أن تعرض ممتلكاتهم للبيع وأن يشردوا بأمر المحكمة ، ولذلك لم يحجم عن استغلال قننتهم ، بل عن تملقها (١) .

### السكان

ولما كانت مرحيات تشيكوف أقل ربحا من الأراجيح في مدينة الملاهي ، فإنها لم يزد عرضها عن حفلتين قامت بهما « جمعية المسرح » ، فالمسرح في إنجلترا لا تزيد عن كونها أعمالا تجارية عادية . وقد حملقنا وقلنا « يا للطابع الروسى ! » ، ولكنها لم تؤثر في من هذه الناحية ، فكما أن مرحيات

(١) مسرحية « بسنان الكرز » لتشيكوف تنتهى ببيع ممتلكات الأسرة الأرستقراطية الريفية التي تملك البستان . ( المراجع ) .

ابسن ذات الطابع الترويجي العميق تلائم تماما كل ضاحية من الضواحي التي تسكنها الطبقة المتوسطة وطبقة أرباب المهن في أوروبا ، فان هذه المسرحيات ذات الطابع الروسي العميق تلائم كل البيوت الريفية في أوروبا ، حيث حلت مباحج الموسيقى والفن والأدب والمسرح محل القنص والرماية وصيد السمك والمغازلة والأكل والشرب . فالناس اللطاف هم هم ، والعقم .  
النام هو هو ، الناس اللطاف يستطيعون القراءة ، وبعضهم يستطيعون الكتابة ، وهم المستودع الوجد للثقافة ، لديهم الفرص الاجتماعية للاتصال بالسبسين وكبار الموظفين وأصحاب الصحف عندنا ، وكل الفرص للمشاركة في نشاطهم أو توجيهه ، ولكنهم تباعدوا عن الاتصال بهم لأنهم يكرهون السياسة ولا رغبة لهم في تحقيق المندية الفاضلة لسواد الناس ، فهم انما يرغبون في أن يحققوا قصصهم وأشعارهم المفضلة في حياتهم الواقعة ، ولا يأنفون أن يعيشوا - اذا استطاعوا - على دخل لا يقومون بأي مجهود لكسبه . أما نساؤهم فانهم يقلدن في صباهن كواكب المسرح الاستعراضى ، ثم يستقر بهن الأمر بعد ذلك على تقليد ألوان الجمان التي كان يتخيلها فنانو الجيل السابق . لقد أخذوا القسم الوحيد من مجتمعنا الذي يسمح بفرص سانحة للثقافة العالية وجماعوا منه خواء اقتصاديا

وسياسيا ، بل عملوا كل ما استطاع لجعله خواء أخلاقيا أيضا ،  
ولما كانت الطبيعة تمتقت الفراغ فقد ملأته في الحال بالجنس  
وكل أنواع المسرات المصفاة ، وأصبح مكانا ممتعا يتجلى جماله  
في لحظات الراحة ، أما في غير تلك اللحظات فكان جالبا  
للنواب و لكنه كان بالنسبة لرؤساء الوزارات ومن على  
شاكرتهم كابوا (١) حقيقية .

### حظيرة الجياد

ولكن أين كان أكبر أعضاء الجمعيات التشريعية ان  
لم يكونوا هنا ؟ حظيرة الجياد هي البديل لمنزل القلوب المحطمة  
وهي تتكون من سجن للخيل وملحق للسيدات والسادة  
الذين يركبونها ويعطادونها ويتحدثون عنها ويشترونها  
ويبيعونها ويخصمون تسعة أعشار أعمارهم لها ، أما العشر  
الباقى فيقسمونه بين الاحسان والذهاب الى الكنيسة ( بدلا  
من الدين ) وانتخاب المحافظين ( بدلا من السياسة ) . ولا شك  
أن الدائرتين تختلطان عند الحدود ، فالمنفيون من المكتبات  
وقاعات الموسيقى ومعارض الصور نجدهم وقد ذبلوا بين  
الحظائر وتملكهم الضجر والشقاء ، كما أن الفارسات الجريئات  
(١) كابوا مدينة رومانية مشهورة بالترف والثقافة (المترجم)

اللائي يغلبهن النوم عند سماع أول نغسات شومان قد ولدن في حدائق كلنجسور<sup>(١)</sup> وفي ذلك وضع للشيء في غير موضعه ، ولكن أحيانا كان يظهر بين مروضى الخيول ومحطى القلوب من يستطيع الحصول على أكبر منفعة من العالمين . ولكن الأعم الأغلب أن العالمين منفصلان ، وبناء على ذلك كان على الطبقة التى ينتمى إليها رئيس الوزراء أن تختار بين البربرية وبين الثقافة والترف ، ومن الصعب أن نقول أى الجوين كان أشد افسادا اتين الحكم .

### ثورة على الرف

كانت النظريات الثورية — على الورق — مألوفة في منزل القلوب المحطمة ، فقد كان هذا المنزل يبغى التقدم والتحرر الفكرى ، وقلما كانوا يذهبون الى الكنيسة أو يسهون الا اذا أرادوا مزيدا من المرح فى عطلة نهاية الأسبوع . فاذا ما قضيت الفترة بين الجمعة والثلاثاء فى هذا المنزل فانك واجد فى حجرة نومك على الرف الى جانب دواوين الشعر والقصص

(١) شخصية ساحر فى أوبرا فاجنر « برسيغال » كان يسئولى على النساء الجميلات ويستخدمهن فى اغواء فرسان طائفة « الجريل » (المراجع) .

كتب علماء الأحياء والاقتصاد الثوريين . وإذا لم يوجد ثمة قليل من المسرحيات بقلمى وقلم مستر جرانفيل باركر ، وقليل من القمص بأقلام مستر ه . ج . ويلز ومستر ارنولد بينيت ومستر چون جالزورثى ، فإن المنزل لا يعد متقدما . وانك لو اجد بليك من الشعراء والى جانبه برجسون وبتلر وسكوت هالدين وأشعار ميريديث وتوماس هاردى ، وعلى العموم كل الأدوات الأدبية التى تكون العقل الكامل للاشتراكية الحديث الذى يؤمن بالتطور الخالق (١) . وانها لتجربة غريبة أن تقضى يوم الأحد فى الفوص فى هذه الكتب ثم تقرأ صباح الاثنين فى الصحف اليومية أن البلاد قد وصلت الى حافة الفوضى لأن وزيرا جديدا للداخلية أو مديرا جديدا للشرطة — دون أن يكون لديه أية فكرة عن أن جدته الكبرى لم يكن لديها ما تعتذر عنه — رفض أن « يعترف » بأحدى النقابات العمالية القوية ، تماما كما يرفض الجنود الاعتراف بوجود باخرة حمولتها عشرون ألف طن .

---

(١) « التطور الخالق » نظرية الفيلسوف الفرنسى برجسون ، الذى أراد أن يرد بها على الماركسية ، فالزج بين الاشتراكية والتطور الخالق سخرية مقصودة من ضعف ذوى الترف الثقافى عن اتخاذ موقف فكرى واضح . (المراجع)

وبالاختصار كانت القوة والثقافة منزلتين كلناهما عن الأخرى . ولم يكن البرابرة في مكان القيادة فقط بل كانوا -- حقيقة لا مجازا -- في المقاعد الأولى من مجلس العموم ، دون أن يجدوا من يصحح لهم جهلهم الفاضح بالفكر الحديث والعلوم السياسية الا محدثي النعمة من التجار الذين قضوا حياتهم في ملء جيوبهم بدلا من عقولهم ، وكلا الفريقين ولا شك مدرب على التعامل مع المال والرجال الى الحد الذي يجعلهما يحصلان على المال ويستغلان الرجال ، وعلى الرغم من أن هذه البراعة لا تستحب مثلها مثل براعة البارون اللص في القرون الوسطى فانها تؤهل الرجال لادارة ممتلكاتهم و تجاراتهم وفقا للروتين القديم دون حاجة الى فهم ، تماما كما يحافظ تجار بوندستريت وخدم المنازل على استمرار المجتمع العصري دون أى دراسة لعلم الاجتماع .

### بستان الكرز

ولكن أصحاب القلوب المحطمة ما كانوا يستطيعون أو يرغبون أن يفعلوا شيئا من هذا القبيل ، فانهم — وقد امتلأت أذهانهم بتنبؤات متر هـ . ج . ويلز كما خلت أذهان حكامنا الفعليين من تنبؤات ارازموس وسير توماس مور —

كانوا يرفضون عبودية السياسة ، وما كانوا ليحسنوا مثل هذا العمل حتى لو غيروا أفكارهم ، وما كان يسمح لهم بالتدخل على أى حال ، فإن وجودنا فى عصر التصويت العام يجعل دخول أى انسان ذى ثقافة حديثة جادة الى البرلمان امرا متحيزا الا اذا اتفق أن كان لوردا بالوراثة . ولكنهم لو دخلوه لأصبحوا — وقد اعتادوا حياة الخواء — خائين لا تأثير لهم فى الشؤون العامة ، فقد كانوا حتى فى حياتهم الخاصة خائين مضيعين لما ورثوه ، كأشخاص تشيكوف فى مسرحية بستان الكرز ، وحتى هؤلاء الذين يعيشون فى حدود دخلهم كان يسيّرهم فى الحقيقية محاموهم ووكلاء أعمالهم ، فقد كانوا عاجزين عن تديير ممتلكاتهم أو ادارة أعمالهم دون مساعدة مستمرة من هؤلاء الذين تعلموا كيف يقومون بمثل هذه الأعمال كسورد رزق لهم .

ولن يرجى أى اصلاح للحالة التى نحن عليها عن طريق ما يسمونه الديموقراطية ، فمن الأقوال المأثورة أن كل شعب يحصل على الحكومة التى يستحقها ، ولكن الأقرب الى الصحة أن كل حكومة تحصل على الناخبين الذين تستحقهم ، فإن خطباء البرلمان يستطيعون حسب مشيئتهم أن يثقوا الناخب الجاهل أو يفسدوه ، وهكذا تسير ديموقراطيتنا فى دائرة مفرغة من الاستحقاق وعدم الاستحقاق المتبادلين .

## ديون الطبيعة الطويلة الأمد

من سوء الحظ أن طريقة الطبيعة في معاملة الحالات الفاسدة ليست مما يدفعنا الى اتخاذ تدبير للسداد على أساس الدفع العاجل ، فانها توهن عزيمتنا بالقروض الطويلة الأجل والشطط في تجاوز الرصيد ثم تصدمنا بقسوة بنكبة الافلاس .

خذ مثلا الاجراءات الصحية العادية في المنازل ، فقد يهملها جيل كامل في احدى المدن اهمالا تاما فاضحا ولا يصيبه من ذلك ضرر ما ، أو يصيبه من الضرر ما لا يفكر أحد في أن يعزوه الى ذلك السبب ، وقد يسكت جيلان من طلبة الطب في احدى المستشفيات عن القذارة والاهمال ، ثم يخرجون الى الحياة العامة لينشروا مذهبهم في أن الهواء الطلق ليس الا بدعة وأن حفظ الصحة ليس الا احتيالا قصد به منفعة السباكين ، ثم تنزل الطبيعة انتقامها فجأة ، فتصب على المدينة الطاعون وتصب على المستشفى وباء الفرغرينا وتظل تقتل يمينا ويسارا حتى يدفع الشبان الأبرياء ثمن أخطاء الشيوخ ، ويتوازن الحساب ، ثم تعود مرة أخرى الى النوم وتعطى الناس فترة أخرى من الديون ، لا تختلف نتائجها عن النتائج السابقة .

وهذا هو ما حدث أخيرا في أحوالنا الصحية السياسية ، فقد شهدت من اهمال الحكومات والناخبين للعلوم السياسية

مثلما حدث في عصر شارل الثاني من اهمال علم الصحة .  
فالعلاقات الدبلوماسية الخارجية لم تكن الاعمالا صيانية  
بلا قانون ، من دسائس العائلات ، والقرصة التجارية  
والاقلية ، والامسكانة الناشئة عن طيبة مدعاة نتيجة الكسل ،  
ونوبات النشاط العنيف التي يحدثها الذعر . ولكننا ظللنا على  
اسرافنا في هذه الجزيرة ، وقدمت الينا الطبيعة قروضا طويلة  
الاجل اكثر مما قدمت لفرنسا أو ألمانيا أو روسيا ، فمند  
البريطانيين الذين ماتوا حتف أنوفهم في سنة ١٩١٤ كان الرب  
من الاختفاء تحت الأرض خوفا من القنابل التي يسقطها الأعداء  
على لندن أبعد عن التصور وأوغل في الخيال من الخوف من  
ظهور مستعمرة من ثعابين الكوبرا والحيات ذات الأجراس في  
حدائق كينسجتون . لقد حذرنا تشارلس ديكنز في رواياته  
المليئة بالتنبؤات من كثير من الشرور التي حدثت من بعده ،  
ولكن لم يكن ثمة فئس ينبيء عن شر اقتل أمام أبواب بيوتنا  
بأيدي الأعداء من الأجانب . لقد أقرضتنا الطبيعة قرضا  
طويل الأمد جدا ، وقد أتلفنا فيه ما شئنا ، ولكن عندما هاجمتنا  
الطبيعة كان هجومها انتقاما ، فقد ظلت أربع سنوات تقتال  
أطفالنا وتعيب علينا الأوبئة التي لم تحلم بها مصر قط ، وكان  
من الممكن التغلب عليها جميعا كذلك الطاعون الكبير الذي

أصاب لندن ، وما حدثت الا لأنها لم تمنع ، ولم ينته أمرها  
بالاتتصار في الحرب ، فهذه الأرض لا تزال تنشق عن جثث  
المتصرين .

### نصف القرن الشرير

من الصعب أن نقول أيهما أكثر شرا : الالهال واللامبالاة  
أم المبدأ الزائف ، ولكن لسوء الحظ أن منزل القلوب المحطمة  
وحظيرة الجياد مصابان بالمرضين جميعا . فقيل الحرب بنصف  
قرن كانت المدينة تندفع مسرعة نحو دمارها تحت تأثير علم  
كاذب جالب للنواب شأنه شأن الكلفنية في أشد صورها  
سوادا ، فقد كانت تعاليم الكلفنية تقول بأننا لن نستطيع تغيير  
قدرنا الذي كتب علينا من قبل : النجاة أو الهلاك ، ومع ذلك  
فإن الكلفنية لم تبين للانسان الطريقة التي يعرف بها ان كان  
من أصحاب السعادة أو الشقاء ، ومن ثم فقد تركت لديه  
اهتماما معقولا بتشجيع آماله في الخلاص وتلطيف مخاوفه  
من اللعنة بالتصرف كما يجب أن يتصرف أحد المقربين لا أحد  
المبعدين . ولكن في منتصف القرن التاسع عشر أكد علماء  
الطبيعة والتاريخ الطبيعي للعالم ، باسم العلم : أن الخلاص  
واللعنة هراء وأن الجبرية هي خلاصة الحق في الدين ، بما أن

الناس ليسوا الا ثرة بيئتهم ، فليست ذنوبهم وحسناتهم  
الا سلاسل من ردود الفعل الكيميائية والميكانيكية لا سلطان  
لهم عليها ، وقد ائقنوا أن خرافات العقل والاختيار والفرض  
والضمير والارادة وما أشبه ليست الا أوهاما ، صنعت لفائدتها  
في صراع الآلة الانسانية المستمر للاحتفاظ بالوسط الذى  
يعيش فيه الناس فى حالة موافقة ، وهذه عملية تعرض فى أثناءها  
تدمير منافسى هذه الآراء أو اخضاعهم بلا رحمة ، فى سبيل  
الحصول على وسائل البقاء التى يمكن الحصول عليها  
( والمفروض أنها محدودة ) . وقد علمنا بروسيا هذه الديانة ،  
ولكنها بزتنا فى تعاليمنا بكيفية جعلتنا نجد أنفسنا مضطرين  
الى أن نحطم بروسيا لنسنعها من تحطيمنا ، وكانت نتيجة ذلك أن  
كلا من الدولتين حطمت الأخرى لدرجة لا يرجى معها امكان  
اصلاحهما فى وقتنا الحالى .

ولعل سائلا يسأل كيف أمكن لمخلوقات ذكية أن تقبل  
مثل هذه العقيدة الخرقاء الخطرة ، وهذا ما سأجيب عنه اجابة  
مفصلة فى مقدمة المجموعة التالية من مسرحياتى التى سأخصعها  
لهذا الموضوع ، أما الآن فيكفينى أن أقول انه كانت هناك  
أسباب أقوى من هذا السبب الظاهر : أقوى من أن مثل ذلك  
العلم الكاذب يفتح مستقبلا علميا لرجال شديدى الغباء ، كما

يفتح كل أنواع المستقبل الأخرى للأوغاد الوقحاء بشرط أن يكونوا مثابرين الى درجة كافية ، صحيح أن هذا الدافع كان له تأثير قوى ولكن عندما بدأ الاتجاه الجديد في المبادئ العلمية ، الذى اقترن باسم عالم التاريخ الطبيعى الكبير تشارلس داروين ، لم يكن ذلك رد فعل فقط لفلسفة غائية بربرية مدسوسة على الانجيل ، كانت تقف سدا منيعا أمام كل تقدم علمى ، ولكنها كانت مصحوبة فى وقتها باكتشافات بالغة الأهمية فى الطبيعة والكيمياء وهذه الطريقة الجامدة فى النشوء والارتقاء التى سماها الباحثون نظرية الانتخاب الطبيعى . ومع ذلك فلم يكن هناك الا نتيجة واحدة ممكنة فى النطاق الأخلاقى ، وهى ابعاد الضمير عن الأعمال الانسانية ، أو كما عبر عنها سامويل بتلر فى حرارة « نفى العقل من الكون » .

### مرض الوهم

منزل القلوب المحطمة وعلى رفوفه كتب بتلر وبيرجسون وسكوت هالدين الى جوار كتب بليك وغيره من عظماء الشعراء ( ولا نذكر شيئا عن فاجنر وغيره من شعراء النغم ) لم تعه تماما تلك المادية الغبية ، مادية المختبرات ، كما أعمت عيون غير المثقفين فى العالم الخارجى ، ولكنه لما كان منزلا تافها

فقد أصبح مريضاً بالوهم ، يسعى دائما الى العلاج ، فقد  
يمتع عن أكل اللحوم لا على الأسس السليمة المأثورة عن  
شياى ولكن للتخلص من عفريت اسمه الحامض البولى ، وقد  
يتركك تخلع كل أسنانه ليطرده شيطانا آخر اسمه تقيح اللثة .  
وكان يؤمن بالخرافات ، ويدمن « دقات المنضدة » وجلسات  
تحضير الأرواح والكشف عن المستقبل وقراءة الكف والتطلع  
فى الكرة البللورية وما أشبه ، بحيث يمكن الشك فى أن  
العرافين والمنجسين والمطيين غير المرخص لهم قد نجحوا فى  
أى عصر سابق من تاريخ هذه الدنيا كما نجحوا خلال نصف  
القرن هذا الذى يجرف الناس نحو الهاوية ، فقد كان الأطباء  
والجراحون المسجلون فى عناء شديد من منافسة غير المسجلين  
لهم اذ لم يكونوا على مهارة تجعلهم يثيرون خيال أصحاب  
القلوب المحطمة وائتناسهم بفن المشل والخطيب والشاعر  
والمحدث الناجح ، فاضطروا الى اللجوء بخشونة الى بث  
الرب من العدوى والموت ، وكانوا يعالجون بالتطعيم  
والعمليات ، فكانوا ييترون أى جزء من جسم الانسان يسكن  
بتره دون قتل محتم ، وكثيرا ما كان يموت نتيجة لل عملية ( دون  
أن يكون ذلك لازما بالطبع ) ، وقد تدرجوا من العمليات  
البيطة فى اللهاة أو اللوزتين الى الميايض والزوائد الدودية

حتى لم يبق بطن أحد من الناس سليما . وقد قالوا ان أمعاء الانسان طويلة شديدة الطول ، وأنه ما من شيء يجعل ابن آدم في صحة جيدة غير تقصير طريق الفتحة البوابية للمعدة وذلك بقطع جزء طويل من الأمعاء السفلى وربطها مباشرة بالمعدة . ولما كانت نظريتهم الميكانيكية قد علمتهم أن الطب هو شغل الكيميائي في معمله ، والجراحة شغل النجار في دكانه ، وعلمتهم أيضا أن العلم ( ويقصدون بذلك ممارستهم وتجاربهم ) كان له من خطر الشأن ما يجعل أى اعتبار لمصلحة مخلوق ما ، سواء أكان ضفدعة أم فيلسوفا ، دع عنك العموميات الدارجة من علم الأخلاق العاطفى — أقل من أن يرجح للحظة واحدة أدنى أمل فى اضافة شيء الى حصيلة المعرفة العلمية — لذلك فقد راحوا يجرون الجراحات ويشرحون ويطعمون ويكذبون بكثرة رهيبية ، وهم يصرخون طالبين ما حصلوا عليه فعلا من حقوق قانونية على أجساد اخوانهم المواطنين لم يستطع أن يدعيها قط ملك ولا بابا ولا برلمان ، حتى ان ديوان التفتيش نفسه كان مؤسسة حرة اذا ما قورن بالمجلس الطبى العام .

هؤلاء الذين لا يعرفون كيف يعيشون يجب ان يموتوا بجداراة كان منزل القلوب المحطمة أشد كسلا وسطحية من أن يخلص نفسه من قصر السحر الشرير هذا . كان يتغنى بالحب

ولكنه يؤمن بالقسوة . وكان يخشى الفساة من الناس ولكنه يرى أن القسوة على الأقل نافذة الأثر ، فالقسوة تصنع أشياء تجلب المال ، في حين أن الحب لا يصنع شيئا الا أن يؤكد صحة قول لاروشفوكو ان قليلا جدا من الناس يمكن أن يقفوا في الحب ان لم يقرأوا عنه قط ، وبالاختصار لم يكن منزل القلوب المحطمة يعرف كيف يعيش ، فلم يبق له الا أن يفخر على الأقل بأنه عرف كيف يموت . وهي كفاءة كئيبة أتاحت لها نشوب الحرب الحالية فرصا غير محدودة للظهور ، وهكذا هلك الابن البكر لمنزل القلوب المحطمة ، وكفّر الصغار الأبرياء المرجوون عن حماقة آبائهم وتفاهتهم .

### جنون الحرب

هؤلاء الذين عاشوا خلال حرب من الطراز الأول في بيوتهم لا في ميادين القتال ، هؤلاء فقط يمكنهم أن يفهموا مقدار المرارة التي أحس بها شكشير وسويث اللذان مرا بنفس التجربة . ان الفزع الذي رآه بيرچنت في مستشفى المجانين وقد نصبوه امبراطورا عليهم عندما أحسوا بالعظمة الناشئة من وهم الموهبة العظيمة ورؤى فجر عصر فاضل سعيد ، لفزع هادى ، بالنسبة الى تلك التجربة . ولعل أحدا لم يستطع الاحتفاظ

بصفاء ذهنه حقا سوى أولئك الذين كان عليهم أن يفعلوا ذلك  
ليديروا الحرب بلا واسطة ، وما كنت لأستطيع أن أحافظ  
على صفاء عقلي ( بالتقدير الذى فعلته ) لو لم أدرك من فورى  
أنتى أنا أيضا على واجب خطير قبل الناس أن أنزل واعيا  
للحقائق باعتبارى كاتباً وخطيباً . ولكن ذلك لم ينجنى من  
درجة واضحة من زيادة الحساسية . ومما لا شك فيه أنه وجد  
أناس سعداء لم تكن الحرب تعنى شيئا بالنسبة اليهم ، اذ كان  
كل ما يتعلق بالسياسة والأحوال العامة خارجا عن دائرة اهتمامهم  
الصغيرة ، ولكن المدنى العادى الذى أحس بالحرب أصيب  
بالجنون ، وكان الدليل الرئيسى لذلك هو اعتقاد بأن نظام  
الطبيعة كله قد انعكس فكان يشعر أن كل الأطلعة يجب أن  
تغش وكل المدارس يجب أن تغلق ، كما يجب ألا ترسل  
اعلانات الى الصحف التى يجب أن تظهر طبعاتها وتباع كل  
عشر دقائق . ويجب أن يمنع السفر ، فان تعذر ذلك فلتوضع  
عقبات كبيرة فى سبيله . ويجب أن تطرح كل الادعاءات حول  
الفنون الجميلة والثقافة وما أشبه لأن ذلك تكلف لا يحتمل ،  
ويجب أن تشغل معارض الصور والمتاحف والمدارس بعمال  
الحرب . وقد نجا المتحف البريطانى نفسه بمعجزة . وان  
الاخلاص فى ذلك كله ، وفى كثير غيره مما لا يكاد يصدق أحد

لو أننى أرخته ، ليظهر في مثل فهائى واحد من الجنون العام .  
كان الناس يتخيلون أنهم يستطيعون كسب الحرب بالتبرع  
بالمال ، فلم يكتفوا بالتبرع بالملايين لصناديق شتى لا يسكن  
تبيين غرضها ، ولمنظمات خيرية مضحكة كى تقوم بأعمال يظهر  
بجلاء أنها من شأن السلطات المدنية والمسكزية بل انهم كانوا  
يسلمون المال فعلا فى الشوارع لآى لص ( أو لصة ) يدعى  
أنه يجمعه لآبادة الأعداء . وقد تجرأ المحتالون فافتتحوا  
المكاتب ، وسماوا أنفسهم « أعداء الاتفاق مع الأعداء » وراحوا  
يمثلون جيوبهم بالأموال التى تنهال عليهم ، ووجدت شابات  
ذوات ملابس جذابة أنه ما عليهن الا أن يسرن فى الشوارع  
حاملات صناديق التبرعات فى أيديهن ليعشن عيشة فاخرة بسا  
يربحنه ، ومرت شهور كثيرة قبل أن تبدو أول علامة من علامات  
عودة العقل فزجت الشرطة بأحد سكرتيرى جمعية أعداء  
الأعداء الى السجن بتهمة « تشجيع الآخرين » ، وأسبح  
التحمس بجمع البنسات فى « أيام العلكم » منظما بعض التنظيم .

### الجنون فى المحاكم

ولم تخل قاعات المحاكم من الانحدار ، فكان الجنود تبرأ  
ساحاتهم ولو أثبت الاتهام أنهم ارتكبوا جريمة القتل العمد ،

حتى اضطر القضاة والمحققون أخيرا الى اعلان أن ما يطلق عليه القانون غير المكتوب الذي كان يعنى ببساطة أن الجندي يستطيع أن يفعل ما يشاء في الحياة المدنية مع إعفائه من العقاب ، هذا القانون ليس قانون البلاد ، وأن صليب فيكتوريا لا يحمل معه غفرانا مطلقا دائما ، ومن سوء الحظ أن جنون المحلفين والمحققين لم يعلن عن نفسه دائما في حالات التبرئة ، فلم تكن هناك أقل فرصة للنجاح لأي شخص دفعه سوء الحظ الى أن يتهم بأي تصرف ليس فيه طعم جنون الحرب مهما كان التصرف معقولا ونافعا . وقد كان يعيش في البلاد أيضا عدد من الناس يعارضون في الحرب معارضة مبنية على اقتناع ، باعتبارها عملا اجراميا أو غير مسيحي ، وقد أقر البرلمان قانون الخدمة الاجبارية ولكنه أعفى هؤلاء الأشخاص ، عفاهم دون تفكير ، ولم يطلب منهم الا أن يثبتوا أصالة معتقدتهم . وكان من فعلوا ذلك منهم غير حكماء اذا نظرنا الى الأمر من وجهة مصلحتهم الشخصية ، وقد عذبوا بوحشية على الرغم من القانون ، أما هؤلاء الذين لم يظهروا اعتراضا على الحرب مطلقا ، ولم يكتفوا بالتدريب في معسكرات تدريب الضباط بل أعلنوا في مناسبات عامة أنهم على استعداد تام للانضمام الى الحرب الأهلية للدفاع عن معتقداتهم السياسية ، هؤلاء سمح لهم

بالاستفادة من القانون باعتبار أنهم لم يرضوا عن هذه الحرب بالذات . ولم يكن القوم تأخذهم بالمسيحيين رحمة ، ففى الحالات التى يكون الدليل على أنهم قتلوا بسبب سوء المعاملة واضحا ، وأن الحكم سيكون القتل العمد بلا شك لو كان هوى المحلفين معهم ، فقد كان القرار يصدر أنهم غير مذنبين ، فلم تكن هناك الا فضيلة واحدة هى الميل الى الحرب ، ورذيلة واحدة هى الميل الى السلم ، وهذا شرط جوهرى للحرب ولكن الحكومة لم تكن لديها الشجاعة لسن قانون بناء على ذلك ، ولهذا أهمل القانون الحكومى ليحل محله الحكم العرفى .

وقد بلغ الخروج على القانون قمته فى فرنسا ، فقد قتل جوريز أكبر وزير اشتراكى فى أوروبا برصاصة أطلقها عليه سيد استاء من محاولاته لمنع الحرب ، وأطلق الرصاص على مسيو كليمنصو بيد سيد آخر أفكاره أقل شعبية من الأول ، ولكن لحسن الحظ لم يكن لرصاصته تأثير أكثر من أن يقضى كليمنصو يومين فى الفراش على سبيل الاحتياط ، أما قاتل جوريز فقد برىء بجرأة ، وأما من اعتدى على مسيو كليمنصو فقد أدين ببراءة ، وليس هناك من شك فى أن مثل هذا كان سيحدث فى انجلترا لو أن الحرب بدأت بمحاولة ناجحة لقتل كيرهاردى وانتهت بمحاولة فاشلة لقتل لويد جورج .

## ذراع الحرب الطويلة

الوباء الذى يصاحب الحرب عادة اسمه الانفلونزا ، وقد حام الشك حول حقيقة صلة هذا الوباء بالحرب ، فالواقع أن أشد حالات الوباء وجدت فى أماكن بعيدة عن ساحات الحرب وخاصة الشواطئ الغربية لأمريكا الشمالية والهند ، ولكن هذه الظاهرة نفسها تجلت فى الوباء الأخلاقى ، وهو وباء ناتج دون شك عن الحرب ، فقد يظن البعض أن حمى الحرب تثور بأشد قسوتها فى الأقطار التى تدور فيها الحرب فعلا ، وأن الأقطار الأخرى تكون أدنى الى التعقل ، وقد يلتمس العذر لبليجيكا والفلاندرز اذا كشفتنا عن مشاعرهما بشدة أكثر من هز الكتفين والقول « انها الحرب » وذلك لأنه خربت فيها أماكن كثيرة حتى لم يعد فيها حجر على حجر حقيقة لا مجازا ، اذ كانت الجيوش المتقاتلة تتقدم وتتقهقر على أرضها بعد تمهيد فظيع من الضرب بالقنابل ، وانجلترا التى ظلت قرونا كثيرة مصنونة ، حتى لم يكن أحد ليصدق أن الحرب ستكتسح أرض الوطن الا كما يصدق عودة الطوفان ، لم يكن من المنتظر أن تحافظ على رقة تصرفاتها بعد أن عرفت أخيرا كيف يكون الحال عندما يضطر أهلها الى الاحتماء بالمخابئ ومحطات المترو تحت الأرض ، أو النوم على الفرش وقد اثابتهم الرعدة فى

حين تنفجر القنابل وتقوض المنازل وتوزع الطائرات قنابل  
الشرابيل<sup>(١)</sup> على الأصدقاء والأعداء على السواء حتى أن بعض  
واجهات المحلات في لندن ، التي كانت تفص من قبل بالقبعات  
من أحدث طراز ، أصبحت تمتلىء بالخوذات الحديدية . ان في  
جثث النساء والأطفال القتلى ، وأجسامهم المشوهة ، والمساكن  
المحترقة والمهدمة لعذرا لهذه اللغة العنيفة وللسخط الذي  
يستمر طويلا قبل أن يبدأ . ولكن حتى الحرب انتشرت انتشارا  
فاق كل اعتبار في الولايات المتحدة حيث لم تقض الحرب  
مضجع أحد وبينما شهدت محاكم أوروبا انحرافا عن القانون  
مبعثه شهوة الانتقام ، شهدت محاكم أمريكا جنونا هائجا .  
وليس لي أن أؤرخ لمبالات أحد الحلفاء ، فلترك ذلك للأمريكي  
صريح ، ويكفي أن أقول اننا ونحن نجلس في حدائقنا في انجلترا  
حيث نحس بالمدافع المنطلقة في فرنسا وهي تخفق في الجو حتى  
لنكاد نسمعها ، أو ندرس في لندن أوجه القمر بقلوب منقبضة  
ونفكر في مقدار ما يترتب عليها من احتمال أن يصبح الصباح  
وبيوتنا قائمة وأنفاسنا ما زالت تتردد ، أقول اننا — ونحن  
في هذه الحالة — كنا نقرأ في الصحف الأحكام التي تصدرها

(١) نوع من القنابل يحوي على رصاص ينائر عند انفجار

الفلسة . (المراجع)

المحاكم الأمريكية على الفتيات الصغيرات والشيوخ من الرجال لأنهم عبروا عن آراء كانت تعلن في إنجلترا أمام جمهور ضخم بين عاصفة من التصفيق ، وقرأ التقارير السرية عن الطرق التي تجمع بها قروض الحرب الأمريكية فتتملكنا الدهشة حتى لننسى للحظات أصوات المدافع واحتمال غارات الأعداء الجوية .

### الكلاب المسعورة لحراسة الحرية

لم يكتف مجانين الحرب بكل هذا الانتهاك الحقود للقانون الموجود ، بل اندفعوا في هوس ليقضوا على كل الضمانات الدستورية للحرية والسعادة . لقد حل العنف محل القانون العادى ، فهوجمت الصحف وحطمت آلات الطباعة فيها بهجمات بوليسية بسيطة عنى الطريقة الروسية ، وقبض على الناس وأطلق عليهم الرصاص دون تكف مظهر محاكمة يحضرها محلفون أو علنية فى الاجراءات أو أقوال الشهود . ومع أنه كان من أهم الضرورات أن يزيد الانتاج باتباع أفضل الوسائل العلمية فى التنظيم والاقتصاد فى العمل ، ومع أنه من الحقائق المقررة أن امالة مدة العمل والافراط فى الجهد تقلل الانتاج بشكل واضح بدلا من أن تزيده ، فان قوانين المعانع عطلت وظل الرجال والنساء يعملون بطيش أكثر من طاقتهم حتى

أصبح فقد كفاءتهم أمرا واضحا لا يمكن تجاهله ، وكان الاعتراض والتحذير يقابلان اما بالاتهام بالعمل لصالح الألمان ، واما بالتعبير الشائع « تذكرنا الآن في حالة حرب » . وقد قلت ان الناس افترضوا ان الحرب قلبت أوضاع الطبيعة ، وأن كل شيء سيضيع ان لم تفعل بالضبط عكس ما كنا نجده ضروريا ومفيدا في وقت السلم ، ولكن الحقيقة كانت أسوأ من ذلك ، فان الحرب لم تغير عقول الناس بطريقة مستحيلة كهذه ، ولكن ما حدث في الواقع هو أن وطأة القتل والتخريب ، وهى الحقيقة الوحيدة التى يستطيع كل مغفل أن يفهمها قد مزقت أفتحة التعليم والفن والعلم والدين عن جبهتنا وبربريتنا ، وتركتنا تتباهى بشكل مضحك بالرخصة التى وافقت فجأة عواطفنا الخسيسة ومخاوفنا الدنيئة . فلم يزل مقررا منذ كتب توسديد تاريخه أنه حين ينفخ ملك الموت فى بوقه يطير ادعاء المدنية عن رءوس الرجال الى الوحل كما تطير القبعات فى هبة ريح ، ولكن عندما تحققت هذه النبوءة بيننا لم يخفف من هول الصدمة أن قلة من دارسى التاريخ اليونانى لم يدهشوا لها . والحق أن هؤلاء الدارسين ألقوا أنفسهم فى هذه الوليمة الصاخبة دون خجل كغير المتعلمين . ولم يزل القس المسيحى الذى يشترك فى رقعة الحرب دون أن يخلع ملابسه الكهنوتية

أولاً ، وناظر المدرسة المحترم الذى يطرد الأستاذ الألماني مهنا  
اياه ومستعصلا معه العنف قائلاً انه لن يتعلم طفل انجليزي بعد  
الآن لغة لوثر وجيته ، يلقيان استحسانا بفضل الانكار الوقح  
لكل أدب من آداب المدنية وكل درس من دروس السياسة ،  
من جانب أولئك الأشخاص المعهود اليهم حراسة الثقافة  
باعترابهم أساتذة جامعات ومؤرخين وفلاسفة وعلماء . لقد  
كان من الفجاجة الطبيعية ، ولعله كان من الضرورى لأغراض  
التعبئة أن يصور الصحفيون ورجال التعبئة العسكرية الألمانية  
ومطامع الأسرة الحاكمة الألمانية بألوان سوداء وحمراء على  
أنها أخطار تهدد أوروبا ( وهى فى الحقيقة كذلك ) تاركين للناس  
أن يستتجوا أن عسكريتنا ونظامنا السياسى هاجمنا  
الديمقراطية ( وهى فى الحقيقة غير ذلك ) ، ولكن عندما يصل  
الأمر الى التشهير المخبول بالكيمياء الألمانية وعلم الحياة  
الألماني والشعر الألماني والموسيقى الألمانية والأدب الألماني  
والفلسفة الألمانية وحتى الهندسة الألمانية باعتبارها رجسا شريرا  
بينه وبين الكيمياء الانجليزية والفرنسية الخ .. من العلاقة  
مثل ما بين الجنة والنار — يبدو واضحا أن القائلين بهذا الهراء  
الهمجى لم يفهموا أو يهتسوا قط بالفنون والعلوم التى يدعونها  
وينتهكون حرمتها ، ولم يكونوا الا بشس الخلف لرجال القرنين

السابع عشر والثامن عشر الذين لم يعرفوا حدودا وطنية في مملكة العقل البشرى الكبرى ، والذين سموا بأداب اللياقة الأوربية في تلك المملكة — سموا ببلغ درجة التباهى فوق أحقاد المارك الحربية . ان تمزيق وسام ربطة الساق (١) عن ساق القبطر ، وحذف أسماء الدوقات الألمان من سجل الأشراف عندنا ، وتغيير لقب الملك التاريخى اللامع الى اسم محلى غير معروف ، كل ذلك لم يكن عملا ينطوى على كثير من الكرامة . ولكن محو أسماء الألمان من سجلاتنا العلمية والتعليمية كان اعترافا بأن الاحترام القليل الذى تبديه انجلترا نحو العلم والتعليم ليس الا تظاهرا يخفى وراءه ازدراء وحشيا لكليهما ، حتى ليحس الانسان أننا يجب أن نغير صورة القديس جورج والتنين المرسومة على عملتنا الى صورة جندي يشك برمحه جسد أرشميدس ، ولكن لم يكن هناك في ذلك الوقت عملة معدنية ، ولم يعد باقيا الا العملة الورقية التى تتسمى فيها عشرة الشلنات باسم جنيه ، تماما كما يتسمى الناس الذين يحظون من شأن وطنهم بالوطنيين .

---

(١) أعلى وسام بريطانى يمنح للأشراف . (المراجع)

## آلام العقلاء

لم يكن الألم النفسى الناشئ عن العيش وسط هذا  
الطنين القبيح الناتج عن رقصات الكرمبول<sup>(١)</sup> والكروبارى<sup>(٢)</sup>  
هو الصبء الوحيد الذى تحمله العقلاء أثناء الحرب ، اذ كان  
هناك أيضا التوتر العاطفى الناتج عن قوائم المصابين وقد اختلط  
بشعور الاستياء من الأحوال الاقتصادية ، أما الأعياء  
والأنانيون وضيقتهم العقول وميتو الاحساس وقاصرو الخيال  
فقد استراحوا من كثير ، وقد تحققت تقريبا نبوءة شكسبير  
حين قال « سيعم الدم والتخريب حتى لا يكون أمام الأمهات  
الا الابتسام وهن يرين أطفالهن وقد مزقتهن يد الحرب أشلاء » ،  
ففى الوقت الذى لم يكذب يخلو فيه بيت من الحزن على فتيل  
من أبنائه . كان الجنون هو ما يوشك أن يبحق بنا ان نحن  
اعتبرنا ثكلنا وثكل أصدقائنا نفس اعتبارهما وقت السلم ،  
لذلك كان من الضرورى أن نعطيها اعتبارا زائفا فنعلن أن حياة  
الشبان قد ضحيت بجدارة وعظمة في سبيل افتداء حرية  
الانسان بدلا من أن نقول انهم انما يكفرون عن طيش آبائهم  
وحماقتهم تكثيرا لا جدوى منه . بل انا لم نجد بدا من ادعاء

(١) رقصة من رقصات الثورة الفرنسية . (المنترجم)

(٢) رقصة ليلية رمزية عند القبائل الاشتراكية . (المراجع)

أن الآباء لا الأبناء هم الذين يقدمون التضحيات حتى اضطرت  
المجلات الهزلية أخيراً إلى نقد الشيوخ ذوى الأجسام البدنية  
الذين يجلسون مستريحين على كراسيهم في النادي وهم يفخرون  
بأبنائهم الذين « قدموهم » إلى الوطن .

ما من أحد تدمر من هذه المسكنات للأحزان الشخصية  
العادة ، ولكنها زادت مرارة هؤلاء البنين يعرفون أن الشبان  
يُضرسون لأن آباءهم أكلوا حصرم السياسة . ثم فكر في  
الشبان أنفسهم ! فكثير منهم لم يستهوهم ظن خادع بالسياسة  
التي أدت إلى الحرب . بل ذهبوا بعيون مبصرة ليقوموا بواجب  
كرهه فظيع ، فترك رجال ودعاء عقلاء بالضرورة أعمالهم الهامة  
مختارين وقضوا شهوراً يتمرنون على السير في طوابير في أفنية  
المعسكرات وطلن أكياس القش أمام الجماهير ، حتى يذهبوا  
ليقتلوا ويشوهوا رجالاً ودعاء مثلهم . هؤلاء الرجال -- الذين  
كانوا كطبقة يكونون أكفاً جنودنا ( كهرديك كيلنج مثلاً ) --  
لم ينخدعوا لحظة بالنفاق الميلودرامي الذي كان يغرئ الآخرين  
ويقويهم ، ولكنهم تركوا أعمالهم الخلاقة ليُسخرُوا في  
التخريب ، تماماً كما كان يسكن أن يتركوها ليتناوبوا العمل  
على المضخات في سفينة تفرق ، ولم يتباعدوا لأن السفينة  
قد أهملها ضباطها وأغرقها محطموها كما فعل بعض المعارضين

ذوى الضائـر الحية ؛ فقد كان يجب انقاذ السفينة ولو أدى ذلك الى أن يترك نيوتن قوانينه الرياضية وميكل أنجلو رخامة ، لذلك ألقوا بأدواتهم التى يعملون بها فى مهنتهم النافعة الرفيعة ليحملوا الحربه المملوطة بالدم والقنبلة الفتاكة ، مجبرين أنفسهم على تحويل فطرتهم الخيرة لاتمام العمل الفنى الكامل الى اتقان استعمال هذه الأشياء الجهنمية ؛ وقلب قدرتهم التنظيمية المدبّرة الى اختراع وسائل التدمير والقتل . وقد انتهت مأساتهم نهاية ساحرة ، اذ أن مواهبهم التى اضطروا الى تلويثها لم تجعل هذا التلويث منتجاً فحسب ، بل مشوقاً أيضاً حتى ان بعضهم رقوا بسرعة ووجدوا أنفسهم وقد أصبحوا ماهرين فى الحرب فعلاً يزدادون تلذذاً بها على الرغم من أنفسهم كتابليون وغيره من الشياطين التى سلطت على البشرية . ولكن كثيراً منهم لم يحصلوا حتى على هذا العزاء فقد ابتلوا بها وظلوا كارهين لها حتى النهاية .

### الشر على عرش الخير

هذا الكرب الذى أحاط بالناس كان شديداً حتى أن أولئك الذين عانوا منه فى الحياة المدنية دون أن يريقوا بأيديهم قطرة دم أو يروا بأعينهم الخراب قلما كانوا يهتمون بأن يشكوا آلامهم الخاصة ، لكن حتى هؤلاء الذين ظلوا فى الوطن

سالمين ، لم يكن من السهل على من يعطرون منهم الى الكتابة والخطابة عن الحرب أن يلغوا ضمائرهم الحية ويعملوا عامدين للوصول الى مستوى من الشر الحتمى بدلا من المثل الأعلى لحياة ؤوفى . ويمكننى أن أذكر على الأقل شخصا واحدا وجد مشقة كبيرة فى التحول من حكمة المسيح والقديس- فرانسيس الى حكمة رينشارد الثالث وجنون دون كيشوت ، ولكن هذا التحول كان واجبا ، وقد أضر بنا جميعا ، ما عدا هؤلاء الذين لم يكن بالنسبة اليهم — فى واقع الأمر — تحولا ما بل اعفاء من النفاق .

وتأمل أيضا حال أولئك الذين لم يكونوا من الكتاب أو المحاربين ولم يكن لديهم أبناء يخشون فقدهم، ولكنهم كانوا يعرفون أية خسارة لا تقدر بشئ تلك التى تحقيق بالعالم خلال أربع سنوات من حياة جيل ضبعها فى التدمير ، فانه من الصعب أن تخيل أعمالا من أعمال الفكر الانسانى التى صنعت التاريخ لم يكن من الممكن أن تعطل أو تدمر لو أبعد القائمون بها عن عملهم الطبيعى لمدة أربعة أعوام حاسمة ، وليس المقصود فقط أن يكون بين القتلى شكسبير أو أفلاطون ، بل ان كثيرا من خيرة ما أتجه الجيل الذى نعيش فيه قد زرع فى تربة الخنادق القاحلة ، وليس هذا الاعتبار خاصا ببريطانيا ، فان قتل الشاب الألماني لم يكن فى نظر المتمدن الحق والأوربي الطيب كارثة

أقل من قتل الشباب الانجليز . لقد كان الحمقى يفرحون « بالخسائر الألمانية » . ولكنها كانت خسائرنا نحن أيضا .  
وتصور كيف يمكن أن تفرح لقتل بنهوفن بطعنة صوبها اليه  
بيل سايكس .

### يفض بالبعوضة وينطع الجمل

ولكن أكثر الناس لم يفهموا هذه الأحزان ، فكانوا  
يتهمجون ابتهاجا طائفا بالموت من أجل الموت ، ولم يكن هذا  
الابتهاج في حقيقته غير عجز عن ادراك أنها ميتات حقيقية  
لا مسرحية . وكلما شنت غارة جوية وألقيت قنبلة تمزق طفلا  
وأمه أشلاء كان الذين يرون هذا المنظر يتفجرون في لعنان  
تأثره على الألمان القتل صارخين في طلب الثأر القاسى الذى  
يرضيهم ، وهم هم الذين كانوا يقرأون مسرورين فى صحفهم  
يوما بعد يوم آلاف من مثل هذه الأحداث . وكان يبدو واضحا  
فى مثل هذه اللحظات أن الميتات التى لم يروها لم تكن فى  
أذهانهم أكثر من ميتات غير حقيقية على شاشة السينما ،  
ولم يكن شهود الموت واجبا فى بعض الأحيان اذ يكفى أن  
يحدث تحت ظروف كافية من الجدة والغرابة ليكون له من  
الأثر ما نلموت المرئى فعلا .

وعلى سبيل المثال حدثت فى ربيع سنة ١٩١٥ مذبحة

مفرزة لجنودنا الشبان في نيف تشايل وعند محاولة النزول في  
غاليولي ، ولن أذهب بعيدا فأقول ان المدنيين كانوا مسرورين  
لقراءتهم مثل هذه الأخبار المثيرة في صحف الصباح وهم  
يتناولون افطارهم ، ولكنى لن أدعى أنى لاحظت سواء في  
الصحف أم في الاتصال الشخصى أى شعور أكثر من الشعور  
العادى بأن العرض السينمائى فى الجبهة عرض ممتع ، وأن  
أولادنا من أشجع الشجعان . وفجأة جاءت الأخبار بأن الباخرة  
لوزيتانيا التى تسخر عاب الأطلنطى قد أغرقت بطوربيد ،  
وأنه كان بين الفرقى عدد كبير من المشاهير ركاب الدرجة  
الأولى ، منهم مدير مسرحى ذائع الصيت ومؤلف لمسرحية  
هزلية مشهورة ، وآخرون ، ومن بين هؤلاء الآخرين سير  
هيولين ، ولكنهم لم يبرزوا خبر موته لأن الوطن لم يكن مدينا  
له بدرجة كبيرة الا فى دائرة الفنون الجميلة .

وفى الحال اكتسحت البلاد موجة من الحنق المذهل ،  
فهؤلاء الذين ظلوا حتى هذه اللحظة على هدوئهم أسبابهم  
الجنون ، وكان مدار القلق قولهم « قتل الركاب المدنيين ! وماذا  
بعد ذلك ؟ » ، ولكنها جملة أتفه من أن تحمل صورة الغضب  
الذى تملكنا ، ولما كان ذهنى متلثا بالخسارة القادحة التى  
مينا بها فى نيف تشايل وبيريس والنزول فى غاليولي فقد

بدأت لي الضجة التي أثيرت حول لوزيتيانا وقاحة قاسية ، هذا مع أنى كنت أعرف الضحايا المشهورين الثلاثة معرفة شخصية ، وكنت أفهم ربما أكثر من معظم الناس المصيبة التي حلت بموت لين ، بل انى وجدت رضى بشما ، لعله مفهوم جدا بالنسبة لجميع الجنود ، فى حقيقة أن المدنيين — الذين كانوا ينظرون الى الحرب على أنها رياضة بريطانية رائعة — قد ذاقوا مرارة طعمها كما يعرفها المحاربون فعلا . وقد عبرت بكل صراحة عن ضيقى ، فقبول احساسى الطبيعى الصريح فى هذا الشأن بالاستنكار على أنه مناقضة فظيعة قاسية ، وعندما سألت هؤلاء الذين ففروا أفواههم دهشة مما قلت عما يقولون عن مجزرة فستويرت زادت دهشتهم عن ذى قبل اذ كانوا قد نسوا كل شىء عن المجزرة بل لعلهم لم يعوها قط . وما كانوا أكثر قسوة منى ، ولكن المصيبة الفظيعة كانت أكبر مما يستطيعون ادراكه ، أما المصيبة الصغيرة فقد كان حجمها مناسبا لهم ، ولم يدهشنى ذلك . ألم أر الجهور لنفس السبب يوافق دون كلمة على اعتماد بثلاثين ألف جنيه ثم يتضى ثلاثة اجتماعات خاصة تمتد الى الليل للمناقشة حول مبلغ سبعة شلنات للبرطيات ؟

## عقول صغيرة ومعارك كبيرة

لا يمكن لأحد فهم شطحات عواطف الجسائير أثناء الحرب الا اذا وضع في ذهنه أن الحرب في حقيقتها الجسيمة لم تكن موجودة بالنسبة للمدني العادي . فهو لا يتصور موقعة فما بالك بحملة . لم تكن الحرب بالنسبة لسكان الضواحي الا شجارا بين سكان الضاحية ، ولم تكن بالنسبة لسالك المناجم وانفعله الا معارك بالسونكي بين أبطال ألمانيا وأبطال انجلترا ، وكانت ضخامتها الهائلة فوق ادراك معظمنا ، فكان يجب أن تقلل حوادثها حتى تصل الى حد حوادث القطارات و غرق السفن ليتمكن أن تؤثر في عقولنا تأثيرا ما . كان ضرب سكاربوروه ورامسجيت يوضع قنابل يبدو لنا مآسى جسيمة ، وموقعة جاتلانند مجرد أغنية قصصية ، ولم تكن كلمات « بعد التميد الكامل بالمدفعية » التي ترد في أخبار الجبهة تعنى شيئا بالنسبة اليانا ، ولكن عندما كان المتزهون على شاطئ البحر يعلمون أن عجوزا يتناول افطاره في فندق على الشاطئ حيث يقضى عطلة نهاية الأسبوع قد أزعجه سقوط قنبلة في فنجان البيضة ، كان يتسلحهم غضب وذعر لا حد لهما ، وكانوا يمانون أن ذلك سيلا نفوس الجنود بالحماسة ، ولا يشعرون لحظة أن الجنود في الخنادق سيظلون عدة أيام يضجون بالضحك على هذه

الحادثة ويقول بعضهم لبعض ان من الخير لهؤلاء المضايقين  
المقيمين في الومان أن يذوقوا بعض ما يذوقه المحاربون . وقد  
يكون ضيق النظرة مثيرا بلا اشتفاق . فالرجل الذي يعمل في  
أرض الوطن غير مبال بدعوة « تأمين الديمقراطية في العالم »  
هذا الرجل اذا ما قتل أخوه في الجبهة ترك عمله في الحال  
واعتبر الحرب مسألة ثأر عائلي شخصي بينه وبين الألمان . وقد  
يكون الأمر فكاهيا ، فقد يسهون جنديا لأنه جرح ، ولكنه  
يعود مرة أخرى الى الخنادق وقد صمم تصميمًا قاطعا على  
البحث عن الألماني الذي جرحه ليقتص منه .

ولا يمكن تقديركم منا سواء أ كنا مجندين أم غير مجندين ،  
كان يفهم الحرب وأسبابها السياسية مجتمعة في ضوء فلسفة  
ما للتاريخ ، أو معرفة ما بمعنى الحرب ، واني لأشك في أن  
نسبة هؤلاء كانت تبلغ نسبة علماء الرياضيات العليا عندنا ،  
ولكن لا شك أن هذا القسم أقل كثيرا من الجهل نسبيًا  
وذوى العقول الصيانية . ولندكر أن هؤلاء الناس يجب أن  
يثاروا ليقوموا بالتضحيات المطلوبة في الحرب ، ولا يمكن فعل  
هذا بالاستشهاد بالمعلومات التي لا يملكونها والادراك الذي  
لا يستطيعونه ، وعندما نتاحت لي الهدنة أخيرا أن أقول الحق  
عن الحرب في الانتخابات العامة التالية ، قال أحد الجنود

للمرشح الذى كنت أؤيده « لو أننى علمت كل ذلك سنة ١٩١٤ لما استطاعوا أن يلبسوا الزى العسكرى قط » لا جرم كان هذا بالضبط هو النسب الذى أوجب اسكاته بقصة خيالية يضحك منها أى سياسى . وهكذا زيد الخلط الطبيعى الناشء عن الجهل بنشر خلط متعمد عن طريق قصص كتفص العفاريات التى تروى للأطفال ، وحكايات ميلودرامية فارغة ، وقد كان لذلك كله فى النهاية نتيجة تجاوزت الحد المطلوب ، فلم يكن يكفى لوقف الحرب تحقيق النصر بالتغلب على الجيش الألمانى وخلع قيادته الملكية العسكرية ، بل ارتكب خطأ كبير وهو تدمير وسط أوروبا ، وهذا أمر لم يكن لتقدم عليه أية دولة أوربية عاقلة .

### القادرون البكم والمعجزون الصخابون

إذا واجه القارىء الناقد هذه الصورة من الهوس والجنون الفارغين فإنه سيحتج على الفور بأن انجلترا كانت طوال هذا الوقت تقود حربا احتاجت الى تنظيم عدة ملايين من المحاربين والعمال الذين يسدونهم بالزاد والذخيرة ووسائل النقل ، وأن هذا لا يمكن أن يتم عن طريق ثلثة من المتبجحين العصيين ، وهذا لحسن الحظ صحيح ، فكان يكفى أن تنتقل من مكاتب الصحفيين ومنصات السياسيين ومدفئات النوادى وحجرات

الجلوس في الضواحي الى الجيش ومصانع الاسلحة لتكون  
قد انتقلت من مستشفى المجانين الى أكثر عوالم العمل جديده  
وتعقلا ، وهناك تكتشف انجلترا من جديد ، وتجد الأرض  
الصلبة لمن ظلوا على الايمان بها ، ولكن الشرط الضروري  
لهذه الكفاءة كان هو أن يعطى الأكفاء وقتهم كله للعمل  
تاركين ثلة الأوباش يهذون كما يشاءون ، والحق أن الهذيان  
كان منيذا للأكفاء ، فانه لما كان دائما بعيدا عن الحقيقة ، كان  
غالبا ما يبعد الانتباه عن العمليات التي تقضى عليها الدعاية  
أو تعرقها ، وكان هذا هو المطلوب ، وقد سعت من أول  
الحرب — دون طائل — لنشر وصية تقول « اذا كان لديك  
ما تعمله فاذهب واعمله ، والا فبحق السماء لا تعرق العمل »  
فلم ينفذ من هذه الوصية الا نصفها ، لأن القادرين قد ذهبوا  
حقا وعملوا ما لديهم ، ولكن العاجزين لم ينعمهم شيء من  
عرقلة عمل القادرين ، فقد كانوا يصيحون ويضجون ولم ينعمهم  
من العرقلة الفعلية للأعمال الا هذه الحقيقة المباركة وهي أنهم  
لم يعرفوا قط كيف تجرى تلك الأعمال . وهكذا كانت كل  
كفاءة انجلترا تعمل في صمت وخناء بينما كانت كل غباوتها  
تصم السماء بضجيجها وتلوث وجه الشمس بغبارها ، ومن  
سوء الحظ أيضا أنها كانت ترهب الحكومة حتى تلجئها الى

استعمال قوة الدولة التي لا تقاوم في ارباب العقلاء ، وهكذا استطاعت قلة وضيعة من الراغبين في تدبير جرائم الاغتيال أن تقيم حكم ارباب كان يمكن أن يقضى عليه في أى وقت بكلمة واحدة حازمة من أحد الوزراء المسئولين ، ولكن وزراءنا لم تكن لديهم هذه الشجاعة ، فلا منزل القلوب المحطمة ولا حظيرة الجياد قد ربتهم عليها ، ولا الضواحي من باب أولى . وعندما وصل الأمر في النهاية الى حد نهب الحوانيت بواسطة مجرمين يدعون الوطنية كانت قوة الشرطة لا الحكومة هي التي أسرع الى العمل ، بل انه مرت بنا فترة محزنة أثناء الذعر الذي استبد بنا من الغواصات عندما خضعت الحكومة لسياح كأنما يصدر عن الأطفال يطالب باسائة معاملة أسرى الحرب من رجال البحرية ، ثم اضطرت تحت ضغط الأعداء — وهذا هو الأمر المخجل — أن تحسن مسلكتها . ومع ذلك فوراء كل هذ الأخطاء العلنية الكثيرة ، وسوء السلوك ، والشروع المقيمة ، كانت انجلترا النعالة ماضية بأعظم ما يكون من قدرة ونشاط . كانت الصورة الظاهرية لانجلترا تجعل الامبراطورية تسمز من عدم قدرتها على ضبط نفسها ومن جهلها وتوحشها وذعرها ، ومن هتافها الدائم الذي لا يحتمل بالأناشيد الوطنية للحلفاء في مناسبة وغير مناسبة ، أما انجلترا الخفية فكانت تتقدم بلا مقاومة لاختضاع أوروبا .

## رجال الأعمال العمليون

ومنذ البدايه أثار من لا تقع فيهم صيحة المطالبة « رجال أعمال عمليين » قاصدين بذلك هؤلاء الذين أصبحوا أغنياء لأنهم قدموا مصالحهم الشخصية على مصحة الوطن ولأنهم يقيمون نجاح أى نشاط بقيمة الفائدة المادية التى يجلبها لهم ولمن يعتمدون عليهم فى امدادهم براءوس أموالهم ، وكان الاخفاق المثير للرتاء لبعض العينات المشهورة من أول فرقة جربناها من هؤلاء المساكين عاملا ساعد على اعطاء الجانب الظاهر من الحرب جوا من المهزلة القظيمة اليائسة ، فانهم لم يثبتوا أنهم غير صالحين للعمل بين الجماهير فقط ، بل أثبتوا أيضا أنهم ما كانوا ليسمح لهم بأن يديروا مشروعات فردية فى أمة حسنة التنظيم .

## كيف نادى الحمقى بسقوط العقلاء

وهكذا كانت انجائرا كالأرض الخصبة التى يفسرها الطين ، فلم تبد ما يدل على عظمتها فى تلك الأيام التى كانت تظهر فيها كل قوتها لتتنقد نفسها من أسوأ نتائج حقارتها ، وكان معظم الرجال العاملين الذين تشغل الشؤون العملية العاجله كل ساعة من وقتهم مضطرين لأن يتركوا لكسالى أو للخطباء المحترفين

أمر عرض الحرب على ضمير البلاد والعالم وخيالهما عن طريق الخطب والأشعار والبيانات واللوحات الاعلانية والمثالات الصحفية ، وقد كان لى حظ الاستماع الى بعض من أمهر قوادنا وهم يتحدثون عن عملهم ، كما شاركت الجمهور العادى فى قراءة بيانات عن هذه الأعمال نشرتها الصحف فى أنحاء العالم ، ولم يكن هناك أى تشابه بين التجريبتين ، ولكن فى النهاية استطاع القوالون أن يتغلبوا على الضعالمين البسطاء ، وذلك لأنه على الرغم من أن الضعالمين المعظماء هم دائما مقتدرون فى الخطابة ، وغالبا مجيدون فى الكتابة ، ولذلك لا يتركون لغيرهم مهمة التعبير عن آرائهم ، فان الرجل الضعالم العادى كالمحارب العادى بالحربة لا يستطيع أن يعبر عن نفسه بالكلمات حتى ولو بينه وبين نفسه ، وهو عرضة لأن يلتقط وينقل ما يقرأ عن نفسه وعن غيره من الناس فى الصحف ، الا اذا تورط الكاتب فى الكتابة عن الأمور الفنية ، فلم يكن غريبا أثناء الحرب أن تسمع جنديا أو مدنيا مشتغلا بالأعمال الحربية وهو يصف الحوادث فى نطاق تجربته وصفا يهبط بما ينشر فى الصحف اليومية من هذيان وتخبط الى مستوى السخافة الكمامة ، وهو مع ذلك يردد آراء هذه الصحيفة كالبيفاء ، ولهذا لم يكن كافيا لى تهرب من سيادة الخاط والحماقة

أن تتمسح صعبة الرجل الفعّال العادي بل كان يجب أن تتصل بالرؤساء الموجهين ، وهو امتياز لا يمكن أن يتسع به الاقله من الناس ، أما المواطن الذي ليس له هذا الامتياز فلم يجد مهربا ، فكان يرى البلاد مجنونة عقيما بلهاء عاجزة لا أمل لها في الفوز الا أن يكون العدو على مثل جنونها ، وكان التفكير الثابت الرصين وحده هو الذي يجعله يطمئن نفسه الى أنه لو لم يكن خاف هذه المظاهر المفزعة أرض صلبة لما أمكن أن تستمر هذه الحرب يوما واحدا دون أن ينهار نظامها انهيارا كاملا .

### الانتخابات المجنونة

ما كان أسعد الحمقى والعاملين دون تفكير في تلك الأيام ! وشر ما في الأمر أن الحمقى كانوا ممثلين بنسبة كبيرة في البرلمان ، فليس الحمقى فقط هم الذين ينتخبون الحمقى ، بل انهم يقنعون النعاليين بانتخابهم أيضا . ولعل الانتخابات التي تلت الهدنة مباشرة كانت أكثر الانتخابات جنونا على الاملاق ، فقد هزم الجنود الذين قاموا منطوعين في الميدان بأعمال بطولية ، وانتصر عليهم أشخاص من الواضح أنهم لم يخاطروا أية مخاطرة ولم يصرّفوا مايمّا كان من الممكن أن يدخروه ، بل انهم

اضطروا أثناء الانتخابات أن يعتذروا علانية عن اتهامهم  
لنافسيهم بكرامية الحروب والميل الى الألمان . فزعما الأحزاب  
كانوا يبحثون عن مثل هؤلاء الأتباع الذين يسكن الوثوق  
دائما بأنهم سيأترون بأمر سوط (١) الحزب في دهاليز  
البرلمان ، بشرط أن يضمن لهم الزعيم البقاء في مقاعدهم بالطريقة  
التي كان يطلق عليها في اشارة ساخرة الى نظام التموين الذي  
اتبع أثناء الحرب « اعطاءهم الكوبون » . وقد حدثت حوادث  
أخرى مضحكة لا أستطيع أن أذكرها دون أن يتمكن القارئ  
من معرفة أصحابها ، ولن يكون ذلك من العدل في شيء ، فان  
اللوم لا يقع عليهم أكثر مما يقع على الآلاف غيرهم ممن  
تضطرنا الضرورة الى عدم ذكر أسمائهم . وكانت النتيجة العامة  
عبثا واضحا ، حتى ان الناخبين ، وقد ضاقوا بما يفعلون ،  
ارتدوا على الفور الى التقيض وأسقطوا جميع مرشحي  
« الكوبون » في أول انتخابات تكميلية بأغلبية لا تقل بلاهة  
عن السابقة ، ولكن الضرر الذي نتج عن الانتخابات العامة  
لم يكن من الممكن تجنبه ، فان الحكومة لم تكتف بالتظاهر  
بإساءة استعمال انتصارها في أوروبا كما وعدت، بل انها أساءت

(١) العضو الموكل بالمحافظة على النظام بين أعضاء الحزب .

(المراجع)

استعماله فعلا بتجويح الأعداء الذين لقوا سلاحهم . وخلاصة القول أنها نجحت في الانتخابات بأن تعهدت أن تكون مسرقة في الشر والقسوة والحق ، ولم تجد التخلص من تعهداتها هذه سهلا كسهولة التخلص من اليهود الأكثر شرفا ولم نصل الى النهاية بعد وأنا أكتب هذه السطور ، ولكن من الواضح أن هذه الوحشية التي ارتكبتها الحلفاء دون تفكير ستردد اليهم بشدة ، حتى أننا سنضطر تحت ضغط الحاجة الشديدة الى أن نقوم بنصينا في تضديد الجروح المميتة التي أصبنا بها أوروب بدلا من محاولة اتمام خرابها .

### الوحش الانساني والقرود الغاضب

بنأمل هذه الصورة التي وصلت اليها البشرية أخيرا — والتي لا يمكن انكار حقيقتها — يمكننا أن نفهم لماذا قارن شكسبير الانسان بالقرود الغاضب ، ووصفه سويقت بأنه وحش انساني تزدري به فضيلة الحصان ، وأعلن ولنجتون أن الانجليز لا يحسون التصرف لا في حالة النصر ولا في حالة الهزيمة . ومع ذلك لم ير أحد من هؤلاء الثلاثة حربا كانتى شهدناها . لقد لام شكسبير عظماء الرجال بقوله « لو استطاع عظماء الرجال أن يرددوا كما يردد جوبيتر لما هدا جوبيتر أبدا ، فان كل

ضابط صغير يود لو يستعمل سماء چويتر من أجل الرعد ،  
ولا شيء غير الرعد » ، فماذا كان يقول شكسبير لو رأى  
شيئا يفوق الرعد تخريبا في يد كل عامل زراعى ، ووجد على  
سفح سينا فوهات المدافع التسعة عشر التى تستطيع أن تطلقها  
لمسة اصبع قد تكون اصبع طفل دون أن يقل مقدار تخريبها  
مقال ذرة ؟ لعل شكسبير رأى ساعة من صواعق چويتر  
تنقض على كوخ فى ستراتفورڊ ، ولعله ساعد فى اخماد النار التى  
اشتعلت فى السقف وتنظيف المكان من بقايا المدخنة المحطمة ،  
فماذا كان يقول لو رأى ما حل ببيريس ، أو عاد الى ستراتفورڊ ،  
كما يعود الفلاحون الفرنسيون اليوم الى قراهم ، وقرأ علامة  
الطريق وقد كتب عليها « الى ستراتفورڊ — ميل واحد » ،  
ولا شيء فى نهاية الميل غير بعض حفرة فى الأرض وشظية وعاء  
لمخض الزبد هنا وهناك ؟ ألا يعجز بيانه أمام منظر القرد  
الفاضب فى يده قوى التدمير التى لم يكن ليدعيها چويتر ؟  
ومع ذلك فماذا يمكن أن يقال سوى أن الحرب ترهق  
الطبيعة البشرية حتى تهدم نصفها الخير وتجعل النصف الشرير  
فضيلة شيطانية ؟ وخير لنا لو تهدم النصفين جميعا ، لأن ذلك  
سيسد أمامنا طريق التخلص من متاعنا بالحرب وسنحاول  
جاهدين ألا تقع فيها ، والحق انه « ليس من الصعب أن

تموت « كما قال بيرون ، ولكن من الصعب جدا أن تحيا . وهذا يوضح السبب في أن السلام ليس خيرا من الحرب فقط بل هو في الحقيقة أكثر مشقة . هل واجه أى بطل من أبطال الحرب خطر الموت الكريم بشجاعة أكبر من شجاعة الخائن بولو حين واجه يقينه المخزى؟ لقد علمنا بولو كيف نموت، ولكن هل علمنا كيف نعيش؟ فما يبر الآن أسبوع الا ونرى أحد الجنود الذين واجهوا الموت ببسالة في ميدان الحرب حتى أنهم عليه بوسام أو نوه به من أجل ذلك ، نراد وقد جر أمام القضاء لأنه فشل في مقاومة أهون مغريات السلام ، ولا عذر لديه سوى هذا العذر القديم : « على المرء أن يعيش » . وعجيب أن رجلا يفضل أن يبيع شرفه في سبيل زجاجة خمر ومشاهدة عرض تمثيلي وقضاء ساعة مع امرأة غريبة بتقديم شيك بدون رصيد ، على أن يعمل عملا شريفا ، هذا الرجل يعرض حياته للخطر المحقق في ساحة القتال ! ألا يبدو ذلك كأنما عظمة الموت على الرغم من كل شيء أرخص من عظمة الحياة ؟ وان لم يكن الحصول عليها أسهل ، فلماذا يحتصل عليها كثير من الرجال ؟ على كل حال يبدو أن مملكة أمير السلام لم تصبح بعد مملكة هذا العالم ، فقد كانت محاولات الغزو التي قام بها تقاوم بعنف أكثر من محاولات القيصر ، ومع نجاح هذه

المقاومة فقد تراكم علينا نوع من « القرض الوطنى » لا يقلل من فداحته أننا لا نعرف له أرقاما ولا تنوى له سدادا . فان حصارا يمنع عنا رحمة الله هو فى المدى الطويل أصعب احتمالا من أنواع الحصار التى لا تمنع عنا الا المواد الخام ، وأمام ذلك الحصار يقف أسطولنا عاجزا . وقد أكد لنا المحاصر أن فى بيته منازل كثيرة ولكن أخشى ألا يكون من بينها منزل القلوب المحطمة ولا حظيرة الجياد .

### لعنة الله على بيتيكم كلبهما

وفى الوقت نفسه كانت معاول البلشفيين وقد انفهم تعمل فى أسس البنائين ، ومع أن البلشفيين قد يدفنون تحت الأتقاض الا أن موتهم ما كان لينقذ هذه الأبنية الفخمة ، ولكنها لسوء الحظ يمكن أن تبنى ثانية مثلها فى ذلك مثل « قصر الشك » فقد خرب عدة مرات بأيدى « القلوب الكبيرة » المتعاقبة ، ولكنه كان يبنى ثانية بأيدى « السذاجة » و « الكسل » و « الوقاحة » و « ضعف العقل » و « الجبن » وغير ذلك من المحلفين فى « سوق الخيلاء » (١) ، ويكفى جيل جديد من (١) اشارة الى بعض الامكة والشخصيات الرمزية فى القصة الخيالية « رحلة الحاج » للكاتب الانجليزى جون ببيان ( ١٦٢٨ - ٨٨ ) ( المراجع )

خريجي المدارس الثانوية الخاصة والمؤسسات التي تقلدها بمصروفات قُبل ، يكنى هذا الجيل ليقتى البنائين قاسين الى الحرب التالية .

انى أتترك هذه الصفحات سجلا للحالة التي كانت عليها الحياة المدنية أثناء الحرب ، حتى يفيد منها ذلك الجيل ، فان التاريخ عادة لا يذكر هذه الأمور . ومن حسن الحظ أنها كانت حربا قصيرة جدا . حقا ان هؤلاء الذين كانوا يظنونها لا تستمر أكثر من ستة أشهر قد كذبتهم الحوادث تكذبا واضحا ، فان كل ووترلو في هذه الحرب كانت تدوم أشهرها بدلا من ساعات كما أشار سير دو جلاس هيچ ، ولكن لم يكن لأحد أن يتعجب لو أنها استمرت ثلاثين عاما ، ولولا حقيقة أن الحصار نجح نجاحا مدهشا في تجويع أوروبا ، الشيء الذى ما كان يحدث لو أنها أعدت نفسها للحرب وللسلم معا ، لولا هذا لاستمرت الحرب الى أن يتعب منها المحاربون بحيث لا يمكن ارغامهم على ارغام أنفسهم على الاستمرار فيها ، ولو نظرنا الى جسامه حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ لعددناها دون شك أقصر حرب فى التاريخ ، وقد جاءت النهاية فجأة حتى ان المتقاتلين تمثروا فيها ، ومع ذلك فقد انتهت بعد عام كامل من الموعد الذى كان يجب أن تنتهى فيه لولا أن المحاربين كانوا

يخشون أن يواجهوا الموقف بفتنة وصراحة ، ان ألمانيا التي فشلت في الاتفاق على الحرب التي بدأتها فشلت مرة أخرى في التسليم قبل أن تنك قواها انها كما خطيرا ، كما أن خصومها ، وهم مثلها في عدم التبصر ، أصبحوا على وشك الافلاس كما أصبحت ألمانيا على وشك الموت جوعا ، لقد كانت خدعة وقع فيها كلاهما ، وكما هي العادة في سخرية الحرب لا يزال من المشكوك فيه أن تصبح ألمانيا وروسيا المهزومتان هما المنتصرتين ، لأن المنتصرين بدءوا فعلا يقيدون أنفسهم بالسلاسل التي كسروها من أطراف المهزومين .

### كيف سارت أحوال المسرح

فلنكره أهنأنا على تحويل أنظارنا من مسرح الحرب الأوربية الى المسرح الذى تدور فيه معارك صورية ، والذى يقوم فيه القتل بعد نزول الستار مباشرة ليذهب الى بيته ويتناول عشاءه فى راحة بعد أن يكون قد غسل جروحه القرمزية . لقد مر ما يقرب من عشرين عاما منذ اضطرت لآخر مرة الى طبع احدى مسرحياتى لانعدام الفرصة لعرضها على المسرح فى صورة لائقة ، وقد اضطرتنى الحرب الى العودة الى هذذ الوسيلة ، فلم تعرض مسرحية منزل القلوب المحطمة بعد

على المسرح ، وقد احتجزتها لأن الحرب قلبت الظروف الاقتصادية التي كانت تمكن المسرحيات الجادة من قبل من شق طريقها في لندن ، ولم يكن هذا التغيير راجعا الى المسارح أو ادارتها أو المؤلفين والممثلين بل الى الجمهور ، فقد ظلت مسارح لندن تزدهم كل ليلة طوال أربع سنوات بآلاف من الجنود الذين حصلوا على اجازات من مواقعهم في الجبهة ، ولم يكن هؤلاء الجنود هم رواد المسرح العاديين في لندن . لقد حدثت لى حادثة وأنا طفل وضحت لى مفتاح حالتهم ، فقد صحبتنى أهلى الى الأويرا ، ولم أكن أعرف حينذاك ما هى الأويرا ، وان كان فى استطاعتى أن أصفر بقمى عددا كبيرا من ألحانها ، وكنت أرى فى ألبوم والدتى صوراً لكل كبار المغنين فى الأويرا ، ومعظمهم بلباس السهرة ، فلما ذهبت الى المسرح وجدت نئسى أجلس أمام شرفة مذهبة يشغلها أشخاص فى ملابس السهرة ، فدار بخلدى أنهم مغنو الأويرا ، واخترت امرأة ضخمة سوداء الشعر حسبتها ألبونى ، وكنت أتساءل متى تقف وتغنى ، وقد حيرنى أنتى أجلس موليا فليرى لهؤلاء المغنين بدلا من أن أواجههم ، وعندما رفعت الستار كانت دهشتنى وسرورى لا حد لهما .

## الجندي في مسرح الجبهة

وفي سنة ١٩١٥ رأيت في المسارح رجالا بالملابس العسكرية في نفس الورطة التي كنت فيها ، وكان كل من يعرف مفتاح حالتهم العقابية مثلى يرى بوضوح أنهم لم يشهدوا المسرح قط من قبل ، ولا كانوا يعرفون ما هو ، وقد حدث مرة أن جلست في أحد مسارح الاستعراضات الكبيرة بجوار صابط شاب ليس على الاخلاق من ذلك النوع الخشن ، وعلى الرغم من ارتفاع الستار الذي أوضح له أين يجب أن ينظر ليرى العرض فان الجزء التمثيلي منه لم يكن مفهومًا له على الاطلاق ، ولم يكن يعرف كيف يقوم بدوره في هذه اللعبة ، لقد كان يفهم أن يقوم القوم على المسرح بالغناء أو الرقص أو أداء الحركات الرياضية البارعة ، أما ذلك الغناء الذي كان يقلد الديوك في سياحبا والخنزير في قباها فانه لم يفهمه فحسب بل تمتع بما يقدمه متعة هائلة ، ولكن ما حيره حقا هو هؤلاء الذين كانوا يتظاهرون بأنهم أشخاص آخرون ، وأن الصورة الملونة خلفهم شيء حقيقي ، وقد أدركت في وجوده كيف يظل الرجل العادي مضللا قبل أن يستطع قبول مواضع المسرح بسهولة أو فهم غرض التمثيلية بوضوح .

ومنذ اللحظة التي تقرر فيها نظام اجازات الجنود ، كانت

المسارح تكتظذالى آخرها بهؤلاء المبتدئين تصحبهم آنسات  
برينات مثنيهم ( كان يطلق عليهن اسم البطاط الصغيرات ) ،  
وكان من الصعوبة بمكان فى أول الأمر أن تجد مادة سخيفة  
تكفى لارضائهم ، فكان خيرة المثلين الفكاهيين فى المسارح  
الاستعراضية ينقبون فى ذاكرتهم عن الفكاهات القديمة والغرائب  
التي تضحك الأطلاق حتى لا يتعبوا المنفرجين من الجنود ،  
وانى لأعتقد أن ذلك كان خطأ فى حق المبتدئين ، فقد كان من  
الممكن أن يألخوا تماما مسرحيات شكسبير أو المسرحيات  
التاريخية « لجورج بارنويل » و « ماريا مارتن » و « حلاق  
شارع فليت الشيطان » . ومع ذلك فقد كان المبتدئون أقلية ،  
وكان الجندى المثقف - الذى لم يكن يرضى فى زمن السلم  
بأقل من مشاهدة المسرحيات الممتازة التي ظهرت بعد ابسن ،  
فى أبداع اخراج فنى — يجد نفسه لدهشته يتعطر الى سماع  
النكات الخيفة ومشاهدة الرقص والاستعراضات الحسية  
العبية من الفتيات الجميلات ، وقد أخبرنى أحد مؤلفى  
المسرحيات الجادة العابسة فى عصرنا أنه بعد أن صبر على حياة  
الخنادق عدة أشهر دون أن يلمح أنثى من نوعه كان يستلئ  
بلذة بريئة ولكنها مبهجة لمجرد رؤيته إحدى البطاط الصغيرات .  
لقد وجد رد الفعل الناتج عن ساحات القتال نوعا من الاحساس

العصبى الزائد الذى غير كل القيم المسرحية ، فاكسبت الأشياء التافهة قوة والأشياء القديمة جدة ، وأصبح المثل بدلا من أن يحاول ملائمة الجمهور لآخراجه من حالة الملل التى دفعته الى ارتياد المسرح وهو ضيق الصدر ليلتمس نوعا من التسلية ، أصبح وليس عايه الا أن يستغل سعادة رجال مبتسمين استراحوا من القتال وقبود النظام العسكرى ، وأصبحوا الآن فى حالة من النظافة والراحة ومزاج يجعلهم مستعدين لأن يسروا من أى شئ، وكل شئ يقدمه لهم سرب من الفتيات الجميلات ورجل مضحك ، أو حتى سرب من اللائى يدعين الجمال ورجل يحاول أن يكون مضحكا .

وهكذا أصبح من الممكن مشاهدة المسرحيات الهزلية القديمة كل ليلة على المسارح . تلك المسرحيات التى يكون فيها المنظر عبارة عن غرفة نوم ذات أربعة أبواب ونافذة فى الوسط ، ويكون مفهومها أنها تشبه تماما حجرتى النوم فى الشقة التى فوقها والشقة التى تحتها ، وكل من هذه الشقق الثلاث يسكنها زوجان تأكلهما الغيرة ، وعندما كان هؤلاء القوم يمودون الى منازلهم فى الليل سكارى يخطيء كل منهم الطابق الذى يسكنه ومن ثم بنام فى فراش غير فراشه ؛ لم يكن المبتدئون فقط هم الذين يجدون فى الارتباكات والفضائح التى تنتج عن ذلك

براعة وتسلية رائعة ، ولا البطات الصغيرات الساذجات مثلهم  
اللائى لا يستطعن منع أنفسهن من الصراخ بطريقة تدهش  
المثلين القدامى عندما يتظاهر المثل الذى دخل خطأ من  
النافذة وهو سكران بخلع ملابسه وهو بين الحين والحين  
يسمح بأن تظهر أجزاء من جسده العارى ، بل ان الرجال الذين  
قرأوا منذ مدة وجيزة خبر موت تشارلس ويندهام وتذكروا  
في حزن مسرحيته « العباءات الحمراء » وما تلاها في أوج  
عظمته من سيل المسرحيات الهزلية الى أن أصبحت كل حيله  
قديمة تبث على الاشمزاز بدلا من الضحك ، هؤلاء الرجال  
المحكون أيضا كانوا اذا عادوا من ساحة القتال يرون كثيرا  
ما يعرفون أنه بال وسخيف بالضبط قدر ما يسر المبتدئون  
بما يظنونه جديدا وبارعا .

### التجارة فى المسرح

لقد قال ويلنجتون ان الجيش يتقدم بمقدار ما يحس  
أفراده من شبع ، وهذا القول ينطبق على المسرح فى لندن ،  
اذ يجب على الرجل أن ياكل قبل أن يثل وأن يدفع ايجار  
مسكنه قبل أن يعرض فنه على المسرح ، وليس فى لندن مسارح  
مقامة لصالح الشعب فانها كلها مشاة لغرض واحد هو أن تقدم

لما كبر دخل ممكن ، فان كانت الشقق المتشابهة والأسرة المتشابهة تدر دخلا أكثر من مسرحيات شكسبير بجنيه واحد فليذهب شكسبير ولتأت مسرحيات الشقق المتشابهة والأسرة المتشابهة ، وان كان سرب الفتيات الجميلات الغنيات والرجل المضحك يدران دخلا أكثر من موزارت فليذهب موزارت .

### شكسبيرنا

وكانت قد بدئت محاولة لعلاج ذلك قبل الحرب بانشاء مسرح قومي احتفالا بسرور ثلاثمائة سنة على موت شكسبير ، وتألفت لجنة انضم اليها كأعضاء شرف كل الشخصيات المشهورة والشخصيات ذاب النفوذ للاهمام بثقافتنا القومية ، وكانت مسرحيتي « سيدة الأغانى السمراء » مثلا من أمثلة هذه الدعوة ، وبعد بضعة أعوام من الجهاد حصلنا على هبة كبيرة واحدة من أحد السادة الألمان . وكما فعل اللعان المشهور في حكاية العربة التي كانت تحمل كل أثنائه فسقط غطاؤها الخلفى عند قمة التل فتدحرج كل ما فيها وتحطم عند السطح ، لا أستطيع الا أن أقول : « هذا موقف لا يمكننى أن أوفيه حقه » ثم أترك الأمر كله بلا كلسة أخرى .

## اختفاء المسرحيات الراقية

يمكننا الآن تصور تأثير الحرب على مسارح لندن ،  
والأسرة وأسراب الفتيات أبعدت عنها كل أنواع المسرحيات  
الراقية ، وقد ارتفعت الايجارات ارتفاعا لم يسبق له مثيل  
وتضاعفت الأثمان في كل مكان ما عدا شباك التذاكر ، وزادت  
تققات الاخراج التي حد جعل من العسير الحصول على أى  
ربح الا اذا كان المسرح منتلنا عن آخره كل ليلة ، بل ان مجرد  
الحصول على ما يكفى لسداد الالتزامات كان يحتاج الى  
شعبية واسعة . ما جعل المسرحية الجادة ممكنة الى حد ما  
قبل الحرب فهو أنها كان يمكن أن تغطي نفقاتها اذا امتلأ  
المسرح ولو الى نصفه فيما عدا يوم السبت والى ثلاثة أرباعه  
يوم السبت . وكان المنتج المنحمن الذى يفنى نفسه فى العمل  
الجاد والذى تعرض له منحة مالية لمساعدته من مليونير مبال  
الى الفن ثم تقابله نسبة لائفة من هذه الحوادث السعيدة النادرة  
التي تكون فيها المسرحيات الجادة فى نفس الوقت مسرحيات  
رابحة ، كان مثل هذا المنتج يستطيع الصمود عدة سنوات قد  
يفنر خلالها متحمن آخر يحل محل الأول ، ولهذا لا لسبب  
آخر حدث ذلك الانتعاش العجيب فى المسرحية البريطانية فى  
أوائل هذا القرن ، مما أمكن معه أن أعيش فى انجلترا على

الكتابة للمسرح ، أما في أمريكا فاني كنت قد ولدت مركزى ، لا كجزء من الجهاز المسرحى العادى ، ولكن بالاشتراك مع عبقرية ريتشارد مانسفيلد (١) الفذة . ولم أجد صعوبة فى ألمانيا والنمسا لأن نظام الاعانات التى كانت تقدم للمسارح العامة من القصر أو المجالس البلدية حافظ على حياة نوع المسرحيات التى أكتبها . ولذلك كنت مدينا لامبراطور النمسا بفخامة اخراج مسرحياتى حينما كانت اللقطة الرسمية الوحيدة من القصر البريطانى هى اعلان لكل المتكلمين بالانجليزية أن بعض مسرحياتى غير صالحة للتمثيل أمام الجمهور . على أنه كانت ثمة مقامة كبيرة ايذا الاعلان فى ن القصر البريطانى فى تردد على دور التمثيل لم يهتم بالصفة السيئة التى خلعتها على كبير أمنائه .

ومع ذلك فان ثبات مسرحياتى على مسارح لندن ، وما تلاها من مسرحيات جرانفيل باركر وجلبرت مورى وچون مانسفيلد وسانت چون هانكين ولورنس هاوسمان وأرنولد بينيت وچون جالزورثى وچون درينكووتر وغيرها من المسرحيات التى كانت

(١) ريتشارد مانسفيلد ( ١٨٥٤ - ١٩٠٧ ) ممثل أمريكى ولد فى ألمانيا لأبوين انجليزيين . كان مهتما بنفسه المسرح المعاصر ، ومن أوائل من قدموا برنارد شو للمسرح الأمريكى ( المراجع )

فرصة ظهورها على المسرح في القرن التاسع عشر أقل من ظهور  
محاورات أفلاطون ، دع عنك بعث مسرحيات أثينا القديمة  
واعادة عرض مسرحيات شكسبير كما كتبها ، كل ذلك جعل من  
الممكن أن تعيش المسارح على دخل الشباك فقط ، فقد كان  
هذا الدخل يغل ضعف ما يتصرف على الإيجار والاعداد  
والعرض . ففي مثل هذه المسارح التي تتجه الى قلة نسبية  
من المثقفين ولا تستطيع من ثمة أن تجذب أكثر من نصف  
أو ثلاثة أرباع الجمهور الذي تجذبه الملاهي الرخيصة ، كان  
يمكن أن تعيش على أيدي شبان مغامرين لا يدفعهم الاحب  
المسرح ، ولا يضطروهم كبر السن وازدياد المسؤوليات الى  
الاهتمام الشديد بالقيمة التجارية لوقتهم ومجهودهم . ولكن  
الحرب نفت هذا الأساس بالطريقة التي بينتها ، وكانت  
التكاليف التي تصرف على أرخص مسرح في الوست اند يزيد  
بتقدير الربع على أكبر مبلغ يمكن أن تحصله المسرحية  
الراقية ، طبقاً للواقع الثابت . وهكذا أصبحت المسرحية الراقية  
التي لم تكن في يوم من الأيام عملاً تجارياً ناجحاً ، أصبحت  
عملاً تجارياً مستحيلًا . وبناء على ذلك بذلت محاولات لايجاد  
ملجأ لها في مسارح ضواحي لندن ومسارح الأقاليم التي تقدم  
مسرحيات متخفة . ولكن في اللحظة التي سرح فيها الجيش

البقية الباقية من الرعيل الأول المجيد من المسرحيين الذين ابتلعهم من قبل ، اذا بهم يجدون أن الظروف الاقتصادية التي كانت أولا سببا في زعزعة عملهم فحسب جعلته الآن مستجيلا ما دام ميدانه هو حي ألوست اند في لندن .

### الكنيسة والمسرح

لا أظن أن كثيرا من الناس لهم اهتمامات خاصة ، فما نشئنا لنهتهم ، وليس الاحساس بالأهمية الثومية للمسرح فطريا في الجنس البشرى ، فالرجل الطبيعي — كعدد كبير من الجنود في بداية الحرب — لم يكن يعرف ما المسرح ، ولكنى أرجو أن تلاحظ أن هؤلاء الجنود الذين لم يعرفوا ما هو المسرح كانوا يعرفون ما هي الكنيسة ، وقد لقنوا أن يحترموا الكنائس ، ولم يحذرهم أحد من الكنيسة أنها مكان تستعرض فيه الطائشات من النساء أنسهن في أبهى الملابس ، وتقرأ بصوت عال قصص النساء الخاطئات كزوجة بوليفار والشعر الغزلى كنشيد الأناشيد ، وتستحب موسيقى شوبير ومندلسون وجونود وبرامز الحسية والعاطفية أكثر من الموسيقى الجادة التي وضعها موسيقيون أعظم شأنًا ، وتثير الخبال والحواس أجمل أنواع الصور لأجمل القديسات من خلال النوافذ ذات الزجاج الملون ، ويساعد فنا النحت والعمارة فن التصوير .

ولم يذكرهم أحد بأن هذه الأسياء سببت في بعض الأحيان أشكالاً من النحل الوننية الغرامية ، حتى ان رجالاً لم يكونوا هواة متحمسين فحسب للأدب والرسم والموسيقى بل فنانين مشهورين فيها قد انتهجوا فعلاً عندما كان الغوغاء بل والجيوش النظامية المنفذة لأوامر صريحة يشوهون تماثيل الكنيسة ويهشمون نوافذها ويحطمون آلات الأرغن ويزقون الأوراق التي كانت تقرأ منها موسيقى الكنيسة وتغنى . وكانوا اذا رأوا التماثيل المحطمة في الكنائس قيل لهم ان هذا من عمل المشاغبين الأشرار من الكفرة بدلاً من أن تقال لهم الحقيقة وهي أن بعضه من عمل متعصين مصريين على طرد الدنيا والجسد والسيطان من المعبد ، وبعضه الآخر من عمل متمردين أصبحوا فقراء فقرا لا يحتمل لأن المعبد أصبح كهف لصوص . ولكن كل الآثام والانحرافات التي أخفيت عنهم بعناية من تاريخ الكنيسة قد ألقيت على أكتاف المسرح ، هذا المكان الخائق غير المريح الذي نكفر فيه عن سيئاتنا ونعاني أشد الحرج عندما نظفر بأقل فرصة للحصول على مضغمة طعام لأرواحنا الجائمة . لقد تجاوب العالم كله بصيحات الاستفطاع لانتهاك حرمة المعابد عندما ألقى الألمان قنابلهم على كندرائية ريمس ، ولكن الصحف لم تذكر شيئاً مما حدث عندما ضربوا

« المسرح الصغير » في أدلفى بالقنابل ، وكادوا يقتلون كاتين مسرحيين كانا يعيشان على بعد ياردات قليلة من المسرح ، ولو نظرنا الى متعة الحواس لما وجدنا أى مسرح يبلغ مستوى هيكل ريس ، ولا أية ممثلة تبلغ جمال العذراء فى هذا الهيكل ، ولن يكون أى تينور فى الأوبرا الا غيبا اذا قورن بداودها ، وقد كانت صورها الزجاجية رائعة حتى لأولئك الذين شاهدوا زجاج شارتر (١) . لقد كانت رائعة حتى فى صورها القبيحة ، والا فمن ينظر الى صورة « حمار بلوندين » بعد أن يرى صورة حوتها الكبير ؟ وعلى الرغم من زخاف أدلفى الآدمية التى أغدقت عليها مس كنجستون من ذوقها وعنايتها ، فان « المسرح الصغير » اذا قورن برمس يبدو أكثر الزوايا قتامة لجماعة صغيرة من المنشقين على الكنيسة ، والحق أن الكندرائية من وجهة نظر المتطهرين يجب أن تكون قد أغوت مليون شهوانى مقابل كل واحد جعله « المسرح الصغير » يذهب الى فراشه الظاهر مفكرا بعد أن يرى مسرحية « سحر » لتسترتون أو « الغارمين » لبريو ، ولعل هذا هو السبب الحقيقى لتمجيد الكنيسة وسب المسرح ، ومهما كان

(١) بلد فى فرنسا على بعد ٩٦ كيلو متر الى الجنوب الغربى من باريس ، مشهورة بكندرائيه القديمة التى تحتوى على آثار فنية رائعة من الزجاج الملون . ( المراجع )

الأمر فالثابت أن السيدة التي أدين لحبها للخدمة العامة وادراكها للقيمة القومية للمسرح بأول عرض منتظم لاحدى مسرحياتي قد أخفت عملها هذا وكأنه جريمة ، في حين أنها لو أعطت هذا المال للكنيسة لأحاطوها بهالة من أجل ذلك . واني لأسلم كما فعلت دائما بأن هذه الحالة التي تجرى عليها الأمور حالة معقولة جدا ، فقد طالما سألت اللندنيين لماذا يدفعون نصف جنيه لدخول المسرح في الوقت الذي يستطيعون فيه الذهاب الى كنيسة سانت پول أو وستمنستر أبى بدون مقابل، فما كانوا يجدون جوابا الا أنهم انما يذهبون الى المسرح لرؤية شيء جديد ، ولعله أن يكون سيئا خبيثا ، ولكن المسارح غالبا ما تخيب رجاءهم في الأمرين . ولو أن ثورة جعلت منى دكتاتورا لفرضت رسما كبيرا لدخول كنائسنا ، على أن يتسلم كل من يدفع عند باب الكنيسة تذكرة تخول له أولها الحق في الدخول بالمجان لمشاهدة عرض مسرحى فى أى مسرح يفضله أو تفضله ، وبذلك تؤدى المباحج الحسيه للصلاة الكنسية اعانة مالية لفضاية التمثيل الأشد صرامة .

### الطور المقبل

لن يدوم الموقف الحاضر . وعلى الرغم من أن الصحيفة التي كنت أقرأها على مائدة الافطار هذا الصباح قبل أن أكتب

هذه الكلمات تحوى احصاء يدل على أنه ليس أقل من ثلاث وعشرين حربا تشن في الوقت الحاضر لتثبيت السلام ، فإن انجلترا لم تعد في حالة حرب . وقد حدث رد فعل قوى للغذاء المسرحى الفج الذى استمر ربيع سنوات مخيفة ، وسرعان ما تحدد ايجارات المسارح على أساس أنها لا يمكن أن تمتلىء دائما ، بل ولا أن يمتلىء نصفها من أسبوع لآخر في المتوسط ، وستتغير الأسعار ، ولن تكون خسارة المسرحيات الراقية أكثر منها قبل الحرب ؛ بل لعلها ستفيد أولا من أن الكثيرين منا قد انتزعوا من جنة البلهاء التى كان يتجر فيها المسرح من قبل ، واصطدموا بأقسى الحقائق والضرورات حتى فقدنا الايمان والصبر على الادعاءات المسرحية التى لا أساس لها من الحقيقة أو الضرورة ، وثانيا من 'التغير المذهل الذى أحدثته الحرب في توزيع الدخل . فلم يبعد بنا العهد مذ كان المليونير هو ذلك الذى يحصل على دخل سنوى قدره خمسون ألف جنيه ، أما اليوم — وهو يدفع ضريبة الدخل والضريبة التصاعدية وقسط التأمين على حياته لمصاريف الجنائة — فانه يكون محظوظا ان بقى له من دخله عشرة آلاف جنيه مع العلم بأن أملاكه الاسمية بقيت كما هى . وكان ذلك كله نتيجة ميزانية « استراحة للأغنياء » . وفي الكفة الأخرى من الميزان نجد

ملايين من الأشخاص حصوا لأول مرة في حياتهم على دخل ثابت ، ولأول مرة في حياتهم أيضا تعود رجالهم أن يلبسوا ويأكلوا ويسكنوا ويتعلموا التصميم على ضرورة عمل بعض الأشياء . وقد أطلقت مئات الألوف من النساء من أقفاصهن المنزلية وتذوقن النظام والاستقلال جميعا ، وتبنت الطبقات المتوسطة الطائفة المتضعة للوجاهة بفضل ما عاتته من خراب محزن لم يسبق له منيل . لقد أصابتنا جميعا هزة هائلة ، وعلى الرغم من أن الفكرة السائدة ان صدمة الحرب ستكون تتيجتها الحتمية أرضا جديدة وسما جديدة وأن الكلب لن يرجع في قيئه والخزيرة لن تعود الى التسرع في الطين ، على الرغم من أن هذه الفكرة قد ظهر ضلالها ، فقد أصبحنا أكثر احساسا بحالتنا مما كنا وأقل ميلا الى الخضوع لها . ان الثورة التي لم تكن الى وقت قريب الا فصلا مشيرا من فصول التاريخ أو دعوى ديماجوجية قد أصبحت الآن امكانية قريبة ، بحيث لا تكاد حكومتنا تستطيع تجنبها في الداخل الا بمحاولة قمعها في الخارج بقوة السلاح والتشهير ، مسمية هذه العملية مكافحة الشيوعية .

ولعل الرئيس الأمريكى الذى كان يوما ما مؤرخا هو

الشخصية التي تمثل قمة المأساة في أيامنا هذه (١) ، فقد أصبحت مهمته في تلك الأيام أن يبين لنا كيف أن المنتصرين الذين ووجهوا بهممة بطولية وهي مهمة إعادة البناء بعد تلك الحرب العظيمة في أمريكا ، والتي يبدو واضحا أكثر من أية حرب أخرى أننا قامت لتحقيق فكرة ، قد انقلبوا على أعقابهم فقصوا خمسة عشر عاما يسيئون استعمال هذا النصر متظاهرين بأنهم يتسمون المنمة التي كانوا يعملون كل ما في وسعهم لجعلها مستحيلة . بالأسف ! لقد صدق هيجل حينما قال اتنا نتعلم من التاريخ أن الانسان لم يتعلم من التاريخ أى شيء . فبأى عذاب عقلى يرانا رئيس الولايات المتحدة — نحن المنتصرين الجدد — وقد نسينا كل ما ادعينا أننا نحارب من أجله ، وجلسنا وقد سال لعابنا تناول وجبة كاملة لعشر سنوات من الانتقام والاذلال لعدونا الذى خر على وجهه ! هذا ما لا يستطيع أن يتخيله الا أولئك الذين يعرفون كما يعرف كم أن التوبيخ لا يعنى ، وكم كان انكولن سعيدا اذ مات قبل أن تصبح رسائله الملهمه قصاصات ورق . انه يعلم جيدا أنه

(١) بدأ ودررو ولسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٢١ حياته العملية أسادا للتاريخ والاقتصاد السياسى ( المراجع )

مها يبذل من جهد فلن يصدر عن مؤتمر الصلح قرار يسكنه  
أن يبيب فيه - كما أهاب لنكولن « بحكم البشر المنصف ،  
ورحمة التقدير الواسعة » . لقد قاد شعبه ليحطم الروح الحربية  
في زايرن (١) . وها هو ذا الجيش الذي هبوا لتجديته مشغول  
في كولونيا بسجن كل ألماني لا يحيى ضابطا بريطانيا ، بينما  
الحكومة في أرض الوطن وقد سئلت ان كانت توافق على  
ذلك تجيب بأنها لا ترى وقف هذه الزايرنية حتى بعد عقد  
الصلح ، بل انها لتتطلع الى جعل الألمان يحيون الضباط  
البريطانيين حتى نهاية العالم . هذا ما تفعله الحرب بالرجال  
والنساء . وسيرون ذلك ويثبت أن شر ما يهدد به لا يمكن  
أن يبقى عملا . ولكننا أنا ورئيس الولايات المتحدة - فنحن  
متساويان في العمر - سنغدو شيوفا قبل أن ينتهي احتقار  
القلب المتواضع التائب وسيكون أمامه - في الوقت نفسه -  
تاريخ آخر ليكتبه ، وأمامي كوميدية أخرى لأكتبها ، ولعل  
الحرب - بعد هذا كله - لم تخلق الا لهذا ، ولعل المؤرخين  
والكتاب المسرحيين لم يخلقوا الا لهذا ، فاذا كان الناس يأبون  
أن يتعلموا الا بأن تكتب دروسهم بالدم ، فجب أن يحصلوا  
على الدم ، والأفضل أن يكون دمهم .

(١) مدينة قرب ستراسبورج بالالزاس واللورين بعرنسا .

( المترجم )

## العروش الزائلة والمرح الخالد

ولكن لا أهمية لذلك كله بالنسبة للمرح ، فعمما يسقط من قلاع الباستيل فان المسرح باق ، لقد انهار عرش هابسبورج ذو الرسالة ، وانزوى هوهنزرن العظيم في هولندا مهددا بالمحاكمة بتهمة كبيرة وهي أنه حارب انجلترا من أجل وطنه ، وقيل ان القيصر رومانوف مات ميتة بائسة بقتلة أسرع ، ولعله حي أو لعله ميت ، فلا أحد يهتم بذلك الا كما يهتم الناس بحياة أو موت أحد الفلاحين ، وقد تساوى لورد هيلاس مع خدمه في سويسرا الجمهورية ، وقد رؤساء الوزارات والقواد أمجادهم القصيرة الأمد يوم كان كل منهم صولون أو فيصر وانتهوا الى الخيبة وخسول الذكر واحدا بعد الآخر وكأنهم سلالة بانكو ، ولكن يوروييد وأريستوفان وشكسبير وموليير وجيتة وابسن فلولوا في مقاعدهم الخالدة .

## كيف تكلم الحرب الشاعر المرحى

أما عن نفسى فقد يسأل سائل لماذا لم أكتب مسرحيتين عن الحرب بدلا من رسالتين ؟ والجواب عن ذلك ينطوى على معنى كبير . فانك لا تستطيع أن تشن الحرب على الحرب وعلى جارك في نفس الوقت ، ولا تستطيع الحرب أن تتحمل تقريع

الكومبديا العنيف ولا ضوء الضحك القاسى الذى يسطع على المسرح ، وعندما يموت الرجال ببطولة فى سبيل وطنهم فلن يكون من المناسب أن تبين لأحبائهم وزوجاتهم وآبائهم وأمهاتهم كيف أنهم يضحون فى سبيل أخطاء الأغبياء ، وجشع الرأسمالين ، وطموح الفاتحين ، وانتخابات الديماجوجيين ، ونفاق الوطنيين ، وفى سبيل الجشع والكذب والحقد والتعطش لسفك الدماء ، تلك الصفات التى تحب الحرب لأنها تفتح لها أبواب سجنها وتضعها على عروش القوة والشهرة . فانه مالم تقضح هذه الأشياء كلها دون رحمة فستخفى على المسرح تحت ستار المثل العليا ، تماما كما يحدث فى الحياة .

ومع أنه من الجائز أن تكون هناك أشياء أفضل يمكن الكشف عنها ، فانه قد لا يكون من الملائم من الناحية العسكرية أن نكشف عنها . بل من المؤكد أننا لا نستطيع الكشف عنها بينما القضية لا تزال معقدة . فقول الحق لا يتفق مع الدفاع عن الملكة . انا تقرأ الآن اعترافات قادة الجيش والأسطول وقد رفعت الهدنة الكمادات من أفواههم ، لقد أخبرنا القائد « أ » أثناء الحرب فى رسائله المؤثرة من ميدان القتال كيف أن القائد « ب » اكتسى مجدا خالدا فى معركة كذا وكذا ، أما الآن فانه يخبرنا أن القائد « ب » كان على وشك أن يجلب

علينا الهزيمة لأنه خالف أوامره في ذلك الوقت وحارب بدلا من أن ينسحب كما كان يجب أن يفعل . لا شك أن هذا موضوع رائع لكوميديا بعد انتهاء الحرب ، ولكن ماذا يكون وقع هذه المعلومات على جنود القائد « ب » لو أن القائد « أ » أفشاها في وقتها ؟ وماذا عسى أن يكون وقع الأمر على الأمة لو أن المرح كشف عن رأى رئيس الوزراء ووزير الحرية الذى يرأس القائد « أ » في هذا القائد ورأى القائد فيهما كما ظهر في المناقشات الحامية التى دارت بينهم ؟ هذا هو السبب الذى يضطر الكوميديا الى أمانة الصمت على الرغم من الاغراء الشديد ؛ ففن الشاعر الدرامى لا يعرف الوطنية ، ولا يلتزم بشئ ، الا الصدق نحو التاريخ الطبيعى ، ولا يبالى ان كانت ألمانيا أو انجلترا هن التى تضى ، وهو على استعداد لأن يصيح مع برينهيد قائلا « فلنمت ، فلنهلك ونحن نضحك » مفضلا ذلك على أن يتخذع أو يتخذع . وهكذا يصبح فى زمن الحرب خطرا عسكريا كبير من السم أو الصلب أو المتفجرات الشديدة ، وهذا هو السبب الذى جعلنى أحبس « منزل القلوب المحطمة » عن خيبة المرح أثناء الحرب ، فقد كان من الممكن أن يحول الألمان الفصل الأخير من المرحية فى أية ليلة الى حقيقة جادة ، بل لا ينتظروا دورهم ليتكلموا .

جورج برنارد شو

يونية سنة ١٩١٩

## الفصل الأول

حجرة بنيت على هيئة مؤخرة سفينة من طراز قديم عالي المؤخرة في نهايتها دعليز مرتفع . يبدو من خلال نوافذها منظر ساحر لمنطقة التلال الواقعة وسط الحدود الشمالية لاقليم سسكس في مساء لطيف من أواخر شهر سبتمبر ، النوافذ خشبية ضخمة كأنها نوافذ سفينة ، وهي معصلة بطول الحجرة قدر ما تسمح قوة احتمال الحائط . تحت النوافذ صف من الصناديق ذوات الأقفال تستعمل كمقاعد غير مفروشة . يقطعها باب زجاجي مزدوج يقع نسبيا في منتصف المسافة بين حافة المؤخرة والجدار . وثمة باب ثان - مبالغ في التوهم - يبدو كأنه في الجانب الأيسر من السفينة ، وهو مع ذلك لا يؤدي بنا الى البحر بل الى بهو في مدخل البيت ، وبين هذا الباب والدعليز المرتفع رفوف من الكسب ، كما توجد معاتبح الكهرباء بين الباب الموصل الى البهو والباب الزجاجي في الدعليز المرتفع .

الى الجانب الأيمن مضدة نجار وقد ثبت في المنجلة لوح من الخشب ، وعلى الأرض نثار من نشارة الخشب فاض عن سلة المهملات ، وعلى المضدة فارتان لمسح الخشب ومثقب . في الجدار نفسه بين المضدة والنوافذ فنحة ضيقة بها باب نصفى يمكن أن نلمح من فوقه الحجرة الداخلية وعلى كيلار به رفوف صفت عندها الزجاجات وغيرها من لوازم المطبخ . في الجانب الأيمن قرب الوسط مضدة رسم بسسبيطة من البلوط ، عليها لوحة رسم ومسطرة حرف T ومساطر هستقيمة

ومثلثات وغير ذلك من أدوات العلوم الرياضية ، وأوان صغيرة  
للألوان المائية وقدر به ماء غير ملون وحبير شينى وأقلام وعدد من  
الفرش . وقد وضعت مضده الرسم بحيث تكون الاستفادة على  
يسار الحائس اليها .

على الأرض عند طرف المضدة الأيمن دلو مما يستعمل في  
السفن لاطفاء الحرائق .

في الحانب الأيسر من الحجره بالعرب من رفوف الكنب أريكة  
ظهرها الى الواصل ، وهى مصنوعة من خشب الموجنة المثني وقد  
مرشت مع محدتها بمشاش من قلع السفن بطريقة شاذة وغنى على  
ظهرها دناران .

بين الأريكة ومنصدة الرسم كرسي كبير من الفس له مسندان  
عريضان وظهر منحفض مع ميل الى الخلف . وقد وصح بحيث  
يكون الضوء من خلفه .

بجوار الجدار الأيسر بين الباب ورفوف الكنب مضدة صغيرة  
ولكنها مئينة مصنوعة من خشب الساج . مسنديرة السطح ذات  
قوائم يمكن طيها ، وهى الشئ الوحيد فى الحجره الذى يوحي  
ايحاء ضعيفا بامسة أنتوية فى ترتيب الأثاث .

أرضية الحجره المصنوعة من ألواح صيقة عارية من السجاد  
وهى مجملطة ومصطبة بحجر الرخفة كأرضية السفن .

الهدنقة التى يوصل اليها الباب الزحاحى تمحدر نحو الجنوب  
قبل أن يرتفع المنظر ثانية نحو التلال .

فى الفراغ ترتفع قبة مرصدة . وبين المرصدة والمنزل سارية علم  
فى ساحة صغيرة . وعلى جانبها الأيمن أروحة للنوم من الشبك ،  
وعلى حانبها الأيسر مقعد طويل من مقاعد الحدائق .

على المقعد الملاصق للنامدة تجلس فتاة بكامل ملابسها : القفاز  
والقبعة والمعطف الواقى من الغبار . وقد مالت بحسدها لتستطع

مشاهدة المنظر ، مسنده ذقنها الى بدها بينما تدل يدها الأخرى  
ممسكة مجلدا من طبعة ه نميل ، لأعمال شكسبير واصبعها مدموس  
على الصفحة التي كانت تقرأ فيها .

تدق الساعة السادسة .

تلتفت الفتاة وتنظر في ساعتها ثم تقف كمن انتظر طويلا حتى  
كاد يفقد صبره . وهي فتاة جميلة شقراء هيفاء ذكية النظرات ،  
تلبس ملابس جميلة وأن لم تكن غالية ، ومن الواضح أنها ليس من  
صف الكسول المأفقات . تنهد في تعب المستسلم ثم تسير  
نحو كرسي الرسم وتجلس وتبدأ في قراءة شكسبير ، وسرعان ما  
يسقط الكتاب في حجرها وتغمض عينيها ويغلبها النعاس .

تدخل من الصالة حادمة عجوز تحمل صينية عليها ثلاث  
زجاجات مخومة من الروم . وتقطع الحجر إلى الكيلار دون أن تلاحظ  
الفتاة ، فتضع الزجاجات على الرف وتملا الصينية بزجاجات فارغة ،  
وبينما هي في طريق عودتها بالزجاجات يسقط الكتاب من الشابة  
فنسيهبط وتفرع الحادمة العجوز حتى تكاد تسقط الصينية .

**الخدامة** : يا لله ! ( ترفع الشابة الكتاب من الأرض وتضعه  
على المنضدة ) آسفة لأنى أيقظتك يا آنسة ،  
انى حقا آسفة ، ولكنى لم أرك من قبل ، ماذا  
تنتظرين هنا الآن ؟

**الفتاة** : أنتظر انسانا ما يبدو عليه أنه يعرف أنى مدعوة  
الى هنا .

**الخدمة** : أوه ، أنت مدعوة اذن ، ومع ذلك لم يستقبلك  
أحد ؟ يا للعجب ! يا للعجب !

**الفتاة** : جاء سيد عجوز وحشى النظرات ونظر من النافذة  
ثم سمعته يصيح : « أينها المريية ، هنا شابة  
صغيرة جميلة تنتظر فى مؤخرة السفينة ، اذهبى  
اليها واسألها ماذا تريد » ، أنت المريية ؟

**الخدمة** : نعم يا آنسة ، أنا المريية جينيس ، وذلك السيد  
هو القبطان شتوثر العجوز ، والد مسز  
هشاباى . لقد سمعت زئيره ولكنى ظننته لأمر  
آخر ، أحسب أن مسز هشاباى هى التى دعتك  
يا بطتى ؟

**الفتاة** : فهمت أن هذا ما فعلته ، ولكن أظن أنه خير لى  
فى الحقيقة أن أرحل .

**المريية جينيس** : أوه ، لا تفكرى فى ذلك يا آنسة ، ان كانت  
مسز هشاباى قد نسيت كل ما يتعلق بالدعوة ،  
فان رؤيتها اياك ستكون مفاجأة سارة لها ، أليس  
كذلك ؟

**الفتاة** : كانت مفاجأة لى غاية فى السوء عندما لم أجد  
أحدا ينتظرنى .

المرية جينيس : ستعتادين ذلك يا آنسة ، فمماذا المنزل ملئ  
بالمفاجآت لمن لا يعرفون طريقة حياتنا .

القبطان شتاور : ( ينظر فجأة من الصالة ، وهو شيخ هرم ولكنه  
ما زال قويا ، ذو لحية ضخمة بيضاء ، يلبس  
سترة بحار قصيرة ويعلق في رقبته سفارة )  
أيتها المرية ، على الدرجات الأمامية حقيبة سفر  
كبيرة وحقيقية يد يتعثر فيهما كل انسان ، وكذلك  
مضرب تنس ، أى شيطان تركها هناك ؟

الفتاة : أختى أن أقول انها تخصنى .

القبطان : ( ينقدم الى منضدة الرسم ) أيتها المرية ، من  
هذه الفتاة المضللة سيئة الحظ ؟

المرية جينيس : انها — كما تقول يا سيدى — ضيفة من هيسى .

القبطان : أو ليس لها صديق أو أبوان ليحذروها من

دعوات ابنتى ؟ يا له من بيت عجيب وحق السماء ،  
شابة صغيرة جميلة تدعى الى هنا ، فترك حجابها  
على درجات السلم ساعات طويلة ، وترك هى  
نفسها فى مؤخرة السفينة وحيدة متعبة جائعة ،  
هذا حسن ضيافتنا ، وهذه أخلاقنا ، فلا حجرة  
أعدت ، ولا ماء ساخنا قدم ، ولا مضيئة ترحب

بها ، وعلى ضيقتنا أن تنام في سقيفة الآلات وأن  
تغسل في برميل .

**المرية جينيس :** لا بأس الآن يا قبطان ، سأحضر للسيدة شايًا ،  
وستكون حجرتها معدة فبلى أن تفرغ من  
احتسائه ( للفتاة ) اخلمي قبعتك يابطتى وخذى  
راحتك ( تتجه الى الباب المؤدى الى الصالة ) .

**القبطان :** ( أثناء مرورها به ) بطنى ! أتظنين أيتها المرأة  
أنه ما دامت هذه السيدة الشابة قد أهيت  
وأهملت ، فمن حقت أن تخاطبها كما تخاطبين  
طفلتى المسكيتين اللتين ربيتها على الجهل  
بأوليات الآداب الاجتماعية ؟

**المرية جينيس :** لا تهتمى به يا عروستى ( فى عدم مبالاة تامة  
تخرج الى الصالة فى طريقها الى المطبخ ) .

**التبطان :** اتشرفيننى يا سيدتى بذكر اسمك ؟ ( يجلس على  
كرسى القش الكبير ) .

**الفتاة :** اسمى ايلى دن .

**القبطان :** دن ! شخص اسمه دن عمل معى رئيسًا للبحارة،  
وكان فى الأهل قرصانا فى الصين . وقد اشتغل

مونا للسفن بيضاة لا شك أنها مسروقة منى ،  
فلا ريب أنه أصبح غنيا ، أنت ابنته ؟

**ابلى** : ( غاضبة ) كلا ، لست ابنته بالطبع ، انى لأفخر  
بأنى أستطيع القول ان أبى وان لم يكن انسانا  
ناجحا فان أحدا لم يستطع أن يتقول عليه بكلمة ،  
وانى لأعتقد أن أبى أفضل رجل عرفته فى حياتى .

**القبطان** : لا بد أنه تغير تغيرا كبيرا ، هل وصل الى درجة  
التركيز السابعة ؟

**ابلى** : لست أفهم شيئا .

**القبطان** : ولكن كيف يستطيع ذلك وله بنت ؟ ان لى  
يا سيدتى ابنتين ، احدهما هزيون هشاباى التى  
وجهت اليك الدعوة ، والتى كلما نظمت هذا  
المنزل أشاعت فيه الاضطراب ، وكلما أردت  
الوصول الى درجة التركيز السابعة استضافت  
ضيوفا وتركت لى أمر العناية بهم ( تعود المريية  
جينيس بصينية الشاى وتضعها على المنضدة  
الصغيرة ) ولى ابنة ثانية ، وانى لأحمد الله لأنها  
فى مكان بعيد من الامبراطورية مع زوجها الأبله ،  
كانت تعتقد وهى طعنة ن التمثال الذى على

رأس سفينتى « الباسلة » أجمل شئ على وجه الأرض ، وزوجها يشبه هذا التمثال ، فله نفس التعبير : جامد ولكنه جذاب . وقد تزوجته ، ولن تضع قدمها في هذا المنزل بعد الآن .

**الرية جينيس :** ( تحمل المتضدة وعليها أدوات الشاي وتضعها بجانب ايلى ) فى الحق انك لم تكن قط أكثر خطأ منك فى هذه المرة ، فهمى فى انجلترا فى هذه اللحظة نفسها ، وقد أخبروك ثلاث مرات هذا الأسبوع أنها سنعود الى المنزل لتبقى عاما من أجل صحتها ، وكان الواجب أن تكون مسرورا غاية السرور لأنك سترى ابتك بعد هذه السنين الطويلة .

**التبطان :** لست مسرورا ، فالمدة الطبيعية لتعلق الحيوان الآدمى بذريته ست سنوات ، وقد أنجبت ابنتى أريادن وأنا فى السادسة والأربعين ، وقد بلغت الآن الثامنة والثمانين من عمري ، فاذا جاءت فأنا لست موجودا ، واذا أرادت شيئا فلتأخذه ، واذا سألت عنى فأعلميها أننى أصبحت شيخا هرما وأننى نسيته نسيانا تاما .

الربة جينيس : ليس هذا بالحديث الذى يلقى على مسامح شابة صغيرة ، هيا يا بطتى ، اشربى قليلا من الشاي ولا تستمعى اليه . ( تصب فنجانا من الشاي )

**القبطان** : ( ينهض فى غضب ) يا للسماء ، انهم يقدمون الى هذه الطفلة البريئة شايا هنديا من تلك النفاية التى يدبغون بها جلودهم الداخلية . ( يمسك الفنجان والبراد ويصب ما فيهما فى الدلو الجلدى ) .

ايلى : ( تكاد تبكى ) اوه ، أرجوك ، انى فى أشد حالات التعب ، وأى شىء يرضينى .

الربة جينيس : اود ، ماذا فعلت ؟! ان المسكنة على وشك الانعفاء .

**القبطان** : سأقدم اليك بعض الشاي الذى أشرب منه ، ولا تلمسى هذه الكمكة التى ملأ الذباب منها بطنه ، فلا أحد هنا يأكل منها الا الكلاب . ( يختفى فى الكيلار ) .

الربة جينيس : يا له من رجل ! يقال انه باع روحه للشيطان فى

زنجبار قبل أن يصبح قبطانا ، وكلما تقدم في السن زاد يقينى بصحة ذلك .

**صوت امرأة :** ( فى الصالة ) هل فى المنزل أحد ؟ هزيون !  
« داده » ! بابا ! فليحضر أحد ليدخل حقائقى .  
( يسمع طرق أشبه بطرق مطلة على حشب الجدران )

**المريه جينيس :** يا ربى ! انها مس آدى ، ليدى أتروود ، شقيقة مسز هشاباى ، تلك التى كنت أتحدث مع القبطان بشأنها ( تصيح ) سأحضر يا مس ، سأحضر ( تنقل المنضدة الى مكانها بجوار الباب ، وأثناء اسراعها الى الخارج تعترض طريقها ليدى أتروود التى تندفع الى الداخل فى هياج . هى شقراء جميلة جدا ، أنيقة جدا ، شديدة الاندفاع فى حديثها وحركاتها ، حتى أن الانطباع الأول لمن يراها أنها على شئ من البلاهة المضحكة ، ولكنه انطباع خاطئ ) .

**ليدى أتروود :** أوه ، أهذه أنت يا دادة ؟ كيف حالك ؟ يبدو كأنك لم تتقدمى فى السن يوما واحدا ، ألا يوجد أحد فى المنزل ؟ أين هزيون ؟ أليست

في انتظاري ؛ أين الخدم ؟ حقائب من تلك التي  
على الدرج ؟ أين بابا ؛ أنيام كلهم ؛ ( ترى ايلي )  
أوه ، أرجو المذرة ، أظنك احدى بنات أختي  
( تتقدم منها وقد مدت ذراعيها ) تعالى وقبلي  
خالتك يا عزيزتي .

ايلي : لست الا زائرة ، وحقائبى هي تلك التي على  
الدرج .

الريه جينيس : سأذهب لاحضار بعض الشاي الطازج يابطى  
( تحمل العينية ) .

ايلي : ولكن السيد العجوز قال انه سيعيد الشاي  
بنفسه .

الريه جينيس : بعد الله عنك الشر ! لقد نسي الآن ما ذهب من  
أجله ، ان ذهنه يقفز من موضوع الى موضوع

ليدى أتروود : أظنك تعنين بابا ؟

الريه جينيس : نعم يا آنسة .

ليدى أتروود : ( بعنف ) لا تكونى حمقاء يا دادة وتنادينى  
بالآنسة .

الريه جينيس : ( برصانة ) نعم يا حبيبتى ( تخرج بالصينية ) .

**ليدى أتروود :** ( تجلس على الأريكة بحركة مندفعة ) أنا أعلم ما يمكن أن تحسى به ، أود ، هذا البيت ، هذا البيت ! لقد عدت إليه بعد غيبة ثلاثة وعشرين عاما لأجده كما هو لم يتغير فيه شيء ، الحقائق ملقاة على الدرج ، الخدم مدللون لا يطاقون ، لا أحد في البيت ليستقبل أى انسان ، لا وقت محدد للطعام ، لا أحد يجوع أبدا لأنهم دائما يلوكون الخبز بالزبد أو يقضمون التفاح ، ثم أسوأ من ذلك : نفس الانسراب في الأفكار والكلام والشعور . عندما كنت طفلة كنت معتادة ذلك ، فلم أكن أعلم أن هناك ما هو خير منه ، ولو أنى كنت تعيسة ، وكنت مشوقة دائما -- ويا له من شوق -- لأن أكون محترمة ، لأن أكون سيدة ، لأن أعيش كما يعيش الآخرون ولا اضطر الى أن أفكر في كل شيء ، بنفسى . وتزوجت في سن التاسعة عشر لأهرب من هذا البيت ، وكان زوجى سير هاستنجز أتروود حاكما لكل مستعمرات التاج واحدة بعد الأخرى ، وكنت دائما سيدة فصر الحاكم ،

فكنت في غاية السعادة ونسيت أن هناك من يعيش هكذا ، وُردت أن أرى أبي وشقيقتي وأبناءها وبناتها فهذا واجب على الانسان كما تعلمين — وكنت أتقرب هذه اللحظة ، والآن ، انظري الى حالة البيت ! والطريقة التي قوبلت بها ! والوقاحة وقلة الاعتناء من هذه المرأة جينيس ، مريتنا العجوز ! على الأقل كان يجب أن تكون هزيون هما ، وأن يكون هناك ترتيب ما من أجلى . اعذريني لانطلاقى هكذا في الكلام ، فاني في الحقيقة أحس بالاهانة والغضب وزوال الأمل الكاذب ، ولو أنى تأكدت من أن الحالة ستكون على ما هي عليه لما جئت ، بل انى لأفكر جديا في أن أنصرف دون أن أزيد كلمة واحدة ( تكاد تبكى ) .

ايلى : ( وهي كذلك في أشد حالات التماسه ) أنا أيضا لم أجد أحدا في انتظاري ، وقد فكرت مثلك في أن أنصرف ، ولكن كيف نستطيع يا ليدى أنروود ، وحقائبي على درجات السلم ، وعربة المحطة قد ذهبت .

( يدخل القبطان من الكيلار حذرا صيية  
من الخشب المدهون باللاكيه وعليها أدوات  
شاي غاية فى الجمال ، ثم يضعها مؤقتا على  
حافة المنضده ، ويمزج لوحه الرسم ويضعها  
على الأرض مسندة الى رجل المنتسدة ،  
ويضع الصينبة فى المكان الذى خلا . تصب  
ايلى لنفسها فنجانا من الشاي بنراة )

**القبطان** : شايك أيتها السيد الصغيره ، عجبا ! سيدة  
أخرى ! فلأذهب لأحضر فنجانا آخر ( يتجه الى  
الكيلار ) .

**ليدى أتروود** : ( تنهض من الأريكة وقد غلبها الاتفعال ) بابا !  
ألا تعرفنى ؟ انتى ابتك .

**القبطان** : هراء ! ابنتى نائمة فى الطابق العلوى ( يخنفى  
وراء الباب النصفى ) .

( تراجع ليدى أتروود الى النافذة لتخفى  
دموعها )

**ايلى** : ( تذهب اليها بالفنجان ) لا يحزنك الأمر هكذا .  
خذى فنجان الشاي هذا ، انه عجوز هرم وغريب  
الأطوار جدا ، وقد عاملنى بنفس الطريقة ، أنا  
أعلم كم يؤلمك هذا ، فان أبى هو الدنيا كلها

بالنسبة لى ، أود ، أنا واثقة أنه لم يقصد شيئا  
بما فعل .

( يعود القبطان بمنحان آخر )

**القبطان** : الآن كل شيء قد تم ( يضع الفنجان على  
الصينية ) .

**ليدى أتروود** : ( فى عصرية ) بابا ! لا يمكن أن تكون قد  
نسينى ، أنا أريادن ، أنا يادى ياتكنز الصغيرة ،  
ألا تقبلنى ؟ ( تذهب اليه وتحيط رقبته بذراعيها ) .

**القبطان** : ( يتحمل عناقها بجمود ) كيف يمكن أن تكونى  
أريادن ؟ اناك امرأء فى منتصف العمر ، حقا اناك  
يا سيدتى ما زلت محنظة بجمالك ، ولكنك لم  
تعودى صغيرة .

**ليدى أتروود** : فكر يا أبى فى كل تلك السنين الطويلة التى  
غبتها عنكم ، لم يكن هناك مفر من أن أكبر كما  
يحدث لغيرى من الناس .

**القبطان** : ( يخلص نفسه منها ) كان يجب أن تكبرى عن  
تقبيل الأعراب من الرجال ، فلملهم من المجاهدين  
لبلوغ الدرجة السابعة من التركيز .

**ليدى أتروود** : ولكنى ابنتك التى لم ترها منذ سنين طويلة .

**القبطان** : وهذا أسوأ ما في الأمر ! اننا نفكر في حسنات

أقاربنا الذين يعيشون بيننا والا لما أمكننا تحملهم،  
ولكنهم اذا غابوا عنا فاننا تتسلى عن غيابهم  
بتذكر سيئاتهم . وهكذا أصبحت أفكر في ابنتي  
زيادن على أنها شيطانة كاملة ، فلا تحاولي أن  
تتألى عطفنا بابتحال شخصيتها ( يتجه في ثبات  
الى الجهة الأخرى من الحجرة ) .

**ليدى اتروود** : قال العطف حقا ! ( بعزذ ) حسن جدا يا بابا  
( تجلس الى منضدة الرسم وتصب لنفسها فنجانا  
من الشاي ) .

**القبطان** : لقد أهملت واجباتي الاجتماعية ، أتذكرين دن ،  
يللى دن ؟

**ليدى اتروود** : تقصد ذلك البحار المجرم الذى سرقك ؟

**القبطان** : ( مقدا ايللى ) هذه ابنته ( يجلس على الأريكة ) .

**ايللى** : ( معترضة ) كلا ..

( تعود المربيه جينيس بشاي جديد )

**القبطان** : ألقى بغسالة المطبخ هذه الى الخارج ، أسمعين ؟

**الخادمة** : انك تذكرت الشاي بالفعل ! ( لايللى ) أوه

يا آنسة ، انه لم ينسك رغم كل شيء ! ان لك  
لتأثيرا عليه .

**القبطان :** ( فى حزن ) الشباب ! الجمال ! الجدة ! انا فى  
أشد الحاجة إليها فى هذا البيت ، فأنا بلغت  
أقصى العمر ، وهزيون فى منتصف العمر ،  
وأبناؤها لا شباب فيهم .

**ليدى أتروود :** كيف يرجى من الأطفال أن يكون فيهم شباب  
فى هذا البيت ؟ لقد كنا قبل أن تتعلم الكلام  
تملىء أدمغتنا بأفكار قد تليق بفلاسفة وثنين  
فى الخمسين من عمرهم ، ولكننا لم نكن نصلح  
للحياة مع المحترمين من الناس فى أى سن .

**الخدمة :** كنت دائما تميلين الى الأشياء المحترمة يا مس  
آدى .

**ليدى أتروود :** دادة ، أرجوك أن تتذكرى دائما أنتى لىدى  
أتروود ، وأنى لست مس آدى ، وكست حبيبتك  
أو عزيزتك أو عروستك ، أسمعين ؟

**الخدمة :** نعم يا بطنى ، لا بأس ، سأخبرهم جميعا لينادوك  
بإسيدتى اللىدى ( تخرج بالصينية بهدوء تام ) .

**ليدى أتروود :** أين هى الراحة ؟ وما معنى الاحتفاظ بخدم  
لا يعرفون الأدب ؟

**إلى** : ( تهض وتنجه الى المنضدة لتضع عليها فنجانها الخالى ) أتظنين يا ليدى أتروود أن مسز هشاباى تتوقع زيارتى حقا ؟

**ليدى أتروود** : لود ، لا تسألينى ، فيمكنك أن ترى بنفسك أننى أنا شقيقنها حضرت توا بعد غياب ثلاثة وعشرين عاما! ويسدو أن لا أحد يتوقع حضورى .

**القبطان** : وما الفرق ان كان أحد يتوقع زيارة هذه الفتاة أو لا ، اننا نرحب بها على كل حال ، فالأسرة فى البيت كثيرة ، والطعام موجود ، سأجد لها حجرة بنفسى .  
( يتجه نحو الباب )

**إلى** : ( تتبعمه لتوقفه ) أوه ، أرجوك .. ( يخرج ) لا أدري ما أفعل يا ليدى أتروود ، فان أباك يصر على الاعتقاد بأن والدى كان بحارا سرقه .

**ليدى أتروود** : خير لك أن تتظاهرى بأنك لم تلاحظى ذلك ، ان أبى رجل ذكى جدا ولكنه كثير النسيان ، وقد زاد الأمر سوءا الآن بالطبع بعد أن تقدم به

العمر ، ويجب علىّ أن أحذرك أنه في أوقات كثيرة يكون من الصعب الوثوق بأنه ينسى حقا .  
 ( تدفع مسز هشاباي الى الحجرة كالعاصفة  
 وتعانق ايلي . مسز هشاباي أكبر من ليدى  
 أتروود بعامين وأجمل منها ، فشعرها الاسود  
 رائع ، وعيناها كبحيرات و حشبيون ، ،  
 وعنقها كعمق تمثال نيبيل ، فصير من الحلف  
 طويل بين كتفيها من الامام ، وهي بخلاف  
 أختها لا تلبس مشمدا ، وتلبس - دون  
 اعتناء - نوبا غاليا من القטיפعة السوداء  
 يعطير بياص لربها واسندارة جسمها )

مسز هشاباي : ايلي يا حبيتي ، يا صغيرتي ( تقبها ) منذ متى  
 وأنت هنا ؟ فأنا لم أعادر المنزل طول الوقت ،  
 كنت أضع الأزهار والأشياء اللازمة في حجرتك ،  
 وعندما جلست لحظة على الكرسي ذى المساند  
 لأجرب كم هو مريح غابني النوم ، وقد أيقظني  
 أبى وأخبرني أنك هنا ، كلما أتصور انك لم  
 تجدى أحدا وأنك أهملت وتركت وحيدة !  
 ( تقبها ثانية ) يا حبيتي المسكينة ! ( تجلس  
 ايلي على الأريكة ، وفي نفس الوقت تترك أريادن  
 المنضدة وتتقدم مطالبة بنصيها من الاهتمام )

أود ، لقد اصطحبت صديقة معك ، عرفيني بها -

ليلى أتروود: هزيون ، أمن الممكن أنك لم تعرفيني ؟  
مز مشاي : ( مجاملة ) بالطبع أذكر وجهك جيدا ، أين  
تقابلنا ؟

ليلى أتروود: ألم يقل لك بابا انى هنا ؟ أوه ، حقا ان هذا  
كثير .

( تلقى بنفسها على المقعد الكبير وقد نجهم  
وجهها )

مز مشاي : بابا !

ليلى أتروود: نعم بابا ، أبونا أيتها التعمة العديمة الاحساس  
( تنهض غاضبة ) سأذهب توا الى فندق .

مز مشاي : ( تمسكها من كتفها ) يا للعجب العجيب ؛ أتعنين  
بقولك انك آدى !?

ليلى أتروود: بالتأكيد أنا آدى ، ولا أفطن أنى تغيرت بحيث  
لا يمكنك أن تذكرينى لو كنت تحبيننى حقا ،  
وبابا ، انه لا يرانى أستحق مجرد الاشارة الى  
وجودى !

مز مشاي : يا له من أمر مسل ! اجلسى . ( تدفعها للجلوس  
على الكرسي بدلا من ثقيلها وتقف خلف

الكرسى ) يبدو أنك في حالة طيبة ، وانك لأجمل  
من أى وقت مضى ، لا شك أنك تعرفت بأبلى ،  
انها ترغب في الزواج من مليونير خنزير من أجل  
أبيها الذى هو أفقر من فأر الكنيسة ، يجب أن  
تساعدنى على منعها .

أبلى : أوه ، أرجوك يا هزيون .

مسز هشاباى : ان الرجل قادم اليوم مع والدك يا صغيرتى ليبدءا  
في تمذيبك ، وبعد عشر دقائق سبرى كل انسان  
هذه الحالة ، فما الداعى لأن تجعللى من الأمر  
سرا ؟

أبلى : انه ليس خنزيرا يا هزيون ، أنت لا تعرفين كم  
كان طيبا ورائعا مع أبى ، وكم أنا معترفة له  
بالجميل اعترافا عميقا .

مسز هشاباى : ( للبدى أتروود ) والدها يا آدى رجل ممتاز ،  
اسمه ماتزىنى دن ، كان ماتزىنى رجلا له شهرة  
كبيرة فيما لا أدري ، وكان صديقا لجد أبلى  
وجدتها ، وقد كانا كلاهما شاعرين كآل بروننج،  
وعندما ولد أبوها قال ماتزىنى « ها قد ولد  
جندى آخر من جنود الحرية ! » فسمياه

ماترينى ، ومنذ ذلك الحين ظل يحارب فى سبيل  
الحرية بطريقته الهادئة ، وهذا هو سبب فقره  
الشديد .

**ايلي** : انى فخورة بفقره .

**مزهشباي** : بالطبع يا صغيرتى ، فلماذا لا تدعينه فى فقره  
وتزوجين شخصا تحبينه ؟

**ليدى اتروود** : ( تنهض فجأة وتنفجر قائلة ) هزيون ! أتتوين  
تقبلى أم لا تتوين ؟

**مزهشباي** : ولماذا تريدن أن تقبلى ؟

**ليدى اتروود** : أنا لا أريد أن أقبل ، ولكنى أريد أن تتصرفى  
بلباقة وأدب ، فنحن شقيقتان وقد افترقنا ثلاثة  
وعشرين عاما ، فالواجب عليك أن تقبلينى .

**مزهشباي** : غدا صباحا يا عزيزتى قبل أن تنجملى ، فانى  
أكره رائحة البودرة .

**ليدى اتروود** : أوه ، أنت جامدة الاحساس .. ( يقطع كلامها  
دخول القبطان ) .

**القبطان** : ( لايلى ) غرفتك معدة الآن ( تنهض ايلي ) كانت  
ملاءات السرير مندأة ولكنى غيرتها ( يتجه الى  
باب الحديقة فى الجانب الأيسر ) .

ليدى آروود: أوه! وماذا عن ملاءاب سريري؟

القبطان : ( يتوقف عند الباب ) اسمعى نصيحتى وانثريها ،  
أو انزعبها واكتفى بالبساطين ، ستنامين فى حجرة  
أريادن القديسة .

ليدى آروود: بالتأكيد لن أفعل ذلك ؛ هذا الحجر الصغير !  
من حقى أن أنزل فى أحس حجره خالية .

القبطان : ( يسنمر فى حديثه دون تأثير ) لقد تزوجت غيبا ،  
وقالت لى انها ستزوج أى رجل لتترك هذا  
البيت .

ليدى آروود: أنت تدعى أنك لا تعرفنى لغرض فى نفسك ،  
سأعادر البيت .

( يدخل ماتزىنى دن من البهو . وهو كهل حاد  
صئيل الجسم ، فى عيبيه الساذجتين  
حجوط ، يلبس ستره كحلية من الصوف  
الخشن فوقها معطف واق من المطر مفكوك  
الأزرار ، ويحمل قبعة سوداء لينة تشبه  
قبعات القساوسة )

الى : أخيرا ! ها هو أبى يا قبطان شتوثر .

القبطان : هذا ! هراء ! لبس فيه أى شبه منه

( يخرج الى الحديقة ويعلق الباب وراءه  
بعنف )

ليدى اتروود: لن أقبل هذا التجاهل والتظاهر بأنى امرأتة  
أخرى ، سأنهى هذا الأمر مع أبى الآن ، هذ  
اللحظة ( لما تزينى ) معذرة .

( تتبع القبطان الى الخارج بعد ان تحبى  
ماتزىنى باحناءة سريعة من رأسها فيردها )

مز هشاباى : ( تصافحه فى ترحيب ) انه فضل منك أن تحضر  
يا مستر دن ! لعلك لا تغضب من أبى ، أليس  
كذلك ؟ فان فيه جنونا ، ولكنه لا يؤذى أحدا ،  
وهو مع ذلك شديد الذكاء ، وستبادل معه  
بعض الأحاديث التى تبعث البهجة فى نفسك .

ماتزىنى : أرجو ذلك ( لايلى ) ها قد جئت يا عزيزتى ايلى  
( يضع يدها فى يده بمحبة ) واجب على أن  
أشكرك يا مز هشاباى لعطفتك على ابنتى ،  
فلا أضنها كانت تتمتع بمعلقة لولا أنك دعوتها .

مز هشاباى : لا داعى للشكر ، فانه لطف منها أن تحضر  
لتجذب الشبان الى بيتنا فنتمتع بوجودهم .

ماتزىنى : ( مبتسما ) أخشى أن أقول يا مز هشاباى ان  
ايلى لا تهتم بالشبان ، فان ذوقها أميل الى جانب  
الجد والرزانة .

مسز هشاباي : ( في تهلل مفاجيء لا يخلو من صرامة ) ألا تغلم  
معنضك يا مستر دن ؟ ستجد في ركن الصلاة  
صوانا للمعاطف والقبعات وغيرها .

ماتزيني : ( يترك ايلي بسرعة ) نعم — أشكرك — خير  
لى .- ( يخرج ) .

مسز هشاباي : ( بنبرة جازمة ) الوحش العجوز !

ايلى : مَن ؟

مسز هشاباي : مَن ! هو ، هو ( تشير الى حيث ذهب ماتزيني )  
« جانب الجد والزانة » ، حقا !

ايلى : ( في ذهول ) لا تعنين أنك كنت تتحدثين عن  
أبي بهذه الطريقة !

مسز هشاباي : بل هذا ما فعلته ، وأنت تعلمين ذلك .

ايلى : ( بعزة ) سأغادر منزلك على الفور ( تتجه الى  
الباب ) .

مسز هشاباي : سأخبر والدك بالسبب ان حاولت .

ايلى : ( تلفت ثانيا ) أوه ! كيف تعاملين ضيفة بهذه  
الطريقة يا مسز هشاباي ؟

مسز هشاباي : ظننت أنك ستناديننى باسم هزيون .

ايلى : ليس الآن بالتأكيد ؟

مزهشباى : حسن جدا ، سأخبر والدك .

ايلى : ( فى جزع ) أوه !

مزهشباى : اذا بُدبت أىّ - - اذا وقعت دقيقة واحدة فى

صفه ضدى وضد قلبك فسأضطر الى أن أصرح

ببعض ما فى نفسى لهذا الجندى المولود للدفاع

عن الحرية ، حتى يقف على رأسه العجوز الأنانى

لمدة أسبوع .

ايلى : هزيون ! أبى أنانى ! ما أقل ما تعرفين ..

( تقاطع بدخول ماتزىنى الذى يعود من

اصطراب وقد بلله العرق )

ماتزىنى : ايلى ، لقد حضر مانجان ، ورأيت أن أخبرك ،

عفوا يا مسزهشباى ، ان السيد العجوز غريب

الأطوار ..

مزهشباى : بابا ، نعم ، انه كما قلت .

ماتزىنى : أوه ، أرجوك المندرة ، ولكن سلوكه جعلنى

أرتباك ، فقد جعل مانجان يساعده فى عمل ما

بالحديقة ، وهو يريد منى أيضا ..

( بسمع صفير عال )

القبطان : أنت أيها البحار ( يتكرر الصفير ) .

ماتزنى : ( فى قلق ) يا للعجب ! أعتقد أنه ينادىنى بصفيره  
( يخرج مسرعا ) .

مزهشباى : يسكنك أن تقولى الآن ان أبى رجل رائع .

ايلى : استمعى الىّ يا هزيون فانك لا تعلمين ، ان أبى  
ومستر ما نجان كانا زميلى لطفولة ، ومستر ما ...

مزهشباى : لا يعينى ماذا كانا ، علينا أن نجلس ما دمت

ستبدأين الحكاية من هذا الزمن القديم ( تجذب

ايلى من خصرها لتجلس بجانبها على الأريكة )

والآن يا صغيرتى ، خبرينى بكل ما تعلمين عن

مستر مانجان ، انهم يدعونه الرئيس مانجان ،

أليس كذلك ؟ وعو نابليون فى الصناعة ، وفاحش

الثراء ، أليس كذلك ؟ لماذا لم يكن أبوك ثريا ؟

ايلى : ما كان ينبغى لأبى المسكين أن يشتغل بأعمال

التجارة والصناعة ، فقد كان أبواه شاعرين ،

وقد ورثاه أنبل الأفكار ، ولكنهما لم يستطيعا

أن يجملا له مهنة .

مزهشباى : تصورى جدك وجدتك وأعينهما تدور فى جنون

بديع ! وهكذا اضطر أبوك المسكين الى

الاشتغال بأعمال التجارة والصناعة ، ألم ينجح

فى عمله ؟

**ايلى** : تعود بى دائما ان يقول انه يستطيع ان ينجح  
او كان بيده رأس مال ، وقد كافح طول عمره  
ليمنحنا بيتا نعيش فيه ويرينا تربية حسنة ،  
ولكنه كان كفاحا مستمرا ، وكانت تعترضه دائما  
صعوبة عدم وجود رأس المال الكافي ، لست  
أدري كيف أصف لك الأمر .

**مزهى** : مسكينة يا ايلى ! انى أعرف ، كأنما كان يجذب  
الشیطان من ذيله .

**ايلى** : ( متألّة ) أوه ، لا ، ليس هذا ، فقد كان على  
الأقل محافظا على كرامته .

**مزهى** : وهذا ما يزيد الأمر صعوبة ، أليس كذلك ؟  
لو كنت مكانه لما اصطنعت الكرامة وأنا أجدب  
الشیطان من ذيله ، بل لجذبت بشدة ( من بين  
أسنانها ) بشدة . وبعد ؟ استمرى .

**ايلى** : وأخيرا خيل اليّنا أن متاعبنا كلها قد انتهت ، فقد  
قام مستر مانجان بعمل غاية في النبل ، لم يدفعه  
الى ذلك الا صداقته الخالصة لوالدى واحترامه  
لشخصيته ، فقد سأله عن مقدار رأس المال الذى  
يحتاج اليه وأعطاه اياه ، لا أعنى أنه أقرضه المبلغ ،

أو أنه وظف المال في العمل الذي قام به أبي . بل  
نه قدمه إليه هدية لا غير ، ألم يكن ذلك عملا  
رائعا منه ؟

مزهشباى : وهل أشرت أن تتزوجه مقابل ذلك ؟

ابلى : أوه ، كلا ، كلا ، كلا ، فقد حدث ذلك وأنا  
طفلة ، ولم يكن قد رأني قط ، ولا زار منزلنا ،  
لقد كان عملا برينا من كل غرض ، لم يكن  
الا كرما خالصا .

مزهشباى : 'وه ! انى أعتذر للسيد ، حسن ، وماذا كان  
مصير المال ؟

ابلى : اشترينا جميعا ملابس جديدة ، وانتقلنا الى منزل  
آخر ، وذهبت الى مدرسة غير مدرستي لمدة  
عامين .

مزهشباى : عامين فقط ؟

ابلى : نعم ، فقد أفلس أبى افلاسا تاما في نهاية العامين .

مزهشباى : كيف ؟

ابلى : لا أعرف ، ولم أستطع أن أفهم الأمر قط ، ولكنه  
كان أمرا فظيحا ، فان أبى لم يستند قط ونحن  
فقراء ، ولكنه عندما سار في الأعمال على نطاق

واسع اضطر الى الاستدانة ، ولما صفى العمل  
كان ما عليه من الديون أكثر من المال الذي أعطاه  
اياها مستر مانجان .

مز شبای : أظنها كانت لقنة أكبر من أن يستطيع مضغها .

ايلى : أراك تتحدثين عن هذا الأمر بشيء من النسوة .

مز شبای : لا تهتمى بطريقتى فى الحديث يا صغيرتى ، فقد

كنت يوما مثلك حساسية ودقة ، ولكنى تعلمت  
من الأطفال الكثير من الألفاظ السوقية ، حتى  
أصبحت فى الحقيقة أتكلم بطريقة غير مقبولة .  
أظن أن طبيعة والدك ليست طبيعة رجال الأعمال  
ولهذا اختلط الأمر عليه .

ايلى : أوه ، هذا بالضبط يريك أنك لم تستطعى فهمه

قط ، فقد كانت نتيجة العمل نجاحا ساحقا ، انه  
الآن يعطى ربحا قدره أربعة وأربعون فى المائة  
بعد خصم ضرائب الأرباح الاضافية .

مز شبای : لماذا اذن لا تتمرغين فى المال ؟

ايلى : لا أدرى ، ان الأمر يبدو لى ظلما بيتنا ، فقد

انحدر أبى الى الافلاس ، وكاد ذلك يحطم قلبه ،  
لأنه أغرى عددا من أصدقائه بتوفير أموالهم

في العمل ، اذ كان واثقا من نجاحه ، وقد أثبت  
الأحداث أنه كان على صواب ، ولكنهم جميعا  
فقدوا أموالهم ، وكان الأمر فظيما ، ولست أدري  
ماذا كنا تفعل لولا مستر مانجان .

مسز هشاباي : عجا ! هل تقدم الرئيس مانجان للنجدة ثانيا  
بعد أن ضاعت تقوده كلها ؟

إيلي : أجل ، هذا ما فعله دون أن يقول كلمة لوم واحدة  
لأبي ، لقد اشترى ما بقي من المشروع — المباني  
والآلات وهذه الأشياء ، اشتراها من الحارس  
القانوني ببلغ يكفى لأن يدفع أبي ستة شلنات  
وثمانية بنسات في الجنيه ويرى ، ذمته ، وقد  
كان الجميع يعطفون على أبي كثيرا ، ويرون  
بوضوح أنه رجل شريف ، ولذلك قبلوا منه  
ستة شلنات وثمانية بنسات في الجنيه بدلا من  
عشرة شلنات ، ثم كوز مستر مانجان شركة  
لتواصل العمل ، وعين أبي مديرا فيها لينقذنا من  
الموت جوعا ، لأنى اذ ذاك لم أكن أكسب شيئا .  
مسز هشاباي : يا لها من قصة ! ومتى أظهر الرئيس عاطفته  
الرقيقة ؟

ايلى

: أوه ، بعد ذلك بسنين ، هذا شيء ، حديث العهد  
جدا ، فقد رأس في احدى الليالى حفلة موسيقية  
شعبية كنت أغنى فيها ، هاوية كما تعلمين ،  
أقبض نصف جنيه لمعروفاتي وأغنى ثلاث  
أغنيات يطلب منى اعاتها مرة أخرى ، وقد سرَّ  
من غنائى حتى أنه سألتنى أن أسمح له بتوصيلى  
الى بيتى ، ولم أر قط مثل اضطرابه عندما  
اصطحبته معى الى البيت وقدمته الى أبى ، مدير  
مصنعه ، وفى تلك الليلة حدثنى أبى عن مسلكه  
النبيل ، وبالطبع اعتبرت هذد فرصة عظيمة لى ،  
نظرا لما كان عليه من غنى ، و .. و .. وصلنا الى  
نوع من التفاهم .. أظننى أستطيع تسميته  
خطبة .. ( يبدو عليها الجزع ولا تستطيع  
الاستمرار ) .

مزه شبابى : ( تنهض وتنجول فى الحجرة ) لعلك انسقت الى  
ذلك ، ولكنى سأتشكك منه يا صغيرتى ان كان  
لى فى هذا الأمر يد .

ايلى

: ( بقنوط ) كالا ، لا فائدة ، فإن ما يربطنى هو  
الشرف وعرفان الجميل ، وسأستمر فى الأمر الى  
النهاية .

مسز هشابای : ( معنفة اباها وهى خلف الأريكة ) أنت تعرفين  
ولا شك أنه ليس من الشرف ولا عرفان الجميل  
أن تتزوجى رجلا لا تحبينه ، فهل تحبين هذا  
الرجل مانجان !

ايلى : نعم ، على الأقل ..

مسز هشابای : لا أريد أن أعرف شيئا عن هذا الأقل ، بل أريد  
أن أعرف الحقيقة مهما تكن سيئة ، فالفتيات فى  
مثل سنك يقعن فى حب كل الأنواع غير المعقولة  
من الرجال ، وبخاصة المسنين .

ايلى : انى أميل الى ستر مانجان ميلا شديدا ، وسأفعل  
دائما ..

مسز هشابای : ( مكلمة الجملة فى نفاذ صبر وهى تقفز فى ضيق  
الى اليمين ) معترفة بجميله لعطفه على أبى  
العزير ، أعرف ذلك ، هل هناك شخص آخر ؟  
ايلى : ماذا تعنين ؟

مسز هشابای : هل هناك شخص آخر ؟ أتحيين شخصا آخر ؟  
ايلى : كلا بالطبع .

مسز هشابای : ايه !? ( تلحظ الكتاب الموضوع على منضدة  
الرسم فتلتقطه ثم يبدو بوضوح أن عنوان

الكتاب كان غير ما تنتظر ، فتنظر الى ايلي  
وتسألها في ظرف ( أوأثق أنت تمام الثقة من  
أناك لا تحيين مثلا ؟

ايلى : كلا ، كلا ، لماذا تسألين ؟ ما الذى جعلك  
تفكرين فى ذلك ؟

مسز هشباى : هذا كتابك ، أليس كذلك ، لأنى سبب آخر اذن  
تقراين عطيل ؟

ايلى : لقد علمنى أبى أن أحب شكبير .

مسز هشباى : ( تلتقى بالكتاب على المنضدة ) حقا ! يبدو أن  
والدك كاد يصل الى أقصى الحدود .

ايلى : ( فى سداجة ) ألم تقرئى شكبير قط يا هزيون ؟  
هذا يبدو لى غريبا ، انى أحب عطيل .

مسز هشباى : أتحيينه حقا ؟ لقد كان غيورا ، ألم يكن كذلك ؟

ايلى : أوه ، لا أعنى هذا ، فانى أرى أن كل ما يفعل

بالغيرة فى الرواية أمر فظيع ، ولكن ، ألا ترى  
أنه لا بد أن تكون تجربة رائعة لديمونه التى  
نشئت فى جو البيت الهادىء أن تقابل رجلا  
طاف بالعالم يقوم بكل أعمال الشجاعة ويتعرض  
لكل المخاطر الفظيعة ، ومع ذلك يجد فيها شيئا

يجب في الجلوس اليها متحدثا عما قام به من  
اعمال؟

مسز هشاباي : أهذه أحلامك اذن ؟

ايلى : ليست أحلاما بالضبط فقد يحدث مثل ذلك حقا .

( يبدو فى عيني ايلي أنها لا تنافس وانما  
تعيش مى حلم من أحلام اليقظة ، تلاحظها  
مسز هشاباي فى تطلع ، ثم تعود مفكرة الى  
الاربيكة وتحلس بحانبا )

مسز هشاباي : يا عزيزتى ايلي ، الا تلاحظين أن بعض هذه  
القصص التى قصها عطيل على ديدمونة لا يمكن  
أن تحدث ؟

ايلى : أوه ، لا ، لقد رأى شكسبير أنها يمكن أن  
تحدث .

مسز هشاباي : هم ! كانت ديدمونة تظن أنها حدثت ، ولكنها  
لم تحدث .

ايلى : لماذا يبدو عليك كل هذا الغموض وأنت تتحدثين  
عن هذا الموضوع ؟ انك غامضة كأبى الهول ،  
وانى لا أعرف أبدا ماذا تعنين .

مسز هشاباي : لو عاشت ديدمونة لعرفت حقيقة أمره ، وانى

لأساءل أكان هذا هو السبب الذى جعله  
يختفها .

ابلى : لم يكن عطيل كذابا .

سز هشباى : كيف عرفت ؟

ابلى : لو كان كاذبا لذكر شكسير ذلك ، هناك رجال

يا هزيون قاموا بأعمال عجيبة ، رجال كعطليل  
الا أنهم بالطبع بيض الوجود وفى غاية الحسن  
و ...

سز هشباى : آه ، ها قد وصلنا الى ما نريد ، خبرنى بكل

شئ عنه ، فقد كنت أعلم أنه لا يبد هناك  
شخص ما ، والا لما وجدت كل هذه التعاسة فى  
أمر مانجان ، بل لعلك كنت ترين الزواج منه  
حظا عجيبا .

ابلى : ( يحمز وجهها بشدة ) أنت فظيمة يا هزيون ،

ولكنى لا أريد أن أجعل من الأمر سرا ، ولو أنى  
بالطبع لا أحدث به كل انسان ، هذا فضلا عن  
أنى لا أعرفه .

سز هشباى : لا تعرفينه ! ما معنى هذا ؟

ابلى : حسن ، بالطبع أنا أعرفه معرفة تكفى لأن

تتحدث سويا .

مز هشابى : ولكنك تريدان أن تعرفيه معرفة أوثق ، أليس كذلك ؟

ايلى : لا ، لا ، انى أعرفه معرفة وثيقة ... تكاد تكون وثيقة .

مز هشابى : انك لا تعرفينه ، وأنت تعرفينه معرفة تكاد تكون وثيقة ، ما أوضح ذلك !

ايلى : أعنى أنه لا يزورنا ، ولكنى .. ولكنى حادثه مصادفة فى حفلة موسيقية .

مز هشابى : يبدو أنك تقضين وقتا ممتعا فى حفلاتك الموسيقية يا ايلى .

ايلى : أبدا ، فاننا جميعا نتبادل الحديث ونحن فى الحجره الخضراء فى انتظار أدوارنا للظهور على المسرح ، وقد حسبته أحد الفنانين ، اذ كان يبدو رائعا ، ولكنه لم يكن الا واحدا من أعضاء الجمعية ، واتفق أن أخبرته بأنى أنقل صورة فى المتحف الوطنى ، فأنا أكسب بعض المال من هذا الطريق ، لست ماهرة فى الرسم ولكن بما أنى أنقل نفس الصورة فى كل مرة فانى أقفل ذلك بسرعة معقولة ، وأنال عن عملى جنيهين أو ثلاثة،

واتفق أن جاء هو في أحد الأيام الى المتحف  
الوطني .

سزمشباي : في أحد الأيام المخصصة للطبقة ، دفع ستة  
بنسات ليتعثر كل خطوة في هذا الزحام من  
منصات الرسم ؛ في حين أنه كان يستطيع الذهاب  
في اليوم التالي بلا مقابل ليجد الأرض خالية !  
هل كان حضوره محض مصادفة ؟

أيلي : ( مزهوة ) كلا ، بل عن قصد ، فقد أحب أن  
يتحدث معي ، انه يعرف الكثيرين من عليّة  
القوم ، سيدات المجتمع كلهن مشغوفات به ،  
ولكنه فرّ منهن ليراني في المتحف الوطني ،  
ويزين لي الخروج معه للنزهة حول حديقة  
ريثشموند في سيارة أجرة .

سزمشباي : انك تقدمين بسرعة يا صغيرتي ، ما أعجب  
ما يمكن أن تفعله أيتها الفتيات الطيبات دون  
أن يتقول عليكن أحد !

أيلي : أنا لا أحضر حفلات المجتمع ياهزيون ، وإذا لم  
أنشئ صلوات بهذ الطريقة فلن يكون لي  
معارف أبدا .

مز هشبای : حسن ، لا بأس مادمت تستطيعين المحافظة على نفسك ، هل لي أن أسأل عن اسمه ؟

ايلى : ( ببطء وفي نغم موسيقى ) ماركوس دارنلى .

مز هشبای : ( ترجع صدى الموسيقى ) ماركوس دارنلى ! ما أروعه من اسم !

ايلى : أوه ، انى لسميدة اذ ترين ذلك ، فان هذا هو رأيى أيضا ، ولكنى كنت أخشى الا يكون ذلك الا وهما سخيفا منى .

مز هشبای : هم ! أهو أحد أفراد أسرة أيردين دارنلى ؟

ايلى : لا أحد يعلم ، تصورى ! لقد وجدود فى صندوق أثرى ...

مز هشبای : ماذا ؟

ايلى : صندوق أثرى ، فى حديقة وود ، صباح أحد أيام الصيف بعد ليلة عاصفة مرعدة .

مز هشبای : وماذا بالله كان يفعل فى الصندوق ؟ هل دخل نيه خوفا من البرق ؟

ايلى : 'ود ، لا لا ، فقد كان طفلا ، وكان اسم ماركوس دارنلى مطرزا على ملابسه وبجانبه خمسة جنية من الذهب .

مز هشاى : ( تنظر اليها بحدة ) ايلى !

ايلى : حديقة الشيكونت ..

مز هشاى : دى روجمونت ؟

ايلى : ( ببراءة ) كلا ، دى لا روش چاكلين ، أسرة

فرنسية ، فيكونت ، لقد كانت حياته قصة  
رائعة طويلة ، نَمِرْ ..

مز هشاى : هل ذبحه بيديه ؟

ايلى : أوه ، كلا ، لا شىء من هذه السوقية ، لقد أقتذ

حياة النمر من جماعة خرجت للصيد ، احدى  
جماعات سيد الملك ادوارد فى الهند ، وقد أشعل  
ذلك غضب الملك ، وهذا هو السبب فى أنه لم  
يكافأ كما ينبغى على خدماته العسكرية ، ولكنه  
لا يهتم بذلك ، فهو اشتراكى يحتقر الألقاب ،  
وقد اشترك فى ثلاث ثورات وحارب وراء  
المتاريس .

مز هشاى : كيف يمكنك أن تجلس هكذا مطمئنة لتقصي

على مثل هذه الأكاذيب ؟ أنت يا ايلى من بين

الناس جميعا ! وأنا التى كنت أنملك مثل

السذاجة والاستقامة والطيبة .

أيلي : ( تنهض بعزة وقد استبد بها الغضب ) أتعنين  
أنك لا تصدقيني ؟

مسز هشباى : بالطبع لا أصدقك ، فقد كانت كل كلمة قلتها من  
اختراعك ، أتظننى حمقاء ؟  
( تحلق ايلي فيها . فمن الواضح أن  
صراحتها حيرتها )

أيلي : وداعا يا هزيون ، انى جد آسفة ، فقد وضح لى

الآن أن القصة تبدو مستحيلة حين أرويها ،  
ولكننى لن أستطيع البقاء ما دام هذا رأيك فى .  
مسز هشباى : ( تمسك ثوبها ) لن تدعبنى ، اذ لا يمكن أن  
أكون مخطئة الى هذا الحد ، انى أعرف تماما  
كيف يكون الكذاب ، فلا شك أن شخصا ما  
أخبرك بكل ذلك .

أيلي : ( فى خجل ) لا تقولى يا هزيون !نك لا تصدقينه،  
فهذا ما لا أحتمله .

مسز هشباى : ( تترضاها ) بالطبع أصدقه يا عزيزتى ، ولكن  
كان واجبا عليك أن تظلعينى على الأمر شيئا  
فشيئا ( تجذبها الى مقعدها ) والآن خبرينى بكل  
شئ عنه ، أتحينه ؟

**ابلى** : أود ، كلا ، فأنا لست حمقاء الى هذا الحد ، اننى  
لا أقع فى غرام أحد ، فلست شديدة البلاهة كما  
تظنين .

**مزهلبى** : فهمت ، انما هو شىء تفكرين فيه .. شىء يجعل  
للحياة معنى وبهجة .

**ابلى** : بالضبط ، هذا كل شىء فى الواقع .

**مزهلبى** : انه يجعل الوقت يمر بسرعة ، أليس كذلك ؟  
لا انتظار ممل قبل النوم كل ليلة ، ولا تساؤن  
ان كان الانسان سينام نوما قلنا مضطربا .  
وما أبهج الاستيقاظ فى الصباح ! انه أجمل ألف  
مره من أسعد الأحلام ! الحياة كلها تتغير !  
فلا يعود الانسان يتمنى أن يكون لديه كتاب  
ممتع يقرؤه لأن الحياة أبهج من أى كتاب !  
ولا يرغب فى شىء الا أن يظل وحده فلا يحدث  
أحدا ، أن يظل وحده يفكر فى هذا الشىء .

**ابلى** : ( تحتفئها ) يا لك من ساحرة يا هزيون ، كيف  
عرفت ؟ انك أعظم امرأة فى العالم عطقا ورقة .

**مزهلبى** : ( تربت عليها ) أيتها الصغيرة ، يا صغيرتى ، كم  
أحسبك ! وكم أشفق عليك !

ايلى

: تشفقين علىّ ؟ أوه ، لماذا ؟

( يدخل من الصالة رجل فى الخمسين من عمره على درجة كبيرة من الوسامة ، بشارب مبروم كشموارب فرسان القرون الوسطى ، يلبس قبعة أنيقة ذات حافة عريضة ملوية ، ويمسك فى يده عصا متقنة الصنع ، يقف فجأة عندما يرى المرأتين الجالستين على الأريكة )

ايلى

: ( تراه فتقف وقد ملأتها المفاجأة سرورا ) أوه ،

هزيون ! هذا هو مستر ماركوس دارنلى .

مزهشباى : ( تقف ) يا له من أمر مسل ! انه زوجى .

ايلى

: ولكن كيف .. ( تسكت فجأة وتعلو وجيها

صفرة وترنح فى وقفئها ) .

مزهشباى : ( تسكها وتجلسان معا على الأريكة ) تجلدى

يا صغيرتى .

الرجل

: ( بمزيج من الاضطراب والوقاحة ، وهو يضع

قبعة وعصاه على المنضدة الصغيرة ) هكتور

هشاباى هو اسمى الحقيقى يا مس دن ، وانى

لأترك لك الحكم ان كان هذا اسما يجب أى

انسان حساس أن يعترف به . اننى لا أستعمله

أبدا ما دام ذلك فى امكانى ، لقد كنت مسافرا

لمدة شهر ، ولم يخطر على بالي قط أنك تعرفين زوجتي أو أنك ستجئين الى هنا ، ولكن ذلك لا يقلل من سرورى لوجودك فى منزلنا الصغير.

ايلى : ( فى جزع شديد ) لا أعرف ماذا أعسل ، هل لى أن أحادث أبى ؟ أرجوك أن تتركنى . انتبه ، لا أستطيع احتمال الأمر .

مزر هشباى : اخرج ياهكتور .

هكتور : أنا ...

مزر هشباى : بسرعة ، بسرعة ، اخرج .

هكتور : اذا كنت ترين أن هذا أفضل — ( يخرج وقد أخذ معه قبعته ولكنه ترك العصا على المنضدة ) .

مزر هشباى : ( تجعل ايلى تستلقى على طرف الأريكة ) ها قد ذهب يا صغيرتى ، ولم يعد فى الحجرة الا أنا ، فترجى عن نفسك ، ابكى كما تشائين ولا تمنى نفسك من البكاء .

ايلى : ( ترفع رأسها ) اللعنة !

مزر هشباى : رائع ! أوه ، يا للفرج ! ظننت قلبك سينحطم ، لا تهتمى بى والعنيه مرة أخرى .

ايلى : أنا لا ألعنه وانما ألعن نفسى لأنى كنت على هذا

القدر من البلاء ( تنهض ) كيف أمكن أن  
انخدع هكذا ( تسير في الحجرة جيئة وذهابا ،  
وقد ذهب اشراقها وبدا عليها أنها كبرت وصلب  
عودها بشكل غريب ) .

مز شباهي : ( في مرح ) ولِمَ لا يا صغيرتي ؟ قليل جدا من  
الشابات من يستطعن مقاومة هكتور ، أنا نفسي  
عندما كنت في سنك لم أستطع مقاومته ، فانه في  
الحقيقة رائع كما تعلمين .

ايلى : ( تلتفت اليها ) رائع ! نعم ، انه بالطبع جميل  
الطلعة ، ولكن كيف يمكنك أن تحبى كذا ؟  
مز شباهي : لا أدري ، ولكنك تستطيعين لحسن الحظ ،  
والا لأصبح الحب في الدنيا قليلا جدا .

ايلى : ولكن أن يكذب هكذا ! أن يكون متبجحا !  
جيانا !

مز شباهي : ( تقف في رعب ) لا شيء من هذا يا صغيرتي ،  
أرجوك ، فلو أنك أشرت الى أقل شك في  
شجاعة هكتور لاندفع خارجا وقام بأشد الأعمال  
خطورة ليقنع نفسه أنه ليس جيانا ، وان له  
لطريقة مخيفة في الخروج من نافذة بالطابق

الثالث والدخول من أخرى لا لشيء الا ليمتحن  
أعصابه ، ولديه درج مليء ببيداليات ألبرت  
التي حصل عليها لا تقاذ حياة الناس .

**ايلى** : انه لم يخبرنى بذلك قط .

**مزمه شبای** : انه لا يفتخر أبدا بأى شيء فعله حقا ، فهذا

ما لا يحتمله ، وانه ليخجل اذا تحدث بأعماله

**ايلى** : ( تتقدم منها ) أتعين أنه شجاع حقا ، وأنه ذو

مغامرات حقا ، ومع ذلك يحكى أكاذيب لم

يفعلها ولم تحدث قط ؟

**مزمه شبای** : نعم يا صغيرتى ، هذا ما أعنيه ، ففضائل الناس

ورذائلهم ليست منفصلة عن بعضها البعض ،

ولكنها موجودة عندهم مختلطة مترجة .

**ايلى** : ( تحمق فيها مفكرة ) فى هذا البيت شيء من

الشذوذ يا هزيون ، بل انك أنت أيضا فيك هذا

الشذوذ ، لست أدري لماذا أحادثك وأنا هادئة

هكذا ، فانى أحس احساسا فظيما بأن قلبى قد

تحطم ، ولكن تحطمه لا يشبه ما كنت أظنه

سيكون .

**مزمه شبای** : ( ملاطفة اياها ) ليس ذلك الا درسا من دروس

الحياة يا صغيرتي . كيف شعورك الآن نحو  
الرئيس مانجان ؟

**ايلي** : ( تخلص نفسها منها وتقول في تقزز ) أوه ، كيف  
أمكنك أن تذكريني به يا هزيون ؟

**مزمشباي** : آسفة يا عزيزتي ، أظنني أسمع صوت هكتور  
عائدا ، ولن يهملك ذلك الآن ، أليس كذلك  
يا عزيزتي ؟

**ايلي** : لن يهمني إطلاقا . لقد شفيت تماما .

**هكتور** : ( وهو يفتح الباب ويدع ما تزني يتقدمه )  
ثانية واحدة وكانت المرأة تصبح في عداد  
الأموات !

**ماتزني** : عجبا ! عجبا ! يالللحظ ! ايلي يا حبيبتي ، كان  
مستر هشاباي يقص علىّ الآن أغرب ...

**ايلي** : نعم ، لقد سمعتها ( تتجه الى الجانب الآخر من  
الحجرة ) .

**هكتور** : ( يتبعها ) انها حادثة أخرى ، وسأقصها عليك بعد  
المساء ، وأظنها ستعجبك ، الحق أنني ألفتها  
من أجلك ، وكنت أنتظر اللحظة السارة ، عندما

أقصها عليك ، ولكن عندما طردت من الحجرة  
اتابنتى حالة ضجر جعلتني أقذف بها الى والدك  
ابلى : ( تلتفت متحفزة وقد أسندت ظهرها الى منضدة  
النجار ، وتقول بثبات وازدراء ) انك لم تقذف  
بها ، فقد صدقتها ، ولو كنت أنا التي سمعتها لما  
صدقتها .

مازنيى : ( بطيبة ) ان ايلي شقية جدا يا مستر هشاباى ،  
طبعا ليس هذا رأيها الحقيقي ( يذهب الى رفوف  
الكتب ويفحص عناوين المجلدات ) .

( يدخل الرئيس مانجان من الصالة يتبعه  
التبطن ، مانجان يلبس الفراك بأناقة كأنه  
ذاهب الى الكنيسة أو الى اجتماع المديرين ،  
وهو رجل فى نحو الخامسة والخمسين ،  
يبدو على وجهه الهم والارتباب ، يراعى فى  
مسلكه كبرياء موهومة لا أساس لها . لونه  
كأب وشعره طويل خال من البريق وملامحه  
عادية بحيث يستحيل وصفها )

القبطن شوفر : ( مقدما التادم الجديد لمسز هشاباى ) يقول ان  
اسمه مانجان . وهو ليس قوى الجسم .  
مسز هشاباى : ( مرحة ) كيف حالك يا مستر مانجان .  
مانجان : ( يضافحها ) سعيد جدا بمعرفتك .

الفيطان شتور : لقد فقد دن قوة عضلاته ولكنه استرد قوة  
أعصابه ، وقلما يستطيع أحد ذلك بعد أن يصاب  
بالهذيان الكحولى ثلاث مرات ( يذهب الى  
الكيلار ) .

سز هشباى : أهنتك يا مستر دن .

ماتزنى : ( مذهولا ) اننى لم أذق الخمر طول عمري .

سز هشباى : أهون عليك جدا أن تترك أبى على رأيه ،  
ولا تحاول أن توضح له الأمر .

ماتزنى : ولكن -- ثلاث مرات بالهذيان الكحولى ! حقا !

سز هشباى : ( لمانجان ) أتعرف زوجى يا مستر مانجان ؟  
( تشير الى هكتور ) .

مانجان : ( يتجه الى هكتور الذى يستقبله مادًا ذراعيه )  
سعيد جدا بمعرفتك ( يلتفت الى ايلى ) أرجو  
ألا تكونى قد وجدت الرحلة متعبة يا مس ايلى  
( يتصافحان ) .

سز هشباى : أُرشد مستر دن الى حجرتة يا هكتور .

هكتور : بلا شك ، هيا بنا يا مستر دن ( يخرج مع  
ماتزنى ) .

ايلى : انك لم ترشدنى الى حجرتى بعد يا هزيون .

سز هسباى : يا لغبائى ! تعالى معى ، خذ راحتك يا مستر  
مانجان ، وسيسامرك أبى ( تنادى أباهما من  
الكيلار ) أبى ، تعال لتصف البيت لمستر مانجان .  
( تخرج مع ايل فى الوقت الذى يدخل فيه  
القبطان من الكيلار )

القبطان شتور : انك ستزوج ابنة دن ، لا تفعل ذلك ، ففرق  
السن بينكما كبير .

مانجان : ( مذهولا ) عجبا ! هذا كلام خشن يا قبطان .  
القبطان شتور : ولكنه الحق .

مانجان : ليس هذا رأيها .

القبطان شتور : بل هو رأيها

مانجان : رجال أكبر منى سنا - -

القبطان شتور : ( يتمم عبارته ) ارتكبوا حماقات . هذا أيضا  
صحيح .

مانجان : ( بعزة ) لست أرى أن هذا من شئونك .

القبطان شتور : انه من شئون كل انسان ، فان النجوم فى  
مساراتها ترتجف عندما يحدث شىء كهذا .

مانجان : ومع ذلك فسوف أتزوجها .

القبطان شتور : وما أدراك ؟

**مانجان** : ( مصطنعا أسلوب الرجل القوي ) هذا ما أريده ،  
هذا ما أنويه ، أفهمت ؟ وما عزمت على فعل شيء  
قط الا ونفذته ، فهذه طبيعتي ، ومن الخير لكي  
يكون بيننا تفاهم أن تذكر ذلك دائما يا قبطان .

**القبطان شتوفر** : انك تتردد على دور السينما .

**مانجان** : ربما ، من أخبرك ؟

**القبطان شتوفر** : تكلم كرجل لا كشخص في رواية سينمائية ،  
أتمنى أنك تربح مائة ألف في العام ؟

**مانجان** : لست متباهيا ، ولكنني عندما أقابل شخصا يربح  
مائة ألف في العام أرفع قبعتي محييا وأمد يدي  
مصافحا وأناديه يا أخي .

**القبطان شتوفر** : اذن فأنت أيضا تربح مائة ألف في العام ، هـ ؟

**مانجان** : كلا ، هذا ما لا أزعمه ، لعلني أربح خمسين ألفا .

**القبطان شتوفر** : اذن فأنت أخود غير الشقيق ( ينصرف عنه في  
فضائلة كعادته ليجمع فناجين الشاي ويضعها على  
الصينية ) .

**مانجان** : ( في ضيق ) استمع اليّ يا قبطان شتوفر . لست  
فهم وضعى هنا . لقد جئت تلبية لدعوة ابنتك ،  
وانى لأسأل أفي منزلها أنا أم في منزلك ؟

الميطان شوهر : انك تحت قبة السماء ، في بت الله ، كل ما هو  
حق بين هذه الجدران فهو حق خارجها . اقطع  
البحار ، اصعد الجبال ، طف خلال الوديان ،  
انها ستظل على الرغم من ذلك صغر منك كثيرا .  
مانجان : ( في ضعف وتخاذل ) ولكنى لم أتجاوز الخمسين  
الا بقليل .

الميطان شوهر : انك دون الستين بقليل ، أيها الرئيس مانجان ،  
لن تتزوج ابنة القرصان ( يحمل الصينية الى  
الكيلا ) .

مانجان : ( يتبعه الى الباب النصفى ) ابنة أى قرصان ؟ عم  
تتحدث ؟

الميطان شوهر : ( وهو فى الكيلا ) ايلي دن ، انك لن تتزوجها .  
مانجان : من ذا يسعنى ؟

الميطان شوهر : ( يبرز من الكيلا ) ابنتى ( يتجه الى الباب  
الموصل الى الصالة ) .

مانجان : ( يتبعه ) مسز هشاباي ! أتعنى أنها أحضرتنى  
الى هنا لتفسخ الخطبة ؟ .

الميطان شوهر : ( يقف ويلتفت اليه ) لا أعرف الا ما رأيتة فى  
عينها ، انها ستفسخ الخطبة . اسمع نصيحتى

وتزوج زنجية من جزر الهند الغربية فانهم  
زوجات صالحات . لقد تزوجت احداهن لمدة  
عامين .

**مانجان** : يا لكند طالعى !

**القبطان شتوفر** : هذا ما ظننته ، وقد كنت كذلك سنين طويلة ،  
وخلصتى الزنجية .

**مانجان** : ( بضعف ) هذا عجيب ، يجب أن أخرج من هذا  
البيت .

**القبطان شتوفر** : لماذا ؟

**مانجان** : حسن ، ان أسلوبك في الكلام قد يسوء رجلا  
كثيرين .

**القبطان شتوفر** : هراء ! ان النوع الآخر من الكلام هو الذى  
يسبب الشجار ، أما أنا فلا أحد يتشاجر معى  
لبتة .

( يدخل من البهو سيد تدل اناقة ملبسه  
ونعومة مسلكه على أنه من اهالى وست اند  
المهدين . يبدو على مظهره ظرف شاب صغير  
اعزب . فاذا دقت النظر فيه رأيت أنه  
تجاوز الأربعين على الأقل )

**السيد** : معذرة لتطفلى بهذه الطريقة ، ولكنى لم أجد

مطرقة على الباب : ويبدو أن جرس الباب  
لا يدق .

القبطان شتوفر : وما الحاجة الى مطرقة ؟ ولماذا يدق الجرس ؟  
ان الباب مفتوح .

السيد : بالضبط ، ولهذا تجاسرت ودخلت .

القبطان شتوفر : أحسنت ، سأعد حجرة لك ( يتجه الى الباب ) .

السيد : ( يقفه ) ولكنى أظنك لا تعرف من أنا .

القبطان شتوفر : أتحسبني وأنا في هذه السن أفرق بين مخلوق  
وآخر ؟

( يخرج ويترك مانجان والقادم الجديد  
يحملق كل منهما في الآخر )

مانجان : القبطان شتوفر شخصية غريبة ياسيدي .

السيد : جدا .

القبطان شتوفر : ( يصيح من الخارج ) هزيون ، زائر جديد حضر

ويريد غرفة ، رجل مجتمعات ، حسن الملبس ،  
في الخمسين من عمره .

السيد : تخيل كيف يكون شعور هزيون ! هل لى أن

أسأل ان كنت أحد أفراد الأسرة ؟

مانجان : لا .

**السيد** : أنا واحد منهم ، أو على الأقل تربطنا قرابة .  
( تعود مسز هشاباي )

مسز هشاباي : كيف حالك ؟ لطيف منك أن جئت !

**السيد** : انى سعيد حقا بمعرفتك يا هزيون ( يقبلها بدلا  
من مصافحتها وفي نفس اللحظة يظهر القبطان  
شتوفر عند الباب ) أرجو المذرة لأنى قبلت  
ابنتك يا قبطان ، عندما أخبرك أن ..

القبطان شتوفر : هراء ! كل انسان يقبل ابنتى ، فقبلها كما يحلو  
لك .

( يجه الى الكيلار )

**السيد** : شكرا ، لحظة واحدة يا قبطان ( يقف القبطان  
ويستدير ليووجهه فيذهب اليه السيد مترددا )  
لملك تذكر — أو لملك لا تذكر فقد مرت أعوام  
طويلة على ذلك — أن ابنتك الصغرى تزوجت  
من رجل غبى .

القبطان شتوفر : نعم ، لقد قالت انها ستزوج أى رجل لتبتعد عن  
هذا البيت . ما كنت لأعرفك فأرأسك لم يعد .  
يشبه جوزة الهند ، ومظهرك أكثر رقة . لا شك  
أنك تقلبت فى النعماء سنوات وسنوات شأن  
الأزواج ، يا لك من مسكين ( يختفى فى الكيلار )

مزمهباى : ( تتجه الى السيد تاركة مانجان ثم تتفحصه )  
لا أفلنك هيستنجز أترود .

السيد : لا .

مزمهباى : لماذا اذن قبلنى ؟

السيد : رأيت ذلك يسرنى . الحقيقة هي أنى راندل  
أترود ، شقيق هيستنجز الأصغر النافه . وقد  
كنت فى السلك السياسى فى الخارج عندما  
تزوج .

ليدى أترود : ( تندفع داخلة ) أين مفتاح الصوان الذى فى  
حجرتى ياهزيون ؟ ان مجوهراتى فى الحقيقة  
ويجب أن أحفظها فى مكان أمين — ( تفاجأ  
عندما تتبين الرجل الغريب ) راندل ، كيف  
تجرؤ ؟

( تتجه اليه مارة بهزيون التى تراجع حتى  
تقف بجانب مانجان بالقرب من الأريكة )

راندل : كيف أجرؤ على ماذا ؟ انى لم أفعل شيئاً .

ليدى أترود : من أخبرك أنى هنا ؟

راندل : هيستنجز . وعندما ذهبت لزيارتك فى فندق  
كلاريدج علمت أنك رحلت قبل وصولى بقليل ،  
فتبعتك الى هنا . يبدو أنك فى حالة طيبة جداً .

ليدى أترود : لا تجترى ، علىّ بهذا القول .

مز مشبى : ما خطب المستر راندل يا آدى ؟

ليدى أترود : ( تما لك نفسها ) أود ، لا شىء ، ولكن لا يحق

له أن يأتى لمضايقتك أنت وأبى دون أن يكون

مدعوا . ( تذهب الى المقاعد تحت النوافذ

وتجلس فى ضيق محولة وجهها عنهم الى الحديقة

حيث يثرى هكتور وايلى يتجولان معا ) .

مز مشبى : أظنك لم تقابلى مستر مانجان من قبل يا آدى .

ليدى أترود : ( تدير رأسها وتحنيها فى برود لمانجان ) أرجو

المعذرة . لقد أترنتى جدا يا راندل حتى جعلتنى

أصرف كالحمقاء .

مز مشبى : ليدى أترود ، أخنى ، أختى الصغرى .

مانجان : ( ينحنى ) سعيد بمقابلتك يا ليدى أترود .

ليدى أترود : ( فى اهتمام واضح ) من ذلك السيد الذى يمشى

فى الحديقة مع مس دن ؟

مز مشبى : لا أدرى ، فقد تشاجرت مشاجرة عنيفة مع

زوجى منذ عشر دقائق فقط ، ولا أعلم أن

شخصا جديدا حل بالبيت ، انه زائر ولا ريب

( تذهب الى النافذة وتتنظر منها ) اوه ، انه هكتور ، لقد تصالحا .

ليدى اتروود: زوجك ! ذلك الرجل الوسيم ؟

مزهشباى : عجبا ، ولم لا يكون زوجى رجلا وسيما ؟

راندىل : ( ينتقل الى جانبهما عند النافذة ) لا يمكن أن يكون الزوج وسيما يا ارديان ( يجلس الى يمين ليدى اتروود ) .

مزهشباى : زوج الشقيقة وسيم دائما يا مستر راندىل .

ليدى اتروود: لا تكن فظا يا راندىل ، وأنت ياهزيون ، انك لست خيرا منه .

( تدخل ايلى يسعها هكتور من الباب الايمن قادمين من الحديدية ، فينبض راندىل وتراجع ايلى الى الركن المجاور للكيلار ، يتقدم هكتور بسما تقف ليدى اتروود محاولة أن تبدو فى أحمل مظهر )

مزهشباى : هكتور ، هذه آدى .

هكتور : ( فى دهشة واضحة ) ليست هذه السيدة !

ليدى اتروود: ( مبتسمة ) ولم لا ؟

هكتور : ( ينظر اليها نظرة ثاقبة تم عن اعجاب عميق

الا أنه ممتزج بالاحترام وقد انتفض شاربه )

كنت أظن — ( يمالك نفسه ) معذرة يا ليدى  
أثروود ، انه ليسرني غاية السرور أن أرحب بك  
أخيرا في منزلنا ( يقدم يده وهو ينحني في  
احترام ) .

سز هسباى : انها تريد أن تقبل ياهكتور .

ليدى أثروود : هزيون ! ( ولكنها ما زالت مبتسمة ) .

سز هسباى : نادها باسم آدى ، وقبلها كما يقبل الرجل الطيب  
أخت زوجته ، ودعنا ننته من هذا الأمر ( تركهما  
وحدهما ) .

هكتور : الزمى الأدب ياهزيون ، فان الليدى أثروود  
ليست جديرة بالاكرام فقط بل بلطف المعاملة  
أيضا .

ليدى أثروود : ( في امتنان ) شكرا ياهكتور ( يتصافحان في  
حرارة ) .

( يرى ماتزيسى دن وهو يقطع الحديقة من  
الجانب الأيمن الى الجانب الأيسر )

القبطان شتوفر : ( يقبل من الكيلار ويخاطب ايلى ) لقد استحم  
والدك .

ايلى : ( في هدوء تام ) انه غالبا ما يفعل ذلك يا قبطان  
شتوفر .

القبطان شتور: تغير غريب! لقد رأيتَه من نافذة الكيلار .

( يدخل ماتزنى دن من الباب الأيسر وقد  
رجل شعره ويبدأ أنه خرج لغوره من الحمام،  
ويقف بين مانجان ومسز هشاباي وهو  
يبتسم فى طيبة )

مزهشاباي : ( تقوم بالتعريف ) متر ماتزنى دن ، ليدى  
أت ... أوه ، نسيت أنكما تقابلتما ( تشير الى  
ايلى ) مس دن .

ماتزنى : ( يعبر الحجرة ليمسك بيد ايلى ، وقد أشرق  
وجهه رضى عن سخريته الماكرة ) انى أعرف مس  
دن أيضا ، فانها ابنتى .  
( يضم ذراعها فى ذراعه ملاطفا )

مزهشاباي : بالطبع ، يالغبائى ! متر أتروود ، ا..

رانفل : ( يعافحه مسرورا ) انى شقيق زوج أختها  
يا متر دن ، كيف حالك ؟

مزهشاباي : وهذا زوجى .

هكتور : لقد تقابلنا جميعا يا عزيزتى ، فلا حاجة بك لتقديم  
بعضنا الى بعض بعد الآن ( يتجه الى الكرسى  
الكبير وهو يضيف ) ألا تجلسين ياليدى أتروود؟  
( تجلس بمودة كبيرة ) .

مسز هشابى : آسفة ، فانى أكرء تعرف الناس بعضهم ببعض ،  
انه عمل يشبه أن تطلب من كل واحد ابراز  
تذكرته .

ماترنى : ( مثلسفا ) وما أقل ما نعرف مع ذلك !! ليس  
المهم معرفة من نحن ولكن ما نحن .

القبطان شتور : ها ! وما أنت ؟

ماترنى : ( مأخوذا ) ما أنا ؟

القبطان شتور : لص وقرصان وقاتل .

ماترنى : أوكد لك أنك مخطيء .

القبطان شتور : انك عشت حياة كلها مخاطرات ، ولكن الام  
انتهد ؟ منزلة محترمة ، وابنة جميلة كضوء  
النهار ، وحديث ومظهر كأنهما لأحد رجال الدين  
فى المدن . فليكن هذا درسا لكم جميعا .  
( يخرج الى الحديقة )

ماترنى : أرجو ألا يصدق أحدكم أنى لص أو قرصان  
أو قاتل ، اسحى لى لحظة يا مسز هشابى ،  
يجب أن أذهب لأوضح له الأمر .  
( يتبع القبطان )

مسز هشابى : ( وهو خارج ) لا فائدة ، خير لك فى الواقع ...  
( ولكن دن يكون قد اختفى ) خير لنا أن نخرج

جميعا لتناول الشاي ، اتنا لا نتناول الشاي في  
مواعيد محددة ، ولكنكم تستطيعون أن تجدوه  
دائما كلما أردتم ، فالخدم يتركونه على النار  
طول النهار ، وخير مكان تطلبونه فيه شرفة  
المطبخ ، هل أدلكم على الطريق ؟ ( تنجبه الى  
الباب الأيمن ) .

رائد : ( ذاهبا معها ) شكرا لك . لا أظننى سأشرب  
شايا هذا العصر ، ولكن هل لك أن ترينى  
الحديقة .. ؟

سزمشباى : ليس فى الحديقة ما يستحق الرؤية الا مرصد أبى ،  
وحفرة رملية فيها كهف يحفظ فيه الديناميت  
وما اليه . مع ذلك فالجو فى الخارج أبهج .  
هيا بنا .

رائد : ديناميت ! أليس فى هذا شيء من الخطر ؟  
سزمشباى : اتنا لا نجلس فى الحفرة الرملية عندما تثور  
العاصفة .

ليدى اتروود : هذا شيء جديد ، وما الحاجة الى الديناميت ؟  
هكتور : لينسف الجنس البشرى ان تجاوز حده . انه  
يحاول اكتشاف أشعة روحية تشعل كل  
المنفجرات بارادة « مهاتما » .

ايلى : شاي التبطان لذيذ يا مستر أتروود .

مسز هشابى : ( تقف عند الباب ) أتعنين أنك شربت من شاي  
أبى ؟ أنك كسبت وده ولم يمض عليك فى البيت  
عشر دقائق ؟

ايلى : هذا ما حدث .

مسز هشابى : يا لك من شيطانة صغيرة ( تخرج مع راندل ) .

مانجان : ألا تأتين يا مس ايلى ؟

ايلى : انى متعبة أشد التعب . سأخذ كتابا وأصعد الى  
حجرتى لأستريح قليلا ( تذهب الى رفوف  
الكتب ) .

مانجان : حسن ، هذا خير ما تشعلين ، وان كنت قد خيبت

أملى ( يتبع راندل ومسز هشابى ) .

( يبقى فى الحجرة ايلى وكتور وليدى  
أتروود ، وقد جلس وكتور الى جانب ايلى  
أتروود فى انتظار خروج ايلى )

ايلى : ( تقرأ عنوان أحد الكتب ) أتحبين قصص

المغامرات يا ليدى أتروود ؟

ليدى أتروود : ( مشجعة ) بالطبع يا عزيزتى .

ايلى : سأتركك اذن مع مستر هشابى ( تخرج عن

طريق الصلاة ) .

هكتور : هذه الفتاة مجنونة بقمص المغامرات ، ما أكثر

الأكاذيب التي اضطرت أن أحدثها بها !

ليدى أتروود : ( غير مهتمة بايلى ) ماذا كنت تعنى بقولك أظن

ثم سكوتك فجأة عندما رأيتنى ؟ ماذا كنت تظن ؟

هكتور : ( يثنى ذراعيه على صدره وينظر اليها نظرة

خلابة ) هل لى أن أخبرك ؟

ليدى أتروود : بالطبع .

هكتور : كانت عبارة خالية من الذوق فقد كنت على

وشك أن أقول « ظننتك امرأة غير جميلة » .

ليدى أتروود : أوه ، ألا تخجل يا هكتور ؟! بأى حق تلاحظ ان

كنت امرأة جميلة أو غير جميلة ؟

هكتور : استمعى الىّ يا أريادن ، انى لم أرك قبل اليوم

الا فى الصور ، ولن تستطيع أية صورة اظهار

السحر الغريب الذى لا يبتى ذلك الرجل العجوز

الخارق للطبيعة ، ففيهما صفة لعينة تدمر الشعور

الأخلاقى عند الرجال ، وتحملهم بعيدا عن

اعتبارات الشرف والعار . انك تعرفين هذا ،

أليس كذلك ؟

ليدى أتروود : ربما كنت أعرفه يا هكتور ، ولكن دعنى أحذرك

للمرة الأولى والأخيرة انى امرأة محافظة شديدة  
الصلابة . لملك تحسبى بوهمية لأنتى ابنة  
شتوقر ، فقد بلغنا جميعا مدى بعيدا فى  
البوهمية ، ولكنى لست كذلك ، انى أكره  
البوهمية وأشمز منها ، ولقد قاسيت من  
بوهميتنا ما لا يقاسيه من التشدد أى لقل  
عاش فى أسرة متطهرة متشددة فى الدين .

هكتور : وهذا حال أولادنا ، ولذلك يقضون اجازاتهم  
ضيوفا على زملائهم المحترمين .

ليدى أتروود : سادعوهم ليقضوا عندى عيد الميلاد .

هكتور : ان غيابهم يتركنا كئينا بدون حماتنا الطبيعيين .

ليدى أتروود : لا شك أن الأطفال متعبون جدا فى بعض  
الأحيان ، ولكن العقلاء يستطيعون دائما أن  
يسوسوهم ، الا اذا كانوا من البوهيميين .

هكتور : انك لست بوهمية ، كما أنك لست متشددة ،

ولكن فيك جاذبية حية قوية ، فمن أى نوع من  
النساء تعدين نفسك ؟

ليدى أتروود : انتى امرأة مجتمعات ياهكتور ، وأذكر لك انك  
اذا حرصت دائما على أن تسلك السلوك المهذب،

وتقول الكلام المهذب فسيكون فى استطاعتك  
أن تفعل ما تريد ، فالمرأة المهمله سيئة السلوك  
لا تجد أى فرصة ، والرجل المهمل سيء السلوك  
لا يسمح له أبدا أن يقترب قيد ذراع من امرأة  
تستحق أن تعرف .

هكتور : فهمت ، أنت لست امرأة بوهيمية ، ولست امرأة  
متشددة ، ولكنك امرأة خطيرة .

ليدى أتروود : على العكس ، انى امرأة مأمونة .

هكتور : أنت امرأة جذابة الى حد اللعنة ، افهمى جيدا  
أنى لا أغازلك فلست أحب أن تجذبنى امرأة ،  
ولكن خير لك أن تعلقى شعورى ما دمت  
ستقيمين عندنا .

ليدى أتروود : أنت فائن نساء شديد المهارة ياهكتور ، ووسيم  
جدا . وأنا أيضا أجيد هذه اللعبة كل الاجادة ،  
فهل تنفق على أنها مجرد لعبة ؟

هكتور : بالضبط ، أنا أمثل الحماقة عن قصد ، لمجرد  
شعورى بتفاهتى .

ليدى أتروود : ( تنهض فى مرح ) حسن ، انك زوج شقيقتى ،  
وقد سألتك هزيون أن تقبلنى ( يضمها بين

ذراعيه ويقبلها قبله حارة ) أود ، هذا أكثر قليلا  
من مجرد اللعب يازوج أختي ( تدفعه فجأة بعيدا  
عنها ) لن تفعل هذا ثانية .

إيلي : الواقع أنك أنشبت مخالبك في أعرق مما كنت  
أريد .

مسز هشابى : ( تدخل من الحديقة ) لا ندعا مجيئى يضايقكما .  
انما حضرت لآخذ قبعة لأبى فالشمس تغرب  
وقد يصيبه برد ( تنجى الى الباب الموصل الى  
الصالة ) .

ليدى أنروود : زوجك ظريف جدا ياعزيزتى ، فقد تنازل أخيرا  
وقبلنى فعلا ، سأذهب الى الحديقة فالجو الآن  
أكثر انعاشا . ( تخرج من الباب الأيسر ) .

مسز هشابى : حذار يا طفلى العزيز ، فلست أصدق أن أى  
رجل يستطيع أن يقبل آدى دون أن يقع فى  
حبها ( تذهب الى الصالة ) .

هكتور : ( يضرب صدره بيده ) مغفل ! تيس !  
( تعود مسز هشابى ومعها قبعة القبطان )

هكتور : يا لشقيقتك من فتاة مجربة شديدة الجرأة . أين  
مس دن !?

مزهبابى : أخبرنى مانجان أنها صعدت الى حجرتها لتنام قليلا ، لقد اختارتك آدى لنفسها ، ولن تسمح لك بمحادثة ايلى .

هكتور : ان فيها هذا السحر الشيطانى الذى تمتاز به أرتكم ، لقد بدأت مغازلتها دون تفكير . ماذا أفعل ؛ أنا لا أستطيع أن أحب ، ولا أستطيع أن أرح شعور امرأة باخبارها بذلك بينما هى تحبني ، ولما كانت النساء يقعن دائما فى حب شاربى فان ذلك يضطرنى الى اللجوء الى كل أنواع المغازلات المملة المفزعة دون أن اكون جادا فيها مطلقا .

مزهبابى : أود ، كذلك آدى ، انها لم تقع فى الحب طوال حياتها ، مع أنها ظلت تحاول أن تفرق فيه . وحالتها أسوأ من حالتك ، فانت على الأقل ذقت طعم الحب الحقيقى مرة واحدة ، معي .

هكتور : كان ذلك جنونا . لا يمكننى أن أصدق أن مثل هذه التجربة العجيبة شىء عادى . لقد دمغتنى بطابعها ، وأظن أن هذا هو السبب فى أنى لم أستطع تكرارها قط .

مسز هشباى : ( تضحك وهى تربت على ذراعاه ) لقد تدله كل منا فى حب الآخر ياهكتور . لقد كان حلما ساحرا حتى أنى لم أستطع بعد ذلك أن أبخل به عليك ولا على أى شخص آخر ، لقد دعوت كل أنواع الجميلات الى هذا المنزل لأقدم لك فرصة الوقوع فى حب جديد ، ولكن ذلك لم يحدث قط .

هكتور : لا أحسبني أريد حدوثه . لقد كان خطرا الى حد اللعنة . انك سحرتنى ، ولكنى أحببتك فعشت فى نعيم ، وسحرتنى شقيقتك هذه ، ولكنى أكرهها ، فأنا فى جحيم . وسأقتلها ان لم تنته .

مسز هشباى : آدى لن يقتلها شىء . انها قوية كالحصان . ( تترك ذراعاه ) سأذهب أنا الآن لأسحر شخصا ما .

هكتور : هذا المتأثق الذى يعمل فى وزارة الخارجية ؟ رائدل ؟

مسز هشباى : أعوذ بالله ! ولماذا أسحره ؟

هكتور : لا أحسبك تعنين ذلك الرأسالى المنتفخ ما:جان؟

مزم مشابى : هم ! أظن الأحسن أن أسحره أنا ، بدلا من أن تسحره ابلى .

( تكون فى طريقها الى الحديقة عندما يدخل القبطان قادما منها وفى يده بعض العصي )  
ما الذى معك يا أبى ؟

الغبطان شتور : ديناميت .

مزم مشابى : لقد ذهبت الى الحفرة الرملية . كن لطيفا ولا تلقه فى المنزل حيثما اتفق ( تخرج الى الحديقة وقد اشتدت حمرة الشفق ) .

هكتور : أنصت الى آيها الحكيم ، كم تستطيع أن تنصرف الى شعور واحد دون أن تخشى ثباته فى نفسك الى آخر العمر ؟

الغبطان شتور : تسعين دقيقة ، ساعة ونصفا ( يذهب الى الكيلار ) .

( يبقى هكتور وحيدا فيعقد حاجبيه ويسرح ، يظل بلا حراك بعض الوقت ثم يثنى ذراعيه على صدره ، ثم يطوح يديه خلف ظهره ويقبض باحدهما على الأخرى ، وفجأة يخطف عصاه من فوق المنضدة الصغيرة ويسحب منها السيف الموجود بداخلها ، ويحارب خصما وهميا فى مباراة يائسة ، وبعد اقبال

وادبار يتهدد سيفه حتى مقبضه في جسد  
الغريم ، ثم يغمد سيفه في العصا ويرميها  
على الأريكة بينما يفرق في حلم جديد ،  
فيحلق في عين امرأة خيالية ويمسك ذراعيها  
ويقول في صوت عميق أخاذ «أتحبينني؟» .  
وفي هذه اللحظة يعود القبطان من الكيلار  
يمرر هكتور وقد مد ذراعيه مسددا قبضتيه .  
فيضطر الى تبرير موقفه بمجموعة من  
الحركات الرياضية )

القبطان شتور : لا فائدة من هذا النوع من القوة ، فلن تكون  
أبدا أقوى من الغوريللا .

هكتور : وما فائدة الديناميت ؟

القبطان شتور : يقتل أمثال مانجان .

هكتور : لا فائدة ، فهم دائما يستطيعون أن يشترخوا من  
الديناميت أكثر مما تستطيع .

القبطان شتور : سأصنع نوعا من الديناميت لا يستطيع تفجيرده .

هكتور : وتستطيع أنت ، أليس كذلك ؟

القبطان شتور : بلى ، اذا ما وصلت الى درجة التركيز السابعة .

هكتور : وما الفائدة ؟ انك لن تصل الى هذه الدرجة أبدا .

القبطان شتور : ما العمل إذن ؟ أنظف الى الأبد في الوحل الذي  
يدفعنا اليه هؤلاء الخنازير الذين لا يرون في

الدنيا الا آلة لدهن شعورهم الخسنة وملء  
خراطيمهم ؟

هكتور : أتري شعر مانجان الخشن أسوأ من خصلات  
راندل الناعمة ؟

اللبطان شتور : يجب أن نستولى على قوى الحياة والموت دونهما  
معا . اننى أرفض الموت حتى أخترع الوسيلة .  
هكتور : ومن نكون حتى نحكم عليهم ؟

اللبطان شتور : وما يكونون حتى يحكموا علينا ؟ ومع ذلك فهم  
يفعلون دون تردد ، ان بين بذرتنا وبذرتهم  
عداوة ، وهم يعلمون ذلك ويعملون حسب  
علمهم ، فيزهقون أرواحنا . انهم يؤمنون  
بأنفسهم ، وسوف تقتلهم عندما تؤمن نحن  
بأنفسنا .

هكتور : ان اليذرة واحدة ، أنسيت أن لقرصانك ابنة غاية  
في الملاحة ، وقد يصبح ابن مانجان فيلسوفا  
كأفلاطون ، وابن راندل شاعرا كشيلى ، ماذا  
كان والدى ؟

اللبطان شتور : شر من قابلت من الأوغاد ( يعيد لوحة الرسم

الى مكانها ويجلس الى المنضدة ثم يبدأ في مزج  
بعض الألوان ) .

مكتور : بالضبط ، حسن ، أتجروؤ على قتل أحفاده  
الأبرياء ؟

القبطان شتور : انهم أيضا أحفادى .

مكتور : تماما ، فنحن أعضاء أسرة واحدة ( يلقي بنفسه

على الأريكة في تراخ ) أقول لك انى كثيرا  
ما فكرت في قتل الحشرات الانسانية كما تقول ،  
وقد فكر كثير من الرجال في ذلك ، فالرجال  
الطيون كدانيال في جب الأسد ، نجاتهم من  
الموت معجزة ، وقد لا ينجون . اننا نعيش بين  
أمثال مانجان ورائدل ويلى دن كما يعيش هؤلاء  
المساكين بين الأمراض والجراثيم والأطباء  
والمحاميين والقسس وندل المطاعم والتجار والخدم  
وسائر الطفيليين ومبتزى المال ، فما قيمة رعبنا  
بالنسبة الى رعبهم ؟ أعطى القوة التى تمكننى  
من قتلهم ، وسوف أعفو عنهم لمجرد ..

القبطان شتور : ( يقاطعه في حدة ) شعور الأخوة ؟

مكتور : كلا ، فلو اعتقدت ذلك لقتلت نفسى ، يجب أن

أومن أن الشرارة التي في نفسى مهما حُفرت  
شرارة الهية ، وأن النور الأحمر على أبوابهم هو  
نار جهنم . سأعفو عنهم لا لشيء إلا للعطف  
الكريم .

العبطان شوفر : لن تستطيع العفو عنهم إلا إذا كان في قدرتك أن  
تقتلهم ، أما الآن فإنهم هم القادرون على قتلك ؛  
انهم يملكون ملايين السود وراء البحار يدرّبونهم  
ليطلقوهم علينا ، وانهم سيفعلون ذلك ، بل انهم  
يقومون بذلك فعلا .

هكتور : انهم أغبي من أن يستخدموا قوتهم .

العبطان شوفر : ( يضع فرشاته ويتجه الى طرف الأريكة ) انهم  
يستخدمونها فلا تخدع نفسك ، اننا نقتل  
النصف الخير من نفوسنا كل يوم استرضاء لهم ؛  
فمعرفةنا أن هؤلاء الناس يقفون سدا أمام  
مطامحنا يمنعنا فعلا من الطموح ، وكلما حاولنا  
أن نحطمهم سلطوا علينا شياطين لتضلنا ؛  
شياطين متخفية في هيئة فتيات جميلات ومغنيات  
وشعراء ونحو ذلك ، ومن أجل هؤلاء نفقوا  
عنهم .

هكتور : (بعندل فى جلسته ويميل نحوه) أرجو ألا تكون  
هزيون احدى هؤلاء الشياطين قدمتها الى ،  
والا كان الواجب على أن أذبحك .

الميطان شتور : هذا جائز ، وقد استهلكتك ولم تبق لك سوى  
الأحلام ، كدأب بعض النساء .

هكتور : النساء مصاصات الدماء ، الشياطين .

الميطان شتور : هناك رجال يحسبون أن الدنيا قد أفلتت من  
أيديهم ، وهكذا تضيع منهم . من هم الرجال  
الذين يعملون ؟ انهم أزواج السليطات  
والسكيرات ، أولئك الذين فى جنوبهم الشوك .  
( يسير الى الكيلار شارد الفكر ) يجب أن أفكر  
فى هذه المسائل ( يلتفت فجأة ) ولكنى مع ذلك  
سأواصل العمل فى الديناميت ، سأكتشف أشعة  
أقوى من أشعة اكس ، أشعة عقلية تفجر الذخيرة  
فى حزام غريمى قبل أن يستطيع تصويب بندقيته  
نحوى ، ويجب أن أسرع فانى عجوز ولم يعد لى  
وقت أضيعه فى الكلام . ( يكون فى سبيله الى  
الكيلار وهكتور فى سبيله الى الصالة عندما  
تعود هزيون ) .

هزيون : أبى ، يجب أن تحضر أنت وهكتور للترحيب  
بكل هؤلاء الناس ، فيم بالله كتتما تصيحان ؟

هكتور : ( يقف عن ادارة آكرة الباب ) انه أكثر جنونا من  
المعتاد .

مز هشباى : كلنا كذلك .

هكتور : يجب أن أغير ملابسى ( يستأنف فتح الباب ) .

مز هشباى : قف ، قف ، ارجعنا كلاكما ، ارجعنا ( يرجعان على  
مضض ) كادت النقود تنفذ .

هكتور : النقود ! وأين أرباح شهر ابريل من أسهمى ؟

مز هشباى : أين الثلوج التى سقطت فى العام الماضى ؟

القبطان شتور : وأين كل النقود التى أخذتها فى مقابل بيع حقوق  
قارب النجاة الذى اخترعته ؟

مز هشباى : خمسمائة جنيه ، وقد جعلتها تكفيننا منذ عيد  
الفصح !

القبطان شتور : منذ عيد الفصح ! أربعة أشهر لا تزيد !  
ياللاسراف الفظيع ! كنت أستطيع أن أعيش بهذه  
الجنيهات الخمسمائة سبع سنوات .

مز هشباى : ما كنت تستطيع أن تنفق على منزل مفتوح  
للضيوف كما تفعل يا أبى .

القبطان شتور : خمسمائة جنيه فقط لقارب النجاة ! لقد حصلت  
على اثنى عشر ألفا فى الاختراع السابق .

سز هشباى : نعم يا أبى ، ولكن ذلك كان للسفينة ذات القاعدة المغناطيسية التى تشفط الغواصات ، وما دما نعيش على هذا المستوى فلا يمكنك أن تقدم اختراعات لانقاذ الحياة : هل يمكنك أن تفكر فى اختراع يقتل نصف أوروبا دفعة واحدة ؟

المبطن ستور : كلا ، فانى أهرم بسرعة ، ولم يعد عقلى يفكر فى القتل كما كان يفعل وأنا صبى . لماذا بلا يخترع زوجك شيئا ؟ ان كل ما يفعله هو أنه يقص الأكاذيب على النساء .

هكتور : حسن ، انه نوع من الاختراع ، اليس كذلك ؟ ومع ذلك فأنت على حق ، اذ يجب أن أعول زوجتى .

سز هشباى : لن تفعل شيئا من هذا القبيل . فمعناه أنى سأحرم من رؤيتك بين الافطار والغداء ، وأنا أريد زوجى .

هكتور : ( فى مرارة ) كأنى كليك المدلل .

سز هشباى : أتريد أن تكون عائلى كغيرك من الأزواج المساكين ؟

هكتور : كلا ورب السماء ! ان الزوج مخلوق كربه على كل حال !

مزهباى : ( للقبطان ) وماذا تم فى مدفع الرماح ؟  
القبطان شتور : لا فائدة منه ، فانه يقتل الحيتان لا الناس .  
مزهباى : ولم لا ؛ تطلق الحربة من المدفع فتصيد قائد جيش الأعداء فتجرد بالبكرة ، وهكذا ينتهى الأمر .

هكتور . : انت ابنة أيبك ياهزيون .  
القبطان شتور : فكرة ، لا لاصطياد القواد ، فانهم غير خطرين ، ولكن يمكن اطلاق خطاف لاصطياد مدفع ميكانيكى أو حتى دبابة ، سأفكر فى ذلك .  
مزهباى : ( تضغط على ذراع القبطان فى محبة ) نجونا ! ما أشد محبتى لك يا أبى ، والآن علينا أن نعود الى هؤلاء الناس الفظعاء لنؤنسهم .

القبطان شتور : انهم لم يتناولوا عشاء بعد ، فلا تنسى ذلك .  
هكتور : وأنا أيضا ، وقد أظلمت الدنيا ، ولا بد أن الوقت تأخر .

مزهباى : أوه ، ستقدم لهم جينيس عشاء ما ، فالخدم يحرصون دائما على أن يكون فى المنزل طعام .

العبطان شتور : ( يرفع صوته في الظلام في ولولة غريبة ) يا له  
من منزل ! ويا لها من ابنة !

مزهشباى : ( بجنون ) يا له من أب !

هكتور : ( يخذو خذوها ) يا له من زوج !

العبطان شتور : أما في السماء من رعد ؟

هكتور : أو ليس في الأرض جمال ولا شجاعة ؟

مزهشباى : ماذا يريد الرجال ، انهم يجدون طعامهم معدا ،

وجلستهم بجانب المدفأة ، وملابسهم وقد

أصلحت ، ثم نههم حيناً آخر النهار : فلماذا

لا يرضون ؟ لماذا يحسدوننا على الألام التي

تكبدها في اخراجهم الى هذا العالم ، ويخلقون

لأنفسهم أخطارا وآلاما غريبة لتساووا بنا ؟

العبطان شتور : ( يعنى بصوت غريب ) .

بنيت بيتا لابنتي ، وتركت أبوابه مفتوحة

ليحضر الرجال ويختاروا ، وينجبوا خلفا صالحا

ولكن احدهما تزوجت غيبا

هكتور : ( متما البيت ) وتزوجت الأخرى كذايا

مزهشباى : ( متممة المقطوعة ) .

والآن عليها أن ترقد بجواره ، حتى وهي ترتب

الفراش .

ليدى اترودد: ( تصيح من الحديقة ) هزيون ! هزيون ! أين أنت ؟

هكتور : القطة توثب .

مزمشباي : هاندى ياجييتى ، هاندى ( تخرج مسرعة الى الحديقة )

( يعود القبطان الى مكانه من المنضدة )

هكتور : ( يتجه الى الصالة ) هل أضىء لك الحجره ؟

القبطان شتوهر : كلا ، انى فى حاجة الى فلام أشد ، فالمال لا يجمع فى النور .

## الفصل الثاني

( نفس الحجره وقد اُضيئت انوارها واسدلت ستائرهما . تدخل ايلي يتبعها مانجان وقد ارتديا ثياب السهرة ، تسير ايلي في تراخ نحو منضدة الرسم ، بينما يقف مانجان بين المنضدة والكرسى القش )

مانجان : يا لها من وليمة ابل هي وجبة اذ لا أستطيع أن أسميها وليمة .

تايلي : انك اعتدت الوجبات يا مستر مانجان ، واني لأعد نفسي سعيدة الحظ اذا حصلت عليها ، ثم ان القبطان أعد لي شيئا من المكرونة .

مانجان : ( يرتعد في ألم المريض بالكبد ) انها دسمة جدا ، وأنا لا أستطيع أكل مثل هذه الأشياء . لعل السبب هو اضطراري الى العمل الذهني الشاق ، وهذا أسوأ ما في حياة رجل الأعمال ، فانه دائما يفكر ويفكر ويفكر . وبهذه المناسبة ،

هل لى أن أتبهز فرسة وجودنا وحادنا وأصل  
الى بعض التفاهم معك ؟

**ايلي** : ( تجلس على كرسى الرسام ) بالطبع ، فهذا  
يسرنى .

**مانجان** : ( فى دهشة ) حقا ؛ ان هذا يدعشنى ، فقد خلت  
أناك تجنبتنى بمد ظهر اليوم قدر استطاعتك .  
ونم تكن هذه أول مرة على أى حال .

**ايلي** : كنت شديدة التعب والاضطراب ، ولم أكن قد  
أثقت أساليب هذا المنزل العجيب . أرجو أن  
تسامحنى .

**مانجان** : أوه ، لا بأس ، فليس هذا ما يشغلنى ، ولكن  
القبطان شتوثر تحدث معى عنك ، عنك وعننى  
كما تعلمين .

**ايلي** : ( فى اهتمام ) القبطان ! ماذا قال ؟

**مانجان** : حسنا ، لقد لاحظ الفرق بين عمرينا .

**ايلي** : انه يلاحظ كل شىء .

**مانجان** : هذا اذن لا يضايقك ؟

**ايلي** : بالطبع أنا أعلم جيدا أن خطوبتنا ..

**مانجان** : أوه ، أسمىنها خطبة ؟

- ايلى : حسنا ، اليس كذلك ؟
- مانجان : 'وه ، بلى ، بلى ، انها كذلك ولا شك ما دمت متمسكة بها ، ولكنها أول مرة تستعملين فيها هذه الكلمة ، ولم أكن أعرف بالضبط موقفنا ، وهذا كل ما فى الأمر ( يجلس على الكرسي القش ويعد نفسه للسماح لها بإدارة دفة المناقشة ) كنت تقولين .. ؟
- ايلى : حقا ؟ لقد نسيت ، خبرني ، أعجبتك هذه المنطقة من الريف ؟ فقد سمعتك تسأل مستر هشاباى — ونحن على مائدة الطعام — ان كانت توجد منازل جميلة للإيجار فى هذه المنطقة .
- مانجان : نعم ، أعجبنى المكان ، فالجو هنا يناسبنى ، ولا يبعد أن أسكن هنا .
- ايلى : ليس أحب الى من هذا ، فالجو هنا يناسبنى أنا أيضا ، ثم انى أريد أن أكون قريبة من هزيون .
- مانجان : ( يعلق متزايدا ) لعل الجو يناسبنا ، ولكن المسألة هى هل يناسب أحدنا الآخر ؟ هل فكرت فى ذلك ؟

**ابلى** : يجب أن تكون عقلاء يا مستر مانجان ، أليس كذلك ؟ فلا فائدة من أن نزعم أننا روميو وچوليت ، ولكننا نستطيع أن نكون على وفاق اذا اخترنا أن نحسن الموقف بقدر ما نستطيع ، وستسهل طيبة قلبك الأمر لى .

**مانجان** : ( ينحنى الى الأمام وفي صوته بواذر جفوة مقصودة ) طيبة قلبى ، أهذا ما قلت ؟ لقد أوصلت أباك الى الافلاس ، أليس كذلك ؟

**ابلى** : أود ، ليس عن قصد .

**مانجان** : بل عن قصد : لقد أوصلته الى الافلاس عامدا .

**ابلى** : عامدا !

**مانجان** : تعلمين أن ذلك لم يكن عن خبث فى الطبع ، وأفئتك تقرين أنتى احتفظت له بوثليقة بعد أن انتهيت منه ، ولكن العمل هو العمل ، وقد جعلته يفلس لضرورة من ضرورات العمل .

**ابلى** : لست أفهم كيف يمكن أن يكون ذلك ، أنحاول أن تنزع من قلبى العرفان بجميلك لتكون لى حرية الاختيار ؟

**مانجان** : ( ينهض مهاجما ) كلا ، فأنا أعنى ما أقول .

**أبلى** : ولكن كيف يمكن أن يكون في افلاس أبى أى نفع لك ؟ ان المال الذى خسره كان مالك .

**مانجان** : ( فى ضحكة فظة ) كان مالى ! انه ما زال مالى هو وكل ما خسره الآخرون يا مس ايلى ( يضع يديه فى جيوبه ويكشف عن أسنانه ) لقد طردتهم كما تطرد خلية النحل بالدخان ، فما رأيك فى هذا القول ؟ ألم يصدك قليلا ؛

**أبلى** : كان يمكن أن يصدمنى هذا فى الصباح ، أما الآن فانك لا تدري كم يبدو الأمر تافها ، ولكنه مشوق . عليك أن تشرحه لى فانى لا أفهمه ( تسند كوعها على منضدة الرسم وذقتها على يديها فى وضع من يستعد للاستماع وقد تملكها مزيج من التطلع الشعورى والازدراء غير الشعورى يزيد جفوته ويستثيرد لمحاولة التظاهر بالاشفاق على جهلها ) .

**مانجان** : بالطبع لا تفهمينه ، فماذا تعرفين أنت عن الأعمال؟ ليس عليك الا أن تستمعى وتتعلمى . لقد بدأ أبوك مشروعا جديدا ، أما أنا فلا أبدأ مشروعات جديدة أبدا ، وانما أدع غيرى من الناس

يبدءونها . انهم يضعون فيها كل أموالهم وأموال  
أصدقاءهم ، ويفنون أرواحهم وأجسادهم لمحاولة  
انجاحها . انهم أولئك الذين نطلق عليهم اسم  
المتحمسين ، ولكن أول دفع للمشروع يكون  
أكثر مما يحتملون ، وليس لديهم خبرة مالية  
كافية ، فلا يمر عام أو ما يقرب من ذلك حتى  
يجدوا أنفسهم أمام أحد أمرين ، اما أن يفلسوا  
ويضيع كل مالهم ، واما أن يصفوا أعمالهم ببيعها  
الى مجموعة جديدة من الناس مقابل أسهم عادية  
قليلة مؤجلة ، هذا اذا أسعدهم الحظ ونجحوا  
في الحصول على أى شىء على الاطلاق . وغالبا  
ما يحدث الشئ نفسه للمجموعة الجديدة ، فهم  
يضعون في المشروع مزيدا من المال ويستمرون في  
المعمل عامين آخرين ، ثم قد يضطرون الى بيعه  
لمجموعة تالفة . فاذا كان المشروع كبيرا حقا فان  
المجموعة الثالثة تضطر أيضا الى بيعه تاركة خلفها  
مالها ومجهودها . وهنا يبدأ دور رجل الأعمال  
الحقيقى ، يبدأ دورى أنا . ولكنى أمهر من  
غيرى ، فلا مانع عندى من أن أضحي بقليل من

المال لبدء المشروع . لقد عرفت مدى قدره أليك . رأيت أن لديه فكرة سليمة ، وأنه سيفنى نفسه في العمل اذا وجد الفرصة ، ولاحظت أنه منغل في مجال الأعمال ، وكنت متأكدا تماما من أن مصاريفه ستزيد عن طاقته ، وأنه سينعجل النجاح ولن ينتظر حتى يكون سوقا ، وكنت أعلم أن ضمن طريقة لتحطيم رجل لا يعرف كيف يدبر المال هو أن أعطيه شيئا من المال، فشرحت فكرتي لبعض أصدقائي في حي المال ، قدبروا المبلغ ، لأنى لا أجازف بالمال في سبيل فكرة وان كانت فكرتى الخاصة . ولم يكن أبوك وأصدقائه الذين خاطروا بأموالهم معه يزيدون في نظرى عن كومة من الليمون المعتصر . لقد وضعت شكرك في غير موضعه . ان قلبى الرحيم كله غفن . وقد سئمت ذلك ، فعندما ينظر الى والدك بوجهه البشوش وقد ابتلت عيناه شكرا وانغمس كالعادة في العرفان بالجميل أحس في بعض الأحيان أننى يجب أن أخبره بالحقيقة والا انفجرت ، ولم يكن يسنمى الا معرفتى بأنه

لن يصدقنى وسيظن أنه تواضع منى كما كنت  
تظنين الآن ، سيظن أى شىء الا الحقيقة وهى أنه  
غبى يستحق اللوم وأنى رجل أعرف كيف أرعى  
شئونى ( يضطجع فى الكرسى الكبير راضيا عن  
نفسه كل الرضا ) والآز ، ما رأيك فى يا مس  
ايلى ؟

**ايلى** : ( تسقط يديها ) يا للغرابة ! لقد عرفتك أمى التى  
لا تعرف شيئا عن الأعمال ، عرفتك على  
حقيقتك ، فلطالما قالت لنا — نحن الأطفال —  
فى غياب أبى انك تماما كما وصفت .

**مانجان** : ( يعتدل فى جلسته ويقول باستياء شديد ) أوه ؟  
حقا ؟ ومع ذلك فقد وافقت على زواجى منك .

**ايلى** : حسنا ، المسألة يا مستر مانجان أن أمى تزوجت  
رجلا طيبا جدا — مهما يكن رأيك فيه كرجل  
أعمال فانه الطيبة مجسمة — وهى غير حريصة  
مطلقا على أن أحذو حذوها .

**مانجان** : على كل حال لا أحسبك تريدن أن يتم زواجنا  
الآن ، أليس كذلك ؟

- ابلى** : ( فى هدوء شديد ) أوه ، أظنه سيتم ، اذ  
ما المانع ؟
- مانجان** : ( يقف وقد تملكته الدهشة ) ما المانع !
- ابلى** : لست أرى مانعا من أن نعيش معا فى وفاق تام .
- مانجان** : حسنا ، ولكن لاحظى ، أنك تعلمين — ( يسكت  
فى حيرة ) .
- ابلى** : ( فى صبر ) نعم ؟
- مانجان** : حسنا ، كنت أظنك شديدة الاهتمام بأخلاق  
الناس .
- ابلى** : لو أننا — نحن النساء — دققنا فى نظرتنا الى  
أخلاق الرجال لما تزوجنا أبدا يا مستر مانجان .
- مانجان** : طفلة مثلك تتحدث قائلة « نحن النساء » ! وماذا  
بعد ؟ لا أظنك جادة ؟
- ابلى** : بلى انى كذلك ، ألسنت أنت جادا ؟
- مانجان** : أعنى ، أتمسكين باتفاقنا ؟
- ابلى** : أتريد أنت أن تتخلى عنه ؟
- مانجان** : أوه ، كلا ، لا أقصد التخلي بالضبط .
- ابلى** : إذن ؟

( لا يجد ما يقول ، فيصير صميرا طويلا  
خافتا ، ويلقى بنفسه على الكرسي الكبير  
وهو يحملق أمامه كمقامر مفلس ، ولكن سرعان  
ما تبدو في عينيه نظرة ماكرة فينحني نحوها  
معتمدا على مرفقه الأيمن ويتكلم بصوت  
خفيض ثابت )

**مانجان** : واذا قلت لك انى أحب امرأة أخرى !

**ايلى** : ( تردد صدى كلماته ) واذا قلت لك انى أحب  
رجلا آخر !

**مانجان** : ( يفتخر من كرسيه غاضبا ) أنا لا أمزح .

**ايلى** : ومن قال لك انى أمزح ؟

**مانجان** : انى جاد فيما أقول ، أما أنت فانك أصغر من أن  
تكونى جادة ، ولكن يجب أن تصدقينى . انى  
أريد أن أكون قريبا من صديقتك مسز هشاباى  
لأنى أحبها . ها قد انكشف السر .

**ايلى** : وأنا أريد أن أكون قريبة من صديقك مستر  
هشاباى لأنى أحبه . ( تنهض وتضيف بصراحة )  
الآن وقد عرف كل منا سر الآخر فسنكون  
أصدقاء حقيقيين ، وانى لأشكرك لأنك أخبرتنى .

**مانجان** : ( يكاد يستشيط غضبا ) اتحسبيني أرضى بأن  
أستغل هكذا ؟

**ايلى** : على رسلك يا مستر مانجان ! لقد استغلت أبى  
في أعمالك ، وبما أن الزواج هو عمل المرأة ،  
فلماذا لا أستغلك أنا هذا الاستغلال المنزلى ؟

**مانجان** : لأنى لا أريد ، أرايت ؟ لأنى لست مفعلا كأبيك ،  
هذا هو السبب .

**ايلى** : ( فى احتقار رصين ) انك لا تصلح لأن تنظف  
هذء أبى يا مستر مانجان ، وانى لأرفع شأنك  
اذ أتنازل وأستغلك كما تقول ، أنت بالطبع حر  
فى أن تنسخ خطوبتنا اذا أردت ، ولكنك ان  
فعلت فلن تدخل منزل هزيون مرة أخرى ،  
وسأكون حريصة على أن أنفذ ذلك .

**مانجان** : ( مشدوها ) أيتها الشيطانة الصغيرة ، لقد  
انتصرت على . ( يكاد ينهار على الكرسي الكبير  
مرة أخرى ، ثم يتمالك نفسه ) ولكن ، مهلا ،  
انك لست ذكية بقدر ما تظنين ، ولن تستطيعي  
التغلب على الرئيس مانجان بهذه السهولة ،

فلنرض أنتي ذهبت من فوري الى مسز هشاباي  
وأخبرتها أنك تحين زوجها .

ابلى : انها تعلم ذلك .

مانجان : أنت أخبرتها !!!

ابلى : هي التي أخبرتنى .

مانجان : ( يمك صدغيه خوف انفجارهما ) أوه ، هذا

بيت مجانين ، والا فأنا الذى أفقد عقلى . هل

اتفقتما على مبادلة : هي تأخذ زوجك وأنت

تأخذين زوجها ؟

ابلى : حسنا ، انك لا تريدنا معا ، أليس كذلك ؟

مانجان : ( يرتقى على الكرسي مشوش الفكر ) مخي

لا يحتمل ذلك ، رأسى يكاد ينفجر ، أعيشنى ،

ساعدينى على امساكه ، أسرع ، أمسكه ،

اضغطى عليه ، أنقذينى . ( تقف ابطى خلف

كرسيه وتقبض على رأسه بقوة لحظة ، ثم تبدأ

فى تمرير يديها من جبهته الى أذنيه ) شكرا لك

( فى نعاس ) هذا منعش جدا ( يستيقظ قليلا )

ولكن لا تنومينى تنويما مغناطيسيا ، فقد رأيت

رجالا يهزأ بهم وهم منومون مغناطيسيا .

**ايلى** : ( بسات ) كن هادئا ، فقد رأيت رجالا يهزأ بهم  
دون تنويم مغناطيسى .

**مانجان** : ( بتواضع ) لعلك لا تكرهين لمسى ، فقد لاحظت  
أنك لم تلمسينى من قبل .

**ايلى** : ليس بعد أن أحببت امرأة ناضجة جميلة لا تنتظر  
منك أن تغازلها ، كما لا أنتظر منه أن يغازلنى .  
**مانجان** : ومع ذلك فقد يفعل .

**ايلى** : ( تجعل حركات يديها منتظمة ) صه . نم . نم .  
أسمع ؟ انك ستنام ، نم ، نم ، نم ، كن هادئا ،  
هادئا جدا جدا ، نم ، نم ، نم ، نم ، نم .

( يستغرق فى النوم فتتسلل ايلي وتطفىء  
النور وتخرج الى الحديقة )  
( تفنح المربية جينيس الباب وترى فى  
النور المنعكس من الصالة )

**المربية جينيس** : ( تخاطب أحدا فى الخارج ) مستر مانجان ليس  
هنا يابطتى ، لا أحد هنا ، المكان مظلم تماما .

**مزمهاى** : ( من الخارج ) ابهى عنه فى الحديقة ، سأكون  
أنا ومستردن فى مخدعى فعرفيه الطريق .

**المربية جينيس** : حاضر يابطتى ( تسير فى الظلمة قاصدة الباب  
الموصل الى الحديقة فتعثر بمستر مانجان النائم

فتصرخ ( أعموه ! أوه يا الهي ! سيدي ! بالله  
اعذرنى فانتى لم أرك في الظلام ، من أنت ؟  
( تعود الى الباب وتضىء النور ) أوه مستر  
مانجان ، أرجو ألا أكون قد آذيتك ياسيدي اذ  
وقعت بثقلى على حجرك هكذا ( تذهب اليه )  
كنت أبحث عنك ياسيدي . مسز هشاباى تقول  
اذا سحت ... ( تلاحظ أنه يظل فاقد الادراك )  
أوه ، يا الهي ، أرجو ألا أكون قد قتلته ،  
سيدي ! مستر مانجان ! سيدي ! ( تهزه  
فيتدحرج دون وعى على الأرض فترفعه وتسندة  
على الوسادة ) مس هيسى ! مس هيسى ! أسرعى  
يا عروستى ، مس هيسى ! ( تدخل مسز هشاباى  
من الصالة يتبعها ماتزىنى دن ) أوه يا مس هيسى ،  
لقد انتهى الأمر وقتلته . ( يسرع ماتزىنى فيدور  
حول ظهر الكرسي الى يمين مانجان ويبدو له أن  
كلام المريية صحيح مع الأسف ) .

- ماتزىنى : ماذا تغراك بارتكاب مثل هذه الجريمة يا امرأة ؟  
مز هشاباى : ( تحاول ألا تضحك ) اتعنين أنك قتلته متممدا ؟  
المريية جينيس : وهل من المعقول أن أقتل رجلا متممدا ؟ لقد

سقطت عليه في الظلام بوزني الثقل هذا ، فلم  
يتكلم أو يتحرك ، فلما هزته سقط على الأرض  
ميتا ، أليس هذا شيئا متعيا ؟

مزهشباي : ( تدير من أمام المريية حتى تصل الى جوار  
مانجان ثم تفحصه وهي أقل يقينا من ماتزيني )  
هراء ! انه ليس ميتا ، بل هو نائم فقط .  
أستطيع أن أرى حركة تنفسه .

المريية جينيس : ولكن لماذا لا يستيقظ ؟

ماتزيني : ( يهمس في أذن مانجان بأدب شديد ) مانجان !  
عزيزي مانجان !

( ينفخ في أذن مانجان )

مزهشباي : هذا لا يصلح ( تهزه بقوة ) استيقظ يا مستر  
مانجان ، أسمعني ؟ ( يبدأ في التدحرج ) أود ،  
دادة ، يا دادة ، انه يقع ، ساعدني .

( تسرع جينيس اليها وتستطيع بمساعدة  
ماتزيني ان تسند مانجان ثانية قبل أن  
يسقط )

المريية جينيس : ( تنحنى وهي خلف الكرسي لتختبر حالته بأنفها )  
لعنه مخمور ، أنتظين ذلك يا حبيبتى ؟

مزهشباي : هل شرب شيئا من خمر أبي ؟

ماتزنى : لا يمكن أن يكون ذلك ، فانه من المعتدلين في الشرب ، أخشى أن أقول انه أفرط في الشرب قديما حتى أصبح مضطرا الى الاقلال منه الآن . أتعرفين يا مسز هشاباى ، انه في اعتقادى منوم تنويما مغناطيسيا .

الريية جينيس : معنا ماذا ياسيدى ؟

ماتزنى : ذات ليلة ونحن في المنزل ، بعد أن شاهدنا عرضا للتنويم المغناطيسى ، بدأ الأطفال يجربون اللعبة فأخذت ايلى تمر بيدها على رأسى ، وأؤكد لكم أنى نمت نوما عميقا ، واضطروا أن يرسلوا فى طلب أحد المحترفين ليقاظلى بعد أن ظللت نائما ثمانى عشرة ساعة . وقد اضطروا الى حملى الى الطابق العلوى ، وبما أن الأطفال المساكين لم يكونوا أقوياء الى درجة كافية فقد سقطت من أيديهم وتدرجت على الدرجات دورا بأكله ، ومع ذلك لم أستيقظ . ( تحاول مسز هشاباى أن تكتم ضحكاتها ) أوه ، قد تضحكين يا مسز هشاباى ، ولكنى كنت معرضا للموت .

مسز هشاباى : لم أكن أستطيع منع نفسى من الضحك حتى

لو مت يا مستر دن . اذن فقد نومتته ايلي  
مغناطيسيا ، ما أمتع ذلك !

ماتزىنى : أود ، لا ، لا ، لا ، لا ، لقد كان درسا قاسيا لها ،  
ولا يمكن أن تعيد الكرة ثانية بأى حال .

مزهشباى : مَن اذن فعل ذلك ؟ أنا لم أفعله .

ماتزىنى : لعل القبطان فعل ذلك دون قصد ، ان له قوة  
مغناطيسية هائلة حتى انى لأحس بذبذبات كلما  
اقترب منى .

المربية جينيس : سيخرجه القبطان من ذلك على أى حال  
يا سيدى ، وسأساعده فى هذا ، سأذهب للبحث  
عنه ( تنجحه نحو الكيلار ) .

مزهشباى : انتظرى لحظة ( ماتزىنى ) قلت انه لن يؤذيه أن  
يبقى هكذا ثمانى عشرة ساعة ؟

ماتزىنى : حسنا ، لقد نمت أنا ثمانى عشرة ساعة .

مزهشباى : وهل كان لذلك أى تأثير سيء عليك ؟

ماتزىنى : لا أذكر تماما ، لقد كانوا يصبون البراندى فى  
حلقى ، أرأيت ؟ و —

مزهشباى : تماما ، على أى حال فقد بقيت حيا ، دادة  
يا جيبتى ، اذهبى واسألنى مس دن أن تحضر

الينا هنا ، قولى لها انى أريد أن أحدثها فى أمر هام . الغالب أنك ستجديها مع مستر هشاباى .  
المربية جينيس : لا أفطن يا بطنى ، فان مس آدى معه ، ولكنى سأجدها وأرسلها اليك ( تخرج الى الحديثة ) .  
مسز هشاباى : ( تلفت انتباه ماتزنى الى الجسد الملقى على الكرسى ) والآن انظر يا مستر دن ، يكفى أن تنظر جيدا ، ألا تزال ناويا أن تضحى يا بنتك لهذا الشيء ؟

ماتزنى : ( فى اضطراب ) لقد أزعجتنى أيما ازعاج بكل ما وجهته الىّ يا مسز هشاباى . انها صدمة شديدة الايلام لـ — يمكنك أن تقولى لفكرتى الطيبة عن نفسى — أن يتصور أى انسان أنى أنا — أنا الجندى المنذور للحرية ، ان جاز لى أن أقول ذلك — يمكن أن أضحى بايلى لأى انسان أو أى مخلوق ، أو أحلم بإجبار عواطفها على الاتجاه فى أى طريق .

مسز هشاباى : ( بشيء من الجمود ) آسفة .

ماتزنى : ( ينظر الى الجسد فى يأس ) مسز هشاباى ، ما وجه اعتراضك على مانجان المسكين ؟ انه

لا عيب فيه من وجهة نظري ، ولكن لعل ذلك  
بسبب النى له .

مسز هشباى : أليس لك قلب ؟ أليس لك عقل ؟ أنظر الى هذا

الوحش ! فكر فى المسكينة الضعيفة البريئة  
ايلى وهى بين برائن هذا السيد العاتى الذى  
يقضى حياته فى حمل الآلاف من العمال الخشنين  
الصارمين على الانحضاء لارادته وانعرق فى  
سييله ، هذا الرجل الذى تعود رؤية كتل الحديد  
الضخمة وهى تشكل حسب ما يريد بالمطارق  
البخارية ! هذا الرجل الذى يحارب القتيات  
والنساء بلا رحمة من أجل نصف بنس فى  
الساعة . أفناتك تدعوه أحد ملوك الصناعة ،  
أليس كذلك ؟ أتريد أن تلقى بطفلك الحلوة  
الناعمة التى لا حول لها بين برائن مثل هذا  
الحيوان ، لا لسبب الا أنه سيكونها فى منزل  
فخم ويلبسها الماسات لتبين للناس مبلغ غناه ؟

ماتزنى : ( يحملق فيها بعينين مفتوحتين من الدهشة ) لك

الله يا مسز هشباى . ما أعجب أفكارك الخيالية  
عن الأعمال ! ان ماتجان الحبيب المسكين ليس  
فيه ذرة مما وصفت .

مز مشابهى : ( باحتقار ) مانجان الحبيب المسكين حقا !

ماتزنى : ولكنه لا يعرف شيئا عن الآلات ، ولا يقترب من العمال أبدا ، فانه لا يعرف كيف يعاملهم ، بل انه يخافهم ، وما استطعت قط أن أجعله يهتم بالمصانع أقل اهتمام ، ان معرفته بذلك لا تفوق معرفتك . كم يظلم الناس مانجان ظلما بينا ، فهم يحسبونه قويا عنيفا لا لشيء الا لخشونة تصرفاته .

مز مشابهى : أتريد أن تقول لى انه أضعف من أن يحطم ايلى الصغيرة المسكينة ؟

ماتزنى : حقا ، ان التنبؤ بما ستؤول اليه أية زيجة لمن أصعب الأمور ، ولكن رأى الخصاص أنه سيكون أضعف بكثير من ايلى ، فأنت تعرفين أن ايلى تمتاز بقوة الشخصية ، وأظن أن ذلك راجع الى أنى علمتها منذ نعومة أظفارها أن تحب شكير .

مز مشابهى : ( بازدراء ) شكير ! لعل الخبر الثانى الذى ستقوله لى أنه كان فى امكانك أن تكون أغنى

كثيرا من مانجان . ( تعود الى الأريكة وتجلس على طرفها الأيسر في حنق شديد ) .

**ماتزنى :** ( يتبعها ويجلس على الطرف الآخر من الأريكة )  
كلا ، فلست بارعا في كسب المال ، وكأنى لا أهتم به الاهتمام الكافى . أنا لست طموحا ! ولعل هذا هو السبب ، أما مانجان فانه بارع في شئون المال حتى انه لا يفكر الا فيه ، فهو شديد الخوف من الفقر . أنا أفكر دائما في أشياء أخرى ، حتى وأنا في المصنع أفكر في الأشياء التى نعملها لا فيما تكلفنا هذه الأشياء ، وأسوأ ما فى الأمر أن مانجان المسكين لا يعرف ماذا يعمل بالمال عندما يحصل عليه : انه ليس الا طفلا لا يعرف كيف يأكل أو يشرب ، وقد حطم كبده بخلطه فى المأكل والمشرب حتى انه الآن يكاد لا يأكل شيئا . سوف تنظم ايلى غذاءه كما ينبغى . انك سوف تدهشين عندما تعرفينه حق المعرفة ، فهو فى الحقيقة من أضعف المخلوقات ، حتى لشعرين بحاجة الى حمايتك .

مسز هشباى : اذن ، أرجوك أن تخبرنى : من الذى يدير أعماله ؟

ماتزنى : أنا وكثيرون مثلى بالطبع .

مسز هشباى : تعنى أناسا لا قيمة لهم .

ماتزنى : أفنك تعتبرينا كذلك .

مسز هشباى : اذن فقل لى بربك لماذا لا تعملون بدونه ما دمتم جميعا أمهر منه كثيرا ؟

ماتزنى : اوه ، لن نستطيع ، سنحطم المشروع فى سنة ،

أنا أعرف ذلك ، فقد حاولت هذه المحاولة ، انا

نسرف فى الانفاق على كل شىء ، ونحن أصناف

البضائع حتى تصبح أعلى من أن تباع ، وتملأنا

الشفقة على حالات البؤس بين العمال . أما

مانجان فانه يفرض النظام علينا ، انه يوجه الينا

أشد اللوم بسبب نصف بنس صرف فى غير

موضعه . انا لا نستطيع الاستغناء عنه .

تصورى أنه يقضى الليل بطوله مفكرا فى الطريقة

التي يوفر بها ستة بنسات . ألا تعتقدن أن ايلى

ستطير عقله عندما تتولى تدبير أمور بيته ؟

مسز هشابای : اذن فكل شيء في هذا المخلوق كاذب ومزيف

حتى كونه ملكا من ملوك الصناعة !

ماتزینی : أخشى أن أقول ان كل ملوك الصناعة مزيفون

مثله على حد قولك يا مسز هشابای . بالطبع

هناك بعض أصحاب الأعمال الذين يفهمون

عملهم حقا ، ولكنهم لا يجنون أرباحا توازي

أرباح مانجان . أؤكد لك أن مانجان شخص

غيب حقا ، على طريقته ، فهو لا يضمرا سرا .

مسز هشابای : انه ليس وسيما كما أنه ليس شابا ، أليس كذلك؟

ماتزینی : ولكن يا مسز هشابای ، ان الأزواج لا يظنون

شبابا لمدة طويلة ، والرجال اليوم لا يستطيعون

الزواج في مطلع شبابهم .

مسز هشابای : لو أنني أنا قلت هذا الآن لقلته بطريقة ماهرة ،

فلم لا تستطيع قوله بمهارة؟ ما علتك بالله؟ لماذا

لا توحى للناس بالثقة ، بالاحترام؟

ماتزینی : ( بتواضع ) أظن أن علتى هي انقصر . أنت

لا تعرفين ماذا يعنى ذلك في البيت ، ولكن

لا تحسبى أنني أقصد بذلك أنهم اشتكوا قط ،

لقد كانوا جميعا رائعين ، وكانوا فخورين

بفقري ، بل انهم كثيرا ما كانوا يتخذونه موضوعا  
للفكاهة ، ولكن زوجتي عانت منه كثيرا ،  
وكانت متسلمة كل الاستسلام .

مزهبابى : ( ترتعد على الرغم منها ) !!

ماتزىنى : أرايت يا مسز هساباى ! أنا لا أريد لايلى أن  
تعيش على الاستسلام .

مزهبابى : أتريد منها أن تستسلم للعيش مع شخص لاتحبه؟

ماتزىنى : ( مفكرا بحزن ) أواثقة أنت أن ذلك سيكون  
أسوأ من الحياة مع رجل تحبه اذا كان رجلا  
لا قيمة له ؟

مزهبابى : ( تريح نفسها من مظهر الاحتقار فقد أعجبت  
بماتزىنى الآن ) أتعرف ؟ لقد تأكدت الآن من  
أنك تحب ايلى غاية الحب ، فأنت تصبح ذكيا  
ماهرا حين تتحدث عنها .

ماتزىنى : لم أكن أظن أنى غبى فى غير ذلك من الموضوعات.

مزهبابى : انك كذلك فى بعض الأحيان .

ماتزىنى : ( يدير رأسه وقد ابتلت عيناه بالدموع ) لقد

تعلمت منك الشئ الكثير عن نفسى يا مسز  
هساباى ، وأخشى ألا تجعلنى صراحتك أكثر

سعادة ، ولكنك تخطئين كثيرا اذا حسبت اننى  
كنت فى حاجة اليها لأفكر فى سعادة ايلى .

مىز هشبای : ( تميل نحوود بعطف ) هل كنت قاسية ؟

ماتزىنى : ( بتماسك ) لا عليك منى يا مىز هشبای ،  
أفلك تحبين ايلى ، وهذا يكفينى .

مىز هشبای : لقد بدأت أميل اليك قليلا بعد أن كنت أكرهك  
أول الأمر كراهية تامة ، وكنت أفلك أكثر من  
قابلت من الرجال المسنين شناعة واعجابا بنفسه  
وسماجة وتكلفا .

ماتزىنى : ( مستسلما وقد بدا عليه المرح ) أخشى أن أقول  
اننى كما ذكرت ، فلم يحدث قط أن كنت محببا  
الى النساء الرائعات مثلك ، انهن يخفننى دائما .

مىز هشبای : ( مسرورة ) أنا امرأة رائعة يا ماتزىنى ؟ سيجعلنى  
ذلك أحبك على الفور .

ماتزىنى : ( فى رقة ووداعة ) كلا ، لن تفعلنى ياهزيون ،  
ولكنك لو فعلت لكنك فى أمان تام ، أتصدقين  
أن عددا كبيرا من النساء غازلننى لأننى رجل  
مأمون ؟ ولكنهن يضقن بى لنفس السبب .

مز هشابى : ( فى شقاوذه ) كن حذرا ، فقد لا تكون مأمونا  
بقدر ما تظن .

ماتزىنى : أوه ، بلى ، انى مأمون تماما ، والسبب أننى  
أحببت مرة حبا حقيقيا ، حبا من ذلك النوع  
الذى لا يحدث الا مرة واحدة ( فى رقة ) وهو  
هو السبب فى جمال ايلى .

مز هشابى : حسنا ، لقد بدأت تكشف عن حقيقة نفسك ،  
أأنت على يقين من أنك لن تسمح لى بأن أغريك  
بحب كبير ثان ؟

ماتزىنى : كل اليقين ، فلن يكون ذلك طبيعيا ، الحقيقة  
يا مز هشابى أن ثقابك لا يشتعل على  
صندوقى كما لا يشتعل ثقابى على صندوقك .

مز هشابى : فهمت ، تعنى أن زواجك كان كالثقاب المأمون .

ماتزىنى : يا له من تخريج ماهر للتعبير الذى استعملته ! لم  
أكن لأفكر فى هذه الصياغة أبدا .

( تدخل ايلى من الحديقة دون أن يبدو عليها  
أى اثر للسعادة )

مز هشابى : ( تتف ) أوه ، ها قد جاءت ايلى أخيرا ( تسير  
لتقف خلف الأريكة ) .

**ايلى** : ( على غتبة الباب الأيمن ) أخبرتنى جينيس أنك  
تريدينى أنت وأبى .

**مسز هشابى** : لقد تركنا نتنظر طويلا حتى كدنا — حسن ،  
لا عليك ، ان أبالك رجل رائع جدا ( تعبت بشعره  
فى مودة ) انه الرجل الوحيد فى حياتى الذى قاوم  
اغرائى عندما تحببت اليه ( تتجه الى الكرسى  
الكبير وتقف على يسار ما تجان ) تعالى ، هنا  
شئ أريد أن أريك اياه ( تتقدم ايلي فى فتور  
الى الجانب الثانى من الكرسى ) انظرى .

**ايلى** : ( تتأمل مانجان دون اهتمام ) أعرف ، انه نائم  
ولا شئ غير ذلك ، لقد كنا تبادل الحديث بعد  
العشاء فنام أثناء حديثنا .

**مسز هشابى** : أنت فعلتها يا ايلي ، أنت نومته .

**ماتزىنى** : ( ينهض مسرعا ويقف خلف الكرسى ) أوه ،  
أرجو ألا يكون هذا صحيحا ، أفعلت هذا  
يا ايلي ؟

**ايلى** : ( فى تعب ) لقد طلب منى أن أنومه .

**ماتزىنى** : لكن فى ذلك خطورة ، أنت تعلمين ما حدث لى .

**ايلي** : ( بلا مبالاة ) أوه ، أظننى أستطيع ايقاظه ، فان لم أستطع فغيرى يستطيع .

**مسز هساباى** : لا يهم على أى حال ، فقد استطعت اقناع أبيك أخيرا بأنك لا تريدن الزواج منه .

**ايلي** : ( تخرج فجأة من حالة الجمود وتقول بغضب شديد ) ولكن لماذا فعلت ذلك ياهزيون ؟ انى أريد أن أتزوجه ، وقد عزمت عزمًا أكيدا على ذلك .

**ماتريشى** : أنت على يقين من ذلك يا ايلي ؟ لقد جعلتنى مسز هساباى أحس وكأننى تصرفت فى الأمر بأنانية ودون مراعاة لك .

**ايلي** : ( فى وضوح وحزم تامين ) أبى ، اذا تطوعت مسز هساباى وأخبرتكم بما أفكر فيه وما لا أفكر فيه فسد أذنيك عما تقول وأغمض عينيك أيضا ، فان هزيون لا تعرف عنى شيئا ، وليست لديها أدنى فكرة عنى أكون ، ولن تعرفنى أبدا ، وانى لأعدك ألا أفعل شيئا لا أريد أن أفعله ولا أنوى أن أفعله من أجل مصلحتى الشخصية .

**ماتريشى** : أنت واثقة ؟ واثقة تماما ؟

**ايلى** : واثقة تماما ، تماما ، اخرج أنت الآن واتركنى  
لأحداث مسز هشاباى .

**ماترينى** : ولكنى أحب أن أسمع ما تقولان ، فهل يضايقكما  
ذلك ؟

**ايلى** : ( فى عناد ) أفضل أن أحادثها على انفراد .

**ماترينى** : ( فى محبة ) أوه ، حسن ، أنا أعلم كيف يكون  
الآباء ثقلاء يا عزيزتى ، سأكون مطيعا وأخرج

( يذهب الى باب الحديقة ) على فكرة ، هل  
تذكرين عنوان ذلك المحترف الذى أيقظنى ؟

ألا ترين من الخير أن أرسل برقية لاستدعائه ؟

**مسز هشاباى** : ( تتجه الى الأريكة ) لقد تأخر الوقت لارسال  
برقية الليلة .

**ماترينى** : أقلن ذلك ، وانى لأتسنى أن يستيقظ أثناء  
الليل ( يخرج الى الحديقة ) .

**ايلى** : ( فى اللحظة التى يخرج فيها والدها من الحجرة

تلقت الى هزيون بعنف ) بحق الشيطان

ياهزيون ، ماذا تعنين بتلك اللديسة التى قلتها

لأبى عن مانجان ؟

**مسز هشاباى** : ( تفقد أعصابها بسرعة ) لا تحاولى أن تحدثنينى

بهذه الطريقة أيتها الطفلة القليلة الحياء ، تذكرى  
أنتك فى بيتى .

ايلى : هراء ! لماذا تتدخلين فيما لا يعينك ؟ وماذا يهمك  
ان كنت أتزوج مانجان أو لا أتزوجه ؟

مزه شبابى : أظن ان أنتك تستطيعين تخوفى أيتها البائسة  
الصغيرة المعامرة فى الزواج ؟

ايلى : كل امرأة فقيرة مغامرة فى الزواج . من السهل  
عليك أن تتكلمى ، فأنت لم تعرفى قط كيف  
تكون الحاجة الى المال ، كما أنتك تستطيعين  
التقاط الرجال كما تقطنين الزهور ، أما أنا فقيرة  
ومحترمة —

مزه شبابى : ( مقاطعة ) هو و ! محترمة ! كيف اذن التقطت  
مانجان ؟ كيف التقطت زوجى ؟ ومع ذلك تجدين  
الجرأة لتصفينى بأنى — أنى — أنى —

ايلى : جنيه ، هكذا أنت ، لقد ولدت لتشيرى الى  
الرجال باصبعك فيتبعوك ، ولو لم تكونى كذلك  
لربما انتظرنى ماركوس .

مزه شبابى : ( يذهب عنها الغضب فجأة وتكاد تضحك ) أوه ،  
يا حبيبتى المسكينة ايلى ، يا صغيرتى ، يا حبيبتى

البائسة . انى آسفة جدا لموضوع هكتور ،  
ولكن ماذا بوسعى أن أعمل ؟ ليس لى ذنب  
ولو استطعت لتنازلت لك عنه .

ايلى : أنا لا ألومك على ذلك .

مزرهشابهى : يا لى من قاسية اذ تشاجر معك وأشتمك ! هيا ،  
قبائنى وقولى انك لست غاضبة منى .

ايلى : (بفظاظة) لا تثرثرى وتكونى عاطفية ، ألا ترين  
أنتى سأجن ان لم تكن صلبة ، صلبة كالحديد ،  
أما سبابك فأنا لا أهتم به تفل اهتمام ، أتحيين  
ان امرأذ فى موقفى هذا تحس بكلمات قليلة  
قاسية ؟

مزرهشابهى : يا للشابة المسكينة ! يا للموقف البائس !

ايلى : أفلنك تحسبين نفسك رقيقة وعطوفا . ما أنت  
الا حمقاء غيبة أنانية ، تريننى أتلقى ضربة على  
وجهى تقتل جزءا كاملا من حياتى ، الجزء الأحسن  
الذى لا يمكن تعويضه ، فتحيين أنك تستطيعين  
مساعدتى بقليل من التدليل والقبل ، وبينما أحتاج  
الى كل قوة يمكننى أن أجد لها لأستند اليها  
— قوة حديدية أو صخرية ، دون أن أهتم بمدى

قوتها - أراك تصبحين كالعجينة الرخوة  
وتتباكين بجانبى . أنا لست غاضبة ولا متحاملة  
عليك ، ولكن بالله عليك تماسكى ، ولا تظنى  
لأنك تعيشين فى نعمة منذ نشأت أن النساء اللائى  
يعشن فى جحيم يمكن أن يتناولن المسائل ببساطة  
كما تفعلين .

مزم مشابهى : ( تهز كتيها ) حسن جدا ( تجلس على الأريكة  
فى مكانها السابق ) ولكنى أحذرك أنتى ان لم  
أكن ملاطفة مقبلة أو ضاحكة فانى لا أدرى كم  
أستطيع تحمل الحياة فى هذه الدنيا الملعونة  
القاسية . لقد اعترضت على لآنى جنية ، حسن ،  
لن أكون جنية ، وقد أردت أن تريحى صدرك  
الجريح على حجر ملاحونة ، حسن ( تطوى  
ذراعيها ) هاك حجر الطاحونة .

ايلى : ( تجلس الى جانبها وقد هدأت ورضيت ) هذا  
أفضل ، ان لديك الموهبة التى تجعلك تسارين  
كل انسان فى حالاته ، ولكنك غير فاهمة ، لأنك  
لست من ذلك النوع من النساء اللائى ليس  
لهن الا رجل واحد وفرصة واحدة .

مز هشابى : لن أفهم أبدا كيف يكون زواجك من هذا الشيء  
( تشير الى مانجان ) فيه عزاء عن عدم قدرتك  
على الزواج من هكتور .

ايلى : لعلك لا تفهمين السبب فى أنى تحولت من الفتاة  
اللطيفة التى كنتها هذا الصباح الى مخلوقة  
ليست بالفتاة وليست بالتأكيد لطيفة .

مز هشابى : أود ، بل انى أفهم ، فما ذلك الا لأنك قررت أن  
تقومى بعمل حقير شرير .

ايلى : لا أعلن ذلك ياهزيون ، انما أنا أريد أن أنقذ  
ما أستطيع انقاذه من أطلال بيتى المتهدم .

مز هشابى : ستغليين على هذه العدمة . ان بينك لم يتهدم .

ايلى : طبعا سأغلب عليها ، فما أعلنك تحسبين أنى  
سأزوى حتى أموت محطمة القلب ، أو أصبح  
عائسا تمش على اعانة من جمعية رعاية المرضى  
والمحتاجين ، ولكنى مع ذلك محطمة القلب .

أعنى بهذا أنى أعلم أن ما حدث لى مع ماركوس  
لن يتكرر أبدا ، فان الرجال فى دنياى ينقسمون  
الى ماركوس وغيره من الرجال الذين يتشابهون  
حتى لا فرق بين الواحد والآخر . والآن ما دمت

لا أستطيع الحصول على الحب فلا معنى لأن  
أعيش في فقر ، وإذا كان مانجان لا يملك سوى  
المال فهذا يكفي .

مز هشابي : ألا يوجد شبان عندهم مال ؟

أيلي : ليسوا في متناول يدي . ثم ان الشاب له الحق  
في أن ينتظر الحب من جانبي ، فإذا وجد أنني  
لا أستطيع منحه اياه فقد يتركني ، وأنت تعلمين  
أن الشبان الأغنياء يستطيعون التخلص من  
زوجاتهم دون كبير نفقة ، ولكن هذا « الشيء »  
كما سميت له لن ينتظر مني أكثر مما أقدمه له .

مز هشابي : تذكرى أنه سيكون مالكك ، وإذا اشترى  
فسيجعل الصفقة رابحة له لا لك ، أسألي أباك .

أيلي : ( تنهض وتسير متمهلة الى الكرسي مفكرة في  
الموضوع ) لا تشغلى بالك بهذا يا هزيون ، فان  
ما سأعطيه للرئيس مانجان أكثر مما سيعطيني ،  
انه أنا التي تشتريه ، وبشمن غال أيضا كما أفن .  
ان النساء خير من الرجال في هذا النوع من  
الصفقات . لقد درست أخلاق الرجل ، وان  
عشرة من أمثال الرئيس مانجان لن يستطيعوا أن

يمنعوني من أن أفعل ما أشاء وأنا زوجته ككر  
 مما كنت أفعل وأنا فناة فقيره . ( تنحني على  
 الجسد المستلقى على الكرسي ) أ يستطيعون أيها  
 الرئيس ؟ لا أظن ( تنجه الى منضدة الرسم  
 وتنحني على حافتها مواجهة النافذة ) على أي  
 حال لن أقضى معظم وقتي أتساءل متى تتمرق  
 قفازاتي .

مسز هشابى : ( تنهض في جلال ) ايلي ، انك حيوان صغير دنيء  
 شرير ، وأنا التي كنت قد بدأت فعلا أتنازل  
 وأغرى هذا المخلوق لأتقذك منه ! حسن ، دعيني  
 أخبرك أنك اذا نفذت هذه الزيجة الكريهة فلن  
 ترى هكتور أبدا ما دام في استطاعتي ذلك .

ايلي : ( دون أن تتأثر ) لقد أوقفت مانجان بقولي انه  
 لن يراك اذا لم يتزوجني ( ترفع نفسها معتمدة  
 على معصيتها وتجلس على حافة المنضدة ) .

مسز هشابى : ( مجفلة ) آوه !

ايلي : وهكذا ترين أنني مستعدة اذا لعبت بهذه الورقة  
 ضدي . حسن ، تستطيعين أن تجربتي ، وهذا  
 كل ما في الأمر . لقد كان من الممكن أن أجعل

من ماركوس رجلا لا حيوانا منزليا مدللا .

مز هشابى : ( ثائرة ) أتجرؤين !

أبلى : ( تبدو على جانب كبير من الخطورة ) دعيه يفكر

فى ان كنت تجرؤين .

مز هشابى : حسن ، أنت أوقح شيطانة صغيرة قابلتها ! يقول

هكتور ان هناك وقتا يكون الرد الوحيد نيه

على من يتجاوز حدوده أن تصرعه بضربة ، فما

رأيك فى أن ألكمك على أذنيك ؟

أبلى : ( هادئة ) اذن أشد شعرك .

مز هشابى : ( فى خيث ) لن يؤلمنى ذلك ، فلملنى أخلمه

فى الليل .

أبلى : ( تملؤها الدهشة حتى انها تنزل من على المنضدة

وتسرع نحوها ) أوه ، هزيون ، انك لا تعنين

بذلك أن شعرك الأسود الجميل مستعار ؟

مز هشابى : ( تربت عليه ) لا تخبرى هكتور ، فهو يعتقد

أنه حقيقى .

أبلى : ( تنن ) أود ، حتى الشعر الذى أوقعه فى الشرك

زائف ! كل شىء زائف !

مز هشابى : شديده وجربى ، تستطيع غيرى من النساء أن

يوقعن الرجال في أشراك شعورهن ، أما أنا  
فأستطيع أن أمرجح طفلا على شعري ، آها !  
انك لا تستطيعين ذلك يا ذات الشعر الذهبي .

**ايلى** : ( محطمة القلب ) كلا ، فقد سلبتني أطفالي .

**مزر هشابى** : لا تحملينى على البكاء يا صغيرتى ، أتعلمين أنك  
كنت على شىء من الصدق في قولك اننى جعلت  
منه حيوانا منزليا مدللا ؟ لعله كان عليه أن  
ينتظرك ، أتجدين امرأة أخرى في العالم  
تسامحك ؟

**ايلى** : أوه ، بأى حق تحتكرينه لنفسك ( تتمالك

نفسها ) ثم انك لا حيلة لك في الأمر ، لا حيلة  
لاحدانا ، بل لا حيلة له أيضا ، كفى ، لا تقولى  
كلمة أخرى فلن أحتمل أكثر من ذلك ، فلنوقظ  
هذا الشىء ( تبدأ في المسح على رأس مانجان  
بعكس الحركة التى نومته بها ) استيقظ ،  
أسمعنى ؟ عليك أن تستيقظ على الفور ،  
استيقظ ، استيقظ ، استيقظ ..

**مانجان** : ( يقفز من المتعد في غضب شديد ويلتفت اليهما )

استيقظ ! اذن فقد كنت تحسبىنى نائما ، أليس

كذلك ؟ ( يضرب الكرسي برجله بقوة ليزيحه من  
 طريقه ويقف بينهما ) لقد ألقيت بي في غيبوبة لم  
 أستطع معها أن أحرك ساقا أو يدا — وكان من  
 الممكن أن أدفن حيا ! ولكن الحمد لله اذ لم  
 يحدث ذلك — وتظنين أننى كنت نائما فقط .  
 لو تركتمونى أسقط فى المرتين اللتين قلبتمونى  
 فيهما لكسر أنفى لاصطدامه بالأرض ، ولظل  
 مكسورا طول عمرى . ولكنى مع ذلك عرفتكم  
 جميعا على حقيقتكم . عرفت بين أى نوع من  
 الناس أنا الآن . لقد سمعت كل كلمة قلتها ، أنت  
 وأبوك الغالى ، ( لمز هشاباى ) وأنت أيضا ،  
 اذن فأنأ شئ ، أليس كذلك ؟ وأنا ابله لا أعرف  
 كيف أطعم نفسى الطعام الملائم ، أليس كذلك ؟  
 وأنا أخاف الرجال الذين لولا ما أعطيهم من  
 أجور لماتوا جوعا ، أليس كذلك ؟ وأنا لست  
 الا بخيلا عجوزا مقززا حتى أكون لعبة فى أيدي  
 نساء متأمرات ومدبرين حمقى فى شركاتى ،  
 أليس كذلك ؟ أنا ..

مز هشاباى : ( فى كياسة ) هس ش ش ! ان الشرف يحتم

عليك يا مستر مانجان أن تمحو من ذهنك كل ما سمعته وأنت متظاهر بالنوم ، فلم يكن المقصود أن تسمعه .

**مانجان :** متظاهر بالنوم ! أنظنين أني لو كنت متظاهرا بالنوم فقط لرضيت أن أبقى ممددا هكذا بلا حول لأسمع كل ما قيل عني من ظلم وأكاذيب وجور ومؤامرات وغيبة وافتراء بينما أستطيع أن أقوم لأقول لكم رأيي فيكم ! اني لأعجب كيف لم أنفجر .

**مسز هشابى :** ( بعدوبة ) لقد رأيت كل ذلك في الحلم يا مستر مانجان ، كل ما قلناه أنك تبدو وأنت نائم جميلا في هدوئك ، وهذا كل ما في الأمر ، أليس كذلك يا ايلى ؟ صدقتي يا مستر مانجان أن كل هذه الأشياء المزعجة انما مرت بذهنك في نصف الثانية الأخيرة التي سبقت يقظتك ، لقد مسحت ايلى على شعرك في اتجاه خاطيء فجلب هذا الاحساس الكريه ذلك الحلم الكريه .

**مانجان :** ( في عناد ) اني أومن بالأحلام .

مسز هشاباي : وأنا كذلك ، ولكنها تتحقق تحققا عكسيا ، أليس كذلك ؟

**مانجان** : ( تنفجر عواطفه الدفينة فجأة ) لن أنسى لأول حياتي أنك كنت تهزأين بي عندما أريتني عين الرضى فى الحديقة . لقد كان ذلك عملا دينيا قدرا منك . لم يكن من حقاك أن تدعيني أتقرب اليك ما دمت تنفرين منى ، ليس خطئى أنتى رجل عجوز ليس لى شارب كالكسمعدان البرونزى مثل زوجك . هناك أشياء لا يصح للسيدة المحترمة أن تفعلها مع الرجل ، تماما كما لا يصح للرجل أن ترتطم يده بصدر امرأت

( تجلس هزبون على الأريكة فى خجل تام وتغطى وجهها بكفيها ، فى حين يجلس مانجان على كرسيه ويبكى كالأطفال . تحدى ايلى فيه ، وتنزل مسز هشاباي كفيها عن وجهها ، وتنظر اليه عندما تسمع صوت بكائه الشديد ثم تنهض وتجرى نحوه )

مسز هشاباي : لا تبك ، انى لا أحتمل ذلك . هل حطمت قلبك ؟  
لم أكن أعلم أن لك قلبا ، وأتى لى أن أعلم ؟  
**مانجان** : انى رجل ، أليس كذلك ؟

مز هشابى : ( فى رقة بين السخرية والملاطفة ) أوه ، كلا ،  
لست من أستطيع أن أسميه رجلا ، لست فى  
نظري الا رئيسا ولا شئ غير ذلك ، وما حاجة  
الرئيس الى القلب ؟

مانجان : أنت اذن لا بتأسفين ولا تخجلين مثقال ذرة لما  
فعلت ؟

مز هشابى : لقد خجلت لأول مرة فى حياتي عندما قلت ما قلت  
عن ارتطام يد الرجل بصدر المرأة ، وجعلنى ذلك  
أكتشف ما فعلت ، ان عظامى نفسها احمرت  
خجلا ، وبذلك تكون قد انتقمت أيها الرئيس ،  
ألا يكفيك هذا ؟

مانجان : هذا ما تستحقينه ! أسمعين ؟ هذا ما تستحقينه !  
لست الا قاسية ، قاسية !

مز هشابى : نعم ، ان القسوة تكون لذيدة لو أن الانسان  
وجد منها نوعا لا يؤذى . على فكرة ( تجلس  
الى جواره على ذراع الكرسى ) ما اسمك ؟  
لا يمكن أن يكون الرئيس ، أليس كذلك ؟

مانجان : ( بايجاز ) ان أردت أن تعرفى فاسمى ألفريد .

مز هشابى : ( تقفز واقفة ) أفريد !! ايلى ، لقد سموه باسم  
تيسون !!

مانجان : ( ينهض ) بل سميت باسم عمى الذى لم يعطى  
نسبا واحدا فى حياته ، عليه اللعنة ! وماذا فى  
ذلك ؟

مز هشابى : لقد اكتشفت فجأة أنك انسان حقيقى ، وكانت  
لك أم كبقية الناس ( تضع يديها على كفيه وهي  
تفحصه بنظرها ) يا آلف الصغير !

مانجان : حسنا ، ان لك لأعضابا .

مز هشابى : وان لك قلبا يا ألقى ، قلبا صغيرا دائم الشكوى ،  
ولكنه قلب حقيقى . ( تتركه فجأة ) والآن اذهب  
وصالح ايلى ، فقد وجدت وقتا أكثر منى لتفكر  
فيما تقوله لك . ( تخرج مسرعة من الباب  
الأسير الى الحديقة ) .

مانجان : لهذه المرأة يدان يحس بهما الانسان تتغلغلان فى  
أعماقه .

ايلى : أما زلت تحبها على الرغم من كل ما قلناه عنك ؟

مانجان : هل كل النساء مثلكما ؟ لا يفكرن الا فيما يمكن  
أن يحصلن عليه من الرجل ؟ وحتى هذا لم يكن

ما تفكرين فيه بالنسبة لى ، وكل ما كنت تفكرين فيه هو متى تتمزق قفازاتك .

**إيلي :** لن أكون مضطرة الى التفكير فى ذلك بمد زواجنا .

**مانجان :** وتظنين أنى سأتزوجك بعد كل ما سمعت !

**إيلي :** انك لم تسمع منى جديدا لم أقله لك من قبل .

**مانجان :** لملك تظنين أنى لن أستطيع الحياة بدونك .

**إيلي :** أظن أنك ستشعر بالوحشة بدوننا جميعا ، بعد أن عرفتنا الآن معرفة وثيقة .

**مانجان :** ( بما يشبه صرخة اليأس ) ألا تكون لى الكلمة الأخيرة أبدا ؟

**الفيضان شتور :** ( يظهر عند باب الحديقة الأيمن ) هنا روح تتعذب ، ماذا حدث ؟

**مانجان :** هذه الفتاة لا تريد أن تقضى عمرها تتساءل متى تتمزق قفازاتها .

**الفيضان شتور :** ( مارا بهما ) لا داعى للبسها ، أنا لا ألبسها أبدا ( يدخل الى الكيلار ) .

**ليدى أتروود :** ( تظهر عند الباب الأيسر المؤدى الى الحديقة فى ثوب سهرة رائع ) ماذا حدث ؟

**أبلى** : هذا السيد يريد أن يعرف ألا تكون له الكلمة الأخيرة أبدا ؟

**ليدى أترودد** : ( تتقدم نحو الأريكة ) لو كنت مكانك لتركتها له يا عزيزتى ، فليس المهم أن تكون لك الكلمة الأخيرة ، انما المهم أن تفعل ما تريدين .

**مانجان** : انها تريد الأمرين معا .  
**ليدى أترودد** : لن يكون لها ذلك أبدا يا مستر مانجان ، فالكلمة الأخيرة دائما لله .

**مانجان** : ( فى يأس ) والآن تريدون أن تتغلبوا علىّ بالدين ، ان عقل الرجل يصبح فى هذا المنزل ككرة القدم ، أنا ذاهب ( يتجه الى الصالة ولكنه يتوقف عندما يسمع صيحة القبطان الذى خرج توا من الكيلار ) .

**القبطان شتور** : الى أين تخرج أيها الرئيس مانجان ؟

**مانجان** : الى الجحيم بعيدا عن هذا المنزل ، وليكن فى ذلك الكفاية لك ولكل من هو موجود هنا .

**القبطان شتور** : لقد قدمت على الرحب والسعة وأنت حر فى الرحيل ، فالأرض الواسعة والمحيطات الشاسعة

والسماوات الفسحة كلها في انتظارك خارج  
البيت .

**ليدى أتروود :** ولكن حاجاتك يا مستر مانجان ، حقيبتك  
ومشطك وفرشاةك وبيجاماتك ..

**هكتور :** ( الذى يظهر فى هذه اللحظة فى الباب الأيسر فى  
ملابس عربية جميلة ) ما الذى يضطر العبد  
الهارب الى أخذ أغلاله معه ؟

**مانجان :** معك حنى ياهاشبابى ، احفظلى بالبيجامات  
ياسيدتى ، لعلها تنفعاك .

**هكتور :** ( ينقدم الى يسار ليدى أتروود ) هيا نخرج  
جميعا الى ظلام الليل تاركين كل شىء وراءنا .

**مانجان :** بل ابقوا جميعا حيث أنتم . لست أريد صحبة ،  
وبخاصة من النساء .

**ايلي :** اتركوه يذهب فهو غير سعيد هنا . انه غاضب  
منا .

**العبان شتوفر :** اذهب إليها الرئيس مانجان ، وعندما تجد الأرض  
السعيدة الخالية من النساء فأرسل الى موقعها  
من خطوط الطول والعرض لألحق بك هناك .

**ليدى أتروود :** لا شك أنك لن تكون مرتاحا بدون أمتعتك  
يا متر مانجان .

**ايلي :** ( بصبر نافذ ) اذهب ، اذهب ، لماذا لا ترحل ؟  
انها ليلة رائعة . يمكنك أن تنام على العشب .  
سنجد معظمى الواقى من المطر معلقا فى البهو ،  
خذه لترقد عليه .

**هكتور :** سيكون الافطار معدا فى التاسعة الا اذا كنت  
تفضل تناوله مع القبطان فى السادسة .  
**ايلي :** طاب مساؤك يا ألفريد .

**هكتور :** ألفريد ! ( يجرى عائدا الى الباب وينادى من  
فى الحديقة ) راندل ، اسم مانجان الاول ألفريد .  
**راندل :** ( يظهر عند الباب الايمن فى ملابس السهرة ) اذن  
فقد كسبت هزيون الرهان .

( تظير مسز هشاباى عند الباب الايسر  
فتلقى بذراعها اليسرى حول رقبة هكتور  
وتجذبه معها خلف الارىكة وتلقى بذراعها  
اليمنى حول رقبة ليدى أتروود )

**مسز هشاباى :** ما كانوا ليصدقونى يا آلف .

**مانجان** : هل بقي أحد منكم لم يأت بعد لينظر الى ، كأنى  
أحدث شيء فى سيرك ؛

مز هشامى : انك أحدث شيء فى هذا السيرك .

( قبل أن يستطيع مانجان الرد يسمع من  
الطابق العلوى صوت سقوط بعض الأثاث  
تبعه طلقة مسدس وصرخة ألم . فينمرق  
الجمع المحمق فى مانجان فى فرع )

**حاترني** : ( من أعلى ) النجدة ! اللص ! النجدة !

**هكتور** : ( تتأجج غيناه ) لص !!!

مز هشامى : كلا يا هكتور ، سوف يطلق عليك الرصاص  
( ولكنها تقول ذلك متأخرة اذ يكون هكتور قد  
اندفع عبر مانجان الذى يسرع بالاتجاه نحو  
رفوف الكتب مخلبا الطريق ) .

**القبطان شتور** : ( ينفخ فى صفارته ) كل الرجال يصعدون الى  
السطح ( يتبع هكتور فى خطوات واسعة ) .

**ليدى اتروود** : ماساتى ! ( تتبع القبطان ) .

**رانغل** : ( يندفع خلفها ) كلا يا أريادن ، دعيني أذهب أنا .

**ايلى** : أوه ، هل أصيب أبى ؟ ( تجرى الى الخارج ) .

مز هشامى : أنت خائف يا آلف ؟

**مانجان** : كلا ؛ فهو ليس منزلي والحمد لله .  
**مسز هشابى** : إذا قبضوا على لص نضطر للذهاب الى المحكمة  
كشهود لتكون عريضة لمختلف الأسئلة عن حياتنا  
الخاصة ؟

**مانجان** : اذا قلت الحق فلن يصدقك أحد .  
( يدخل ماتزىنى من البهو فى اصطراب  
شديد وقد أمسك فى يده مسدس مبارزة  
ويوجه الى منصدة الرسم )

**ماتزىنى** : أود يا عزيزتى مسز هشاباى ، لقد كدت أقتله  
( يلتقى بالمسدس على المنضدة ويدور حولها  
مترنحا ليتجه الى الكرسي ) أرجو ألا تظنوا أنني  
قصدت ذلك .

( يعود هكسور وهو يدمع أمامه رجلا عجوزا  
يبدو عليه الاجرام ، وقد أمسكه من ياقة  
سرقة • يزرعه وسط الحجرة ويرفع يده  
عنه • تدخل خلفهما ايلي التى تجرى فى  
الحال عبر الحجرة الى الكرسي الذى يجلس  
عليه والدما فتقف خلفه وهى تربت على  
كتفيه )

**واتنل** : ( يدخل وفى يده عمود من الحديد مما يستعمل

في تحريك النار في المدفأة ) راقب هذا الباب  
يا مانجان ، وسأراقب أنا الآخر .

( يذهب الى الباب الأيمن لبحرسة ٠ )  
( تدخل ليدى أتوود بعد راندل وتقف بين  
ميسز هشاباي ومانجان ٠ )  
( تأتي المربية جنيس في النهاية وتقف  
قرب الباب عن يسار مانجان )

مز هشاباي : ماذا حدث ؟

ماتزيني : أخبرتني خادمك أن شخصا ما في الطابق  
العلوى ، وأعطتني مسدسا كان مستر هشاباي  
يترن به ، فظننت أن المسدس سيخيفه . ولكن  
الرصاصة انطلقت بعد لمسة بسيطة .

اللس : نعم ، فساخنت جلد أذني ، وكادت تطير يا فوخي ،  
لماذا لا تتخذ مسدسا مضبوطا بدلا من هذا  
الشيء الذي تخرج رصاصاته كلما تفخت فيه ؟  
هكتور : انه أحدث مسدسات المبارزة التي أمتلكها .  
آسف .

ماتزيني : فرغ يديه الى أعلى وقال : من العدل أن يقبض  
على .

اللس : وهذا حق ، استدعوا الشرطة .

هكتور : لا والله ! لم نكن عادلين في القبض عليه . لقد  
كنا أربعة لواحد .

مسز هشباى : وماذا سيفعلون به ؟

اللى : عشر سنوات تبدأ بالحبس الانفرادى ، عشر  
سنوات من عمرى . لن أستطيع أن أتمها وأنا  
في هذه السن الكبيرة ، سأموت قبل أن تنتهى .

ليدى اتروود : كان يجب أن تفكر في ذلك قبل أن تسرق ماساتى .

اللى : حسنا ، لقد استعدتها ياسيدتى ، أليس كذلك ؟

ولكن هل تستطيعين أن تعيدى الى سنوات  
عمرى التى ستأخذينها ؟

مسز هشباى : 'وه ، لا يمكننا أن ندفن رجلا بالحياة مدة عشر  
سنوات من أجل ماسات قليلة .

اللى : عشر ماسات صغيرة لامعة ! وعشر سنوات طويلة  
سوداء !

ليدى اتروود : ألا تفكر فيما سيحدث لنا عندما نقاسى أهوال  
محاكم الجنايات ونشر تفاصيل حياتنا الخاصة  
في الصحف ؟! لو كنت من أهالى المستعمرات  
لرضيت أن يأمر هيستنجز بضربك ضربا مبرحا

ثم يطلق سراحك . ولكن هنا في انجلترا لا يجد  
أى انسان محترم حماية كافية .

: انى كبر سنا من أن أضرب ياسيدتى ، فترسلوا  
فى طلب الشرطة ولننه ، ومن الحق والعدل أن  
تفعلوا .

اللى

: ( وقد حفف من مراقبته عندما لاحظ ما عليه  
اللى من ميل الى الهدوء ، يتقدم وهو يلعب  
بالعصا الحديدية بين أصابعه كأنها مظلة محكمة  
الربط ) ليس من الحق ولا من العدل أن نضطر  
الى كثر من المضايقات لترضى حماسك الخلقية  
يا صديقى . خبر لك أن تتعرف ما دامت الفرصة  
سائحة .

رائد

: ( فى عناد ) كلا . يجب أن أرفع هذه الخطيئة عن  
ضيرى . لقد جاءتنى هذه الفكرة كدعوة من  
السماء ، فدعونى أضى بقية حياتى نادما فى  
الزنازة لأكسر عن خطيئتى وألقى ثوابى فى  
الحياة الآخرة .

اللى

: ( فى سخط ) حتى اللصوص لا يمكنهم أن  
يتصرفوا تصرفات طبيعية فى هذا المنزل .

مايجان

هكتور : يا سيدى العزيز ، عليك أن تعمل لخلاص نفسك  
على حساب غيرنا ، فلن يتهمك أحد منا .

اللىص : أوه ، لن تتهمونى ، أليس كذلك ؟

هكتور : نعم ، وانى آسف لعدم استطاعتى أن أستبقيك  
كما يقضى كرم الضيافة ، ولكن هل تسمح  
بمغادرة المنزل ؟

اللىص : حسن ، سأذهب الى مركز الشرطة وأسلم نفسى .  
( يذهب فى تصميم نحو الباب ولكن هكتور  
يوقفه )

هكتور : أوه ، كلا ، يجب ألا تفعل ذلك .

رائدل : كلا ، كلا ، انصرف يا رجل ولا تكن غبيا ،  
ألا تستطيع الانصراف ؟

مزنهناى : ما هذه الحماقة ؟ ألا تستطيع أن تتوب فى بيتك؟  
ليدى أتروود : عليك أن تطيع الأمر .

اللىص : انه تستر على جريمة كما تعلمون .

مزنهناى : يا له من أمر مضحك حقا ، أحتم علينا أن تقدم  
هذا الرجل للمحاكمة رغم ارادتنا ؟

اللىص : وأنا ؟ أيجب على أن أحرم من خلاص روحى  
لأجنبكم مشقة تضييع يوم فى المحكمة ؟ أهذه

عدالة ؟ أهذا حق ؟ أهو انصاف لى ؟

**ماترينى** : ( ينهض وينحنى على المنضدة متكلماً بلهجة  
مفنعة كأنما يستند على منبر وعظ أو منضدة  
دكان ) كفى ، كفى ! دعنى أرشدك كيف تحول  
جرائمك الى جنات . لماذا لا تشتغل حدادا ؟  
أنت ولا شك تعرف عن الأفعال أكثر مما يعرف  
معظم الشرفاء .

**اللى** : هذا صحيح يا سيدى ، ولكنى لا أستطيع أن  
أبدأ العمل كحداد ببلغ أقل من عشرين جنيها .

**راندل** : حسنا ، من السهل عليك أن تسرق عشرين جنيها ،  
ستجدها فى أقرب مصرف .

**اللى** : ( مرتاعا ) أود ، أى فكرة يضعها سيد مهذب  
فى رأس مجرم مسكين يحاول أن يزحف خارجا  
من هوة لا قرار لها ! أود ، عار عليك ياسيدى !  
أود ، ليغفر لك الله يا سيدى ! ( يلقى بنفسه  
على الكرسي الكبير ويغطى وجهه وكأنما يصلى )

**ليدى أتروود** : حقا ياراندل !

**هكتور** : يخيل الىّ أننا سنضطر الى عمل اكتاب لهذا  
المجرم التائب فى غير أوانه .

مزر مشابى : ولكن عشرين جنيها شيء غير معقول .  
اللى : ( يرفع رأسه بسرعة ) سأضطر الى شراء كثير من  
الأدوات ياسيدتى .

ليدى أترود : كلام فارغ ، فلديك أدوات السرقة .

اللى : وماذا تجدى غتلة قصيرة ومثقب وآلة لحام  
بالأكسيجين وحزمة من الطفاشات ؟ انما احناج  
الى كير ومسبك ودكان وتركيبات ، ان العشرين  
جنيها لا تكاد تكفى .

هكتور : يا صديفى الفاضل ، نحن لا نملك عشرين جنيها .

اللى : ( وقد أصبح سيد الموقف ) يمكنكم جمعها فيما  
بينكم ، ألا تستطيعون ؟

مزر مشابى : اعطه جنيها يا هكتور ودعنا نخلص منه .

هكتور : ( يعطيه جنيها ) خذ ! ولتخرج على الفور .

اللى : ( ينهض ويأخذ النقود بغير امتنان ) لن أعدكم  
بشيء ، فان معكم ولا شك أكثر من جنيه ، أعنى  
معكم جميعا .

ليدى أترود : ( بعنف ) آوه ، فلنقدمه للمحاكمة ولننته من هذا  
الامر ، أفلن أن لى ضميرا أنا أيضا ، ولست

واقفة مطلقا أن من حقنا اطلاق سراحه ، خاصة  
وأنه أصبح طماعا وقحا .

**القصص** : ( بسرعة ) لا بأس يا سيدتي ، لا بأس ، فأنا  
لا أريد أن أسيئكم مطلقا . طاب مساؤكم  
سداتي وسادتي : وأشكركم من أعماق قلبي .  
( بينما هو مسرع بالخروج يواجه القبطان  
شتوثر ) .

**القبطان شتوثر** : ( يوقف اللص بنظرة نافذة ) ما هذا ؟ أتتما  
اثنان ؟

**القصص** : ( يخر على ركبته أمام القبطان في ذعر ذليل )  
أوه يا الهي ! ماذا فعلت ؟ لا تقل ان هذا البيت  
الذي سطوت عليه هو بيتك يا قبطان شتوثر .  
( يقبض عليه القبطان من ياقته ويرفعه حتى  
يقف ثم يدفعه الى أن يصل الى وسط المجموعة  
فضطر هكتور الى التراجع حتى يقف الى  
جوار زوحنه ليقسح طريقا لهما )

**القبطان شتوثر** : ( يدفعه حتى يواجه ايلبي ) أهذه ابنتك ( يخلي  
سبيله ) .

**القصص** : وكيف أنعم يا قبطان ؟ فأنت تعرف الحياة التي  
عشناها أنت وأنا ، ويمكنك أن تقول ان أية

فتاة في هذا العمر في جميع أنحاء العالم قد تكون  
ابنتي .

**القبطان شتوفر :** ( ماتزيني ) لست أنت ييلي دن ، هذا هو ييلي  
دن ، فلماذا خدعتني ؟

**اللي :** ( يخاطب ماتزيني في سخط ) هل ادعيت أنك  
أنا ؟ وأنت الذي كدت تطير رأسي ؟ كأنك كنت  
تطلق الرصاص على نفسك اذن !

**ماتزيني :** يا عزيزي القبطان شتوفر ، منذ جئت الى هذا  
البيت لم أكد أفعل شيئا سوى أن أؤكد لك أنني  
لست مستر وليم دن ، بل ماتزيني دن ، أي  
شخصا آخر يختلف عن الأول كل الاختلاف .

**اللي :** انه ليس من الفرع الذي تنتمي اليه يا قبطان ،  
فلا أسرة فرعان ، آل دن المفكرون ، وآل دن  
السكريرين ، وكل فرع سار في طريقه ، أنا من  
فرع السكريرين ، وهو من فرع المفكرين ، ولكن  
ذلك لا يعطيه أي حق في اطلاق الرصاص عليّ .

**القبطان شتوفر :** اذن فقد تحولت الى لص ، أليس كذلك ؟

**اللي :** كلا يا قبطان ، ما كنت لألوث مهنتنا البحرية  
القديمة بمثل هذا ، كلا ، أنا لست لصا .

ليدى انروود : وماذا كنت تفعل بماساتي ؟

الريه جينيس : لماذا اقتحمت البيت ان لم تكن لصا ؟

واندل : أخطأت البيت وحسبته بيتك فدخلت من النافذة الخفا ، أليس كذلك ؟

اللص : حسنا ، لا فائدة من الكذب ، اننى أستطيع خداع معظم القباطنة ، ولكنى لا أستطيع خداع القبطان شتوفر الذى باع نفسه للشيطان فى زنجبار ، والذى يستطيع أن ينكهن بمكان الماء ، ويكتشف الذهب ، ويفجر رسامة فى جييك بنظرة من عينه ، ويرى الحقيقة المخبأة فى قلب الرجل . ولكنى لست لصا .

الميطان شتوفر : رجل شريف أنت ،

اللص : لا أزعم أنى خير من اخوتى البشر ، ولا زعمت ذلك قط كما تعلم جيدا يا قبطان . ولكن ما أفعله خلال طيب . فأنا أجمع المعلومات عن المنازل التى يسكنها السراق من الناس ، فأفعل ما فعلته هنا ، أقتحم البيت وأضع فى جيى قليلا من الملاحق أو الماسات ، ثم أحدث ضجة ليقبض على ، وبعدها أجمع تبرعات منهم . وقد لا تصدق كم

يكون شاقا أن تعمل ليقبض عليك . فربما قلبت  
كل الكراسي في احدى الغرف دون أن يعيرني  
أحد انتباهها ، وفي النهاية أضطر الى الخروج  
وأترك الشغل .

رائدل : وهل تعيد الملاءق والماسات اذا ما حدث ذلك ؟  
اللعص : حسنا ، أنا لا أعاند القدر ، ان كان هذا هو  
ما تريد معرفته .

الميطان شتور : أتذكرين هذا الرجل يا جينيس ؟

الربة جينيس : أفلتني أذكره . فقد كنت زوجته ، هذا الوغد !

هزيون : { ( تصيحان سويا ) } زوجته !  
ليدى أتروود : جينيس !

اللعص : لم يكن زواجا قانونيا . فقد تزوجت عددا  
لا حصر له من النساء . لا فائدة من أن تلعبى  
هذه اللعبة على .

الميطان شتور : خذيه الى مكان الجحّارذ . ( يدفع به نحو الباب  
بقوة تفوق سنه ) .

الربة جينيس : أظنك تعنى المطبخ . لن يقبله الخدم بينهم ،  
أو تظنهم يرضون بمجالسة اللصوص ومن اليهم ؟  
الميطان شتور : لا فرق بين لصوص البر ولصوص البحر ، فكلهم

آدميون . اذهبوا كلاكما فلا أريد بحاراً في  
قمرتي .

اللس : نعم يا قبطان ( يخرج في خضوع ) .

ماتزني : أليس من خطر في تركه في المنزل هكذا ؟

الريه جيني : لماذا لم تقتله يا سيدتي ؟ لو أني عرفت من هو  
لقتله بنفسى .

( تخرج )

مز هشابي : فلنجلس جميعاً ( تجلس على الأريكة )

( يتحركون جميعاً ماعدا ايلي ، فيعود ماتزني  
الى كرسيه ، ويجلس راندل على كرسى النافذة  
قرب الباب الايمن وقد عاد يطوح العصا  
الحديدية كأنها بندول الساعة ويتأملها كما  
يمكن أن يفعل جاليليز . ويجلس هكور على  
يساره في الوسط ، ومانجان - الذي نسيه  
الجميع - في الركن الايسر ، وتشغل ليدي  
أترود الكرسي الكبير . يدخل القبطان  
شتوفر الى الكيلار وقد راح في تفكير عميق  
بينما يتبعه الجميع بانظارهم . تسعل ليدي  
أترود منعمة )

مز هشابي : اذن فيلي دن كان غرام دادة المسكينة ، كنت  
أعرف أن لها حبيبا ما .

**رائدل** : سيتأففان مشاجراتهما من جديد ، ويتمتعان  
بذلك متعة عظيمة .

**ليدى اتروود** : ( بانفعال ) لست متزوجا يا رائدل ولا تعرف  
شيئا عن الزواج ، فأمسك لسانك .

**رائدل** : يا ظالمة !

**مزمهباى** : حسنا : لقد كانت سهرة مشيرة ، وسيكون كل  
شيء بعد ذلك فاترا ، فخير لنا أن نذهب جميعا  
لننام .

**رائدل** : قد يظهر لص آخر .

**مازىنى** : أوه ، مستحيل ! أرجو ألا يحدث ذلك .

**رائدل** : ولهم لا ؛ فى انجلترا أكثر من لص واحد .

**مزمهباى** : ما رأيك يا آلف ؟

**مانجان** : ( فى حق ) أوه ، وما قيمة رأيي ؟ لقد أصبحت

منسيا ، حل اللص مكانى من اهتمامكم . أراخنى  
الى ركن وانتهى أمرى .

**مزمهباى** : ( تنفخ واقفة فى شقاوة وتذهب اليه ) أتحب أن

تنزّه على العشب يا ألفريد ؟ معى ؟

**ابلى** : اذهب يا مستر مانجان فسوف يفيدك ذلك ،

ستهدئك هزبون .

منز مشابهى : ( تتأبط ذراعه وترفعه فيقف ) هيا يا ألفريد ،  
فالليلة مقمرة : كالليل فى أوبرا يريستان وايزولد  
( تربت على ذراعه وتجره الى باب الحديقة  
الأيسر ) .

مانجان : ( يتلوى ولكنه مستسلم ) كيف تجددين الجرّة  
— كيف يطاوعك قلبك - - ( يتداعى ويسمع  
صوت بكائه وهى تسجبه الى الخارج ) .

ليدى اترود : يا له من سلوك غريب ! ماذا جرى للرجل ؟

ابلى : ( بصوت هادىء هدوءا غريبا وهى شاردة  
البحر ) ان قلبه يتحطم ، هذا كل ما فى الامر  
( يظهر القبطان عند باب الكيلار ويقف ليسمع )  
انه احساس عجيب ، ذلك النوع من الألم انذى  
يتجاوز قوى احساسنا ؛ لطفا بنا . عندما يتحطم  
قلبك تحترق سفنك ، فلا يعود لأى شىء أهمية،  
ويكون ذلك نهاية السعادة وبداية السلام .

ليدى اترود : ( تنهض فجأة فى سورة غضب بين دهشة  
الجحيع ) كيف تجرؤين !

هكتور : يا للنساوان ! ماذا حدث ؟

دانلد : ( محذرا فى همس ) تش — تش — تش !  
أبنى .

أبلى : ( فى دهشة وكبرياء ) لم أكن أخاطبك أنت  
بالذات يا ليدى أتروود ، ولست بمعتادة أن يقال  
لى كيف تجرؤين .

ليدى أتروود : بالطبع لا . يستطيع أى انسان أن يلاحظ سوء  
تربيتك .

ماتزنى : 'وه ، لا أظن ذلك ياليدى أتروود ، حقا !

ليدى أتروود : 'نا أدرك تماما معنى ما قلت ، يالها من وقاحة !  
أبلى : بالله ماذا تعنين ؟

العبطان شوهر : ( يتقدم نحو المنضدة ) تعنى أن قلبها لن ينحطم ،  
لقد ظلت طول عمرها تتشوق الى من يحطم  
قلبها ، وأصبحت أخيرا تخشى ألا يكون لها قلب  
ينحطم .

ليدى أتروود : ( تنطرح على ركبتيها وتحيطه بذراعيها ) لا تقل  
انك تظننى بلا قلب يا أبى .

العبطان شوهر : ( يرفعها فى حنان صارم ) اذا لم يكن لك قلب  
فكيف تريدنه يتحطم يا بنية ؟

هكتور : ( يقفز واقفا ) لا يمكن أن تؤمنى باليدى أتروود ،

لقد نُثرت فضيحة ( يخرج عدوا الى الحديقة من  
الباب الأيمن ) .

ليدى اتروود: أوه ! هكتور ، هكتور ! ( تعدو خلفه ) .

رائل : أؤكد لكم أنه اضطراب اعتصاب ولا شيء غير  
ذلك . ( ينهض ويتبعها وهو يهز العصا الحديدية  
من اضطرابه ) 'ريادن ! أريادن ! كوني حذرة  
بالله ، انك سوف ... ( يخرج ) .

ماتزنى : ( ينهض ) يا له من أمر مؤلم ! انى لأتساءل هل  
أستطيع أن أفعل شيئا ؟

القبطان شومر : ( يجلس بسرعة على كرسيه ويبدأ العمل على  
منضدة الرسم ) لا . اذهب الى فرائك ، طاب  
مساؤك .

ماتزنى : ( فى ارتباك ) أوه . لملك على حق .

ايلي : تصبح على خير يا أعز عزيز ( تقبله ) .

ماتزنى : تصبحين على خير با حبيبتى ( يسير نحو الباب  
ولكنه يعرج على رفوف الكتب ) سأخذ كتابا  
( يأخذ واحدا ) تصبحا على خير .  
( يخرج تاركا ايلي وحدهما مع القبطان ) .

أيلي : ألا يزعجك شيء أبدا يا قبطان شتوفر ؟  
القبطان شتوفر : لقد ظلمت واقفا في مركز القيادة ثمان عشرة ساعة أثناء إحدى العواصف . ان الحياة هنا أشد عسفا ، ولكنني أستطيع احتمالها .

أيلي : أتظن أنه يحسن بي أن أتزوج مستر مانجان ؟  
القبطان شتوفر : ( دون أن يرفع رأسه ) لا فرق بين سخرة وأخرى لتتخطم عليها السفينة .

أيلي : لست أحبه .

القبطان شتوفر : ومن قال أنك تحببته ؟

أيلي : ألا يدهشك ذلك ؟

القبطان شتوفر : يدهشني ! في سني هذه !

أيلي : تبدو لي قصة عادلة ، هو يريدني لشيء وأنا أريده لشيء آخر .

القبطان شتوفر : المال ؟

أيلي : نعم .

القبطان شتوفر : حسن ، واحد يدير خده والآخر يقبله ، وواحد يجمع المال والآخر ينفقه .

أيلي : اني لأتساءل من سيكون الراجح في هذه الصفقة ؟

القبطان شتور : أنت ، فهؤلاء الأشخاص يقضون طوال اليوم في المكاتب ، وليس عليك الا احتمالاه فيما بين العشاء والافطار ، ولكنكما كليكما ستكونان نائمين معظم هذا الوقت ، وستنخلصين منه طول النهار لتشتري ما تشائين بنقوده . ان كان هذا كثيرا عليك فتزوجي بحارا فلمله لن يضايقك الا ثلاثة أسابيع في السنة .

أيلي : أظن هذا أحسن شيء .

القبطان شتور : من الخطر أن تتزوجي شخصا يقضى اليوم بطوله معك كما يفعل زوج ابنتي . ان الرجل لا يبرح البيت طول النهار ؛ وكأنه روح ملعونة في الجحيم .

أيلي : ما فكرت في ذلك قط من قبل .

القبطان شتور : اذا كنت تريدين زواجا عمليا فيجب أن تكوني عملية الى أقصى حد .

أيلي : لماذا تتطلع النساء دائما الى أزواج الأخريات ؟

القبطان شتور : لماذا يفضل لصوحس الخيل المستأنس منها على الوحشى ؟

ايلى : ( تضحك ضحكة قصيرة ) أظن هذا ، يا لها من دنيا دنيئة !

العبطان شتور : هذا أمر لا يعنيني ، فقد أوشتك أن أخرج منها .

ايلى : وأنا أكاد أبداً .

العبطان شتور : أجل ، فتظلمى الى المستقبل .

ايلى : حسنا ، أظننى شديدة الحذر .

العبطان شتور : لم أقل كونى حذرة بل قلت تظلمى الى المستقبل .

ايلى : وما الفرق ؟

العبطان شتور : بالحذر تكسب الدنيا وتخسر نفسك ، ولكن

لا تنسى أنك ان أخلصت لنفسك أخلصت لك ،

أما الدنيا فلها طريقة تنسرب بها من بين أصابعك .

ايلى : ( تتركه وقد أدركها الملل وتبدأ تتجول في

الحجرة في قلق ) يؤسفنى أن أقول لك يا قبطان

شتور انه لا فائدة من توجيه مثل هذا الحديث

الىّ . فالطراز العتيق من الناس لن يفيدنى

بشيء . ان هذا الطراز العتيق من الناس يظنون

أن الانسان يستطيع الاحتفاظ بروحه مع الفقر ،

ويعتقدون أنه كلما قل نصيب الانسان من المال

زاد نصيبه من الروح ، ولكن شبان اليوم أكثر

علما . فالاحتفاظ بالروح يكلف كثيرا ، أكثر  
جدا مما تكلفه السيارة .

القبطان شتور : حقا ؟ كم تأكل روحك ؟

ايلى : أود ، كثيرا ، انها تأكل موسيقى ولوحات وكتبا  
وجبالا وبحيرات وملابس جميلة وعشرة أناس  
ظرفاء ، وكل ذلك لا يمكن الحصول عليه في  
هذه البلاد الا اذا كنت تملك الكثير من المال ،  
وهذا هو السبب الذى يجعل أرواحنا فى جوع  
شديد .

القبطان شتور : ان روح مانجان تقنات بطعام الخنازير .

ايلى : نعم ، لأن المال يرتدى عليه . اعتقد أن روحه  
كادت تموت جوعا فى شبابه ، أما أنا فلن يرتدى  
على المال . فأنا لا أتزوج من أجل المال الا لكى  
أنتقد روحى ، وهذا ما تفعله كل النساء ما عدا  
البلهاوات .

القبطان شتور : هناك طرق أخرى للحصول على المال ، لماذا  
لا تسرقينه ؟

ايلى : لأننى لا أريد أن أدخل السجن .

القبطان شنوفر : أهذا هو السبب الوحيد ؛ أنت على ثقة نامة من  
أن الشرف لا دخل له في ذلك ؛

ايلى : أوه ؛ انك من طراز عنيق جدا يا قبطان ، أنتحب

أن أية فتاة عصرية تعتقد أن الطرق القانونية وغير  
القانونية للحصول على المال هي الطرق الشريفة  
وغير الشريفة ؟ لقد سرق مانجان أبى وأصدفاء  
أبى ، ولو تركتني الشرطة لاستعدت الأموال  
كلها من مانجان بالسرقه ، وبما أن الشرطة لن  
تسمح لى بذلك فسأستردها بالزواج منه .

القبطان شنوفر : لن أستطيع المجادلة ؛ فاني طاعن في السن ، وقد

جمد عقلى على آراء بعينها . كل ما أستطيع  
أن أقوله لك هو أنك اذا بعث نفسك سواء  
أكنت عتيقة أم عصرية فانك توجهين اليها ضربة  
لن يستطيع شفاءها كل مافي العالم من كتب  
ولوحات وحفلات موسيقية ومناظر . ( ينهض  
فجأة ويتجه الى الكيلار )

ايلى : ( تجرى خلفه وتمسكه من كفه ) لماذا اذن بعث

تفك للشيطان في زنجبار ؟

القبطان شنوفر : ( يقف مضطربا ) ماذا ؟

**أيلي :** ان تستطيع الهرب قبل أن تجيبنى ، فقد عرفت  
حيلتك ، ما دمت قد بعث نفسك فلماذا لا أفعل  
نأ ذلك ؟

**البعطان شتور :** لقد كنت مضطرا أن أعامل رجالا باع من سفالتهم  
أنهم كانوا لا يطيعوننى الا اذا سببتهم وركلتهم  
وضربتهم بقبضتى ، فقد كان قوم أغبياء  
يأخذون اللصوص الشبان من الشوارع ويلتقون  
بهم فى سفينة تدريب حيث يعلمونهم خشية  
العدا أكثر من خشية الله ، ويفتنون أنهم جعلوا  
منهم رجالا وبحاره حين حولوهم الى متطوعين .  
هؤلاء اللصوص هم الذين أوهمتهم أنتى بعث  
نفسى للشيطان وبهذا خلصت روحى من الضرب  
والسب اللذين كانا يهويان بها شيئا فشيئا .

**أيلي :** ( تتركه ) سأتظاهر ببيع نفسى للرئيس مانجان  
لأنقذ روحى من الفقر الذى يهوى بى شيئا  
فشيئا .

**البعطان شتور :** سيهوى بك الترف الى قرار أبعد عشر مرات .  
ان الترف لن ينقذ حتى جسدك .

**أيلي :** عدنا للأفكار العتيقة ثانية . اتنا الآن نعرف أن

الروح هي الجسد وأن الجسد هو الروح ، لقد  
أخبرونا بأنهما مختلفان لأنهم يريدون اقناعنا بأن  
في استطاعتنا الاحتفاظ بأرواحنا اذا سمحنا لهم  
بامتزاق أجسادنا ، أخشى ألا تكون ذا فائدة  
لى يا قبطان .

**القطان شتور :** وماذا كنت تنتظرين ؟ مخلصا ؟ اه ؟ افكارك  
عتيقة بحيث تؤمنين بذلك ؟

**ايلي :** لا ، ولكنى حسبك بالغ الحكمة ، وقادرا على  
مساعدتى ، والآن عرفت حقيقتك . انك تتظاهر  
بأنك مشغول ، وتفكر فى كلمات رائعة تقولها ،  
وتجرى داخلا وخارجا لتدهش القوم بقولها ،  
وتهرب قبل أن يتمكنوا من الرد عليك .

**القطان شتور :** اننى أشعر بالارتباك والخوف اذا سمعت ردا ،  
ولا أستطيع أن أحتمل الرجال والنساء ، ولهذا  
أهرب . ويجب أن أهرب الآن ( يحاول ذلك )

**ايلي :** ( تمسكه من ذراعه ثانية ) لن تهرب منى ، فانا  
أستطيع أن أنومك مغناطيسيا ، أنت الوحيد فى  
هذا البيت الذى يمكننى أن أقول له ما أشاء ،

وانى لأعلم أنك مشغوف بى ، اجلس ( تجذبه  
الى الأريكة ) .

القبطان شتور : ( فى استسلام ) حذار . فقد بلغت حد الخرف ،  
وما أخطر المسنين من الرجال اذ لا يهمهم ماذا  
سيحدث للعالم .

( يجلسان مجاورين على الأريكة - تميم عليه  
فى حب مسندة رأسها على كتفه ومسبلة  
أجفانها )

الى : ( حاملة ) كنت أحسب أن لا شىء غير هذا يهم  
المسنين ، فانهم لا يهتمون كثيرا بما يمكن أن  
يحدث لهم هم أنفسهم .

القبطان شتور : ليس اهتمام الانسان بالعلم الا فيضا من  
اهتمامه بنفسه . عندما تكونين طفلة يكون وعاء  
نفسك غير ملائ ، ولهذا لا تهتمين بشىء غير  
مصالحك ، وعندما تكبرين يفيض وعاء نفسك  
فتصبحين سياسية أو فيلسوفة أو مكتشفة  
ومغامرة ، وعندما تبلغين سن الشيوخة يجف  
الوعاء وينتهى الفيضان فتعودين طفلة كرة أخرى .  
فى استطاعتى أن أذكر لك طرفا من حكمتى

القديمية : نثائر وبقايا ، ولكنى الآن لم أعد  
أهتم حقيقة الا بمطالبى الصغيرة وهوياتى -  
انى أجلس هنا لأحول أفكارى القديمة الى  
أدوات لتدمير اخوانى فى البشرية . انى أرى  
ابنتى وزوجيها يعيشون عيشة حمقاء من  
الخيال والعاطفة والحذقة ، وأراكم أتم الجيل  
الناشئ تتحولون عن خيالهم وعاطفتهم وحذقتهم  
وتطلبون المال والرفاهية والعقل الواقعى  
الصارم . ولقد كنت وأنا فى مركز القيادة وسط  
العاصفة أو وأنا متجمد شهورا طويلة فى نلام  
القطب أسعد عشر مرات مما يمكن أن تصل اليه  
سعادتك أو سعادتهم . انك تبحثين عن زوج غنى  
بينما كنت فى مثل سنك أبحث عن المشقة  
والمخاطر والرعب والموت لأحس بالحياة فى  
داخلى أكثر قوة ، لقد رفضت أن يسيطر خوف  
الموت على حياتى فكانت جائزتى أن بقيت لى  
الحياة ، أما أنت فتتركين الخوف من الفقر يسيطر  
على حياتك وسيكون جزاؤك أن تأكلى دون أن  
تحبى .

**ايلى :** ( تمتد في جلسها نافذة الصبر ) ولكن ماذا فعل ؟ أنا لست قبطانا ولا أستطيع أن أقف في مركز القيادة أثناء العاصفة أو أخرج لصيد الحيتان وعجول البحر في جبال جرينلاند الثلجية ، لأنهم لا يدعون النساء يعملن قباطنة ، أتريد منى أن أكون خادمة في سفينة ؟

**القبطان شتوهر :** هناك ما هو أسوأ من ذلك ، فإن خادمت السفن يستطعن أن يعدن الى الشاطئ ، إن أردن ، ولكنهن يبحرن ويبحرن ويبحرن .

**ايلى :** وماذا يمكن أن يفعلن على الشاطئ ، الا أن يتزوجن من أجل المال ؟ لا ، لست أريد أن أكون خادمة في سفينة ، فاني بحارة رديئة . فكر لى في شيء آخر .

**القبطان شتوهر :** أنا عجوز جدا ولا أستطيع التفكير المستمر الطويل هكذا ، يجب أن أتحرك .. أدخل وأخرج ، ( يحاول النهوض ) .

**ايلى :** ( تجذبه ثانية ) لن تفعل ذلك ، فأنت سعيد هنا ، ليس كذلك ؟

**القبطان شتوهر :** قلت لك ان في استبقائك اياى هنا مخاطرة ،

فلمست أستطيع أن أظل يقظان متنبها .

**أيلي** : لماذا تريد الهرب ؟ أتريد النوم ؟

**القبطان شتور** : لا . ولكن لأتناول كأسا من الروم .

**أيلي** : ( مصدومة للغاية ) أهذا هو الأمر ؟ يا له من

شيء تعافه النفس ! أتحب أن تكون ثملا ؟

**القبطان شتور** : كلا ، ان أخوف ما أخافه هو أن أكون ثملا ،

فمعنى أن يسكر الانسان أن يعيش في الأحلام ،

وأن يكون لنا ، وأن سهل ارضاءه وخداعه ،

وأن يقع بين برائن النساء . وهذا ما يفعله

السكر بالانسان عندما يكون شابا . ولكن

عندما يصبح الانسان عجوزا ويبلغ أرذل العمر

مثنى فان الأحلام تأتي وحدها ، انك لا تعرفين

كم يكون ذلك فظيما ، فأنت صغيرة تنامين أثناء

الليل فقط ، وتنامين نوما عميقا ، ولكن عندما

تتقدم بك السن ستنامين بعد الظهر ، وعندما

تهرمين ستنامين حتى في الصباح ، وسوف

تستيقظين متعبة ، متعبة من الحياة ، ولن تتخلصي

أبدا من النهيم والأحلام ، وستمل اليك

الأحلام كل عشر دقائق أثناء عملك الا اذا قهرتها

بالروم . انى أشرب الآن لأظلم متبها : ولو ان  
الروم لم يعد له تأثيره القديم ، فالأحلام تفلبنى ،  
ولقد شربت عشر كئوس منذ حضرت ولكن  
تأثيرها لم يزد عن تأثير الماء . اذهبى وأحضرى  
لى كأسا أخرى ، ان جينيس تعرف مكانها ،  
وخير لك أن ترى بنفسك فظاعة منظر الرجل  
المسن عندما يشرب .

**ايلى :** لن تشرب خمرا ، احلم بأنى أحب أن تعيش فى  
الأحلام ، يجب ألا تعيش فى دنيا الحقيقة ونحن  
تحدث معا .

**القبطان شتولر :** انى أشد تعباً من أن أفاوم ، أو أشد ضعفاً ، فانى  
أعيش طفولتى الثانية . انى لا أراك على حقيقتك ،  
ولا أستطيع أن تذكر حقيقتى ، ولا أحس بشىء  
الا تلك السعادة الملعونة التى كنت أخشاها  
طول حياتى ، السعادة التى تأتى حين تكون  
الحياة مولية ، سعادة الخضوع والعيش فى  
الأحلام بدلا من المقاومة والعمل ، حلاوة  
الفاكهة التى يدب فيها العفن .

**ايلى :** انك تخشاها كما اعتدت أنا أن أخشى ضياع

حلامي واضطرارى الى الصراع والعمل ، ولكن  
ذلك عهد انتهى بالنسبة لى ، فقد تحطمت  
حلامي . وانى لأود أن أتزوج رجلاً طاعناً فى  
الس واسع الثروة ، انى أود أن أتزوجك أنت  
بل أفضل أن أتزوجك على أن أتزوج مانجان ،  
أنت واسع الثروة ؟

الميطان شوهر : لا . انى أعيش نيشة الكفاف ، كما أن لى زوجة  
فى مكان ما من چمايكا ، زوجة سوداء هى  
زوجتى الأولى ، الا اذا كانت قد ماتت .

ايلى : يا للأسف . فانى أحسن بسعادة كبيرة وأنا معك  
( تمسك يده دون وعى كامل وتربت عليها )  
فلننت أنتى لن أشعر بالسعادة مرة أخرى .

الميطان شوهر : لماذا ؟

ايلى : ألا تعلم ؟

الميطان شوهر : ماذا ؟

ايلى : تحطم القلب ، فقد أحببت هكتور ولم أكن أعلم  
نه متزوج .

الميطان شوهر : تحطم القلب ؟ أنت من أولئك الذين يعيشون  
داخل أنفسهم حتى انهم لا يكونون سعداء الا

إذا سألوا كل شيء حتى الأمل ؟

أبلى : ( تشد على يده ) يبدو ذلك ، فاني أحس الآن

أني قادرة على عمل أى شيء لأنى لا أريد شيئا .

النبطان سطور : هذه هى القوة الحقيقية الوحيدة ، هذه هى

العبقرية ، انها خير من الروم .

أبلى : ( تلقى بيده بعيدا عنها ) الروم ! لماذا أفسدت

الأمر ؟

( يدخل هكتور ورائدل من باب الحديدية

الأيمن )

هكتور : عفوا ، فلم تكن نعلم أن أحدا هنا .

أبلى : ( وهى تنهض ) معنى هذا أنك تريد أن تقص

على مستر رائدل قصة النسر ، تعال يا قبطان فاني

أريد أن أتكلم مع أبى ويحسن أن تأتى معى .

النبطان سطور : ( ينهض ) شراء ! ان أباك فى فراشه .

أبلى : آها ! لقد كشفتك ، ان أبى الحقيقي فى فراشه

أما ذلك الذى ادعيت أنه أبى ففى المطبخ ، وقد

كنت تعلم ذلك جيدا طول الوقت ، هيا ( تجذبه

معها الى الحديدية من الباب الأيسر ) .

هكتور : يا لها من فتاة معجزة اذ استطاعت أن تقود البحار

المعجوز وكأنه كلب بكينى صغير مربوط فى  
حبل !

رائدل : الآن وقد ذهب ، هل لنا أن نتحدث حديثا وديا ؟  
هكتور : افك الآن خيف فيما يقال انه بيتى ، فأنا تحت  
أمرك .

( يجلس فى كرسى الرسام ويديره ليواجه  
رائدل الذى يظل واقفا وقد مال فى تراخ على  
منضدة النجار )

رائدل : أعتقد أن الصراحة فى حديثنا واجبة ، أعنى فيما  
يخص ليدى أتروود .

هكتور : تستطيع أنت ذلك ، أما أنا فليس لى ما يحتاج  
الى الصراحة ، فانى لم أرها قط قبل ظهر اليوم .

رائدل : ( يشد قامته ) عجبا ! ولكنك زوج أختها .

هكتور : حسن ، اذا كان الأمر كذلك فأنت أخو زوجها .

رائدل : ولكن يبدو أنك على علاقة حميمة بها .

هكتور : وأنت كذلك .

رائدل : نعم ، ولكن علاقتى الحميمة بها راجعة الى أنى

أعرفها منذ سنوات .

هكتور : يبدو أنها احتاجت معك الى سنوات لتبلغ علاقتها

- الى النقطة التي بلغتها معى فى خمس دقائق .
- راتل** : ( فى غيظ ) حقا ، ان أريادن لا تحتمل . ( يعتمد نحو النافذة فى غضب شديد ) .
- هكتور** : ( فى برود ) انها امرأة جريئة ، هكذا قلت لهزيون .
- راتل** : ( يعود وقد زاد اضطرابه ) تعرف أنك ياهنباى من ذلك الصنف من الرجال الذى تعده النساء جيلا .
- هكتور** : لقد اتخذت هذا المظهر أيام عجب الشباب ، ثم أصرت هزيون على أن أحتفظ به ، انها تضطرنى الى ارتداء هذه الملابس المضحكة ( يشير الى الملابس العريية التى يرتديها ) لأنها تظننى أبدو مضحكا فى ملابس السهرة .
- راتل** : ومع ذلك ما زلت محتفظا بمظهرك الحسن أيها الرجل المعجوز . تؤكد لك أن ليس فى طبيعتى ذرة واحدة من الفيرة ..
- هكتور** : الأولى أن نسأل ان كان فى طبيعة أخيك ذرة من ذلك .
- راتل** : ماذا ! هيستنجز ! أوه ، لا عليك من هيستنجز ،

ان لديه القدرة على العمل ست عشرة ساعة في  
اليوم في أسخف التفاصيل ، بل انه يجب هذا  
العمل ، وهذا ما يرفعه الى القمة حيثما ذهب ،  
وما دامت أريادن تعتنى باطعامه بانتظام فانه  
لا يكون الا شاكرا الاى شخص يبقيا له في حالة  
راضية .

هكتور : وما دامت تملك كل سحر آل شتوثر فانها  
ولا شك تجد الكثيرين من المتنافسين على شغل  
هذه الوظيفة ، أليس كذلك ؟

رائل : ( غاضبا ) انها تشجعهم ، وسلوكها هذا شائن  
جدا ، أوكد لك يا صديقى العزيز أننى لا أحمل  
في طبيعتى ذرة واحدة من الغيرة ، ولكنها بنزقها  
تجعل من نفسها مثار الأحاديث في كل مكان تحل  
فيه . والأمر لا يعدو ذلك ، فانها في الحقيقة  
لا تهتم بالرجال الذين تحيط نفسها بهم ؛ ولكن  
أننى للناس أن يعلموا ؟ هذا ظلم لهيستنجز ؛  
وهو ظلم لى .

هكتور : ولكنها ترى أن سلوكها مهذب تماما ..  
رائل : مهذب ! انها لا هم لها الا أن تثير الفضائح من

الصباح الى المساء ، كن حذرا أيها الرجل المعجوز  
فانها ستجلب لك المتاعب ، هذا اذا كانت حقيقة  
تهتم بك .

هكتور : ألا تهتم بي ؟

راندل : ولا أقل اهتمام ، ربما أرادت أن تحصل على  
فروة رأسك لتضمها الى مجموعتها ، ولكن  
قلبا مشغول منذ سنوات طويلة . خير لك أن  
تكون حذرا .

هكتور : أتماني كثيرا من هذه الغيرة ؟

راندل : الغيرة ؟ أنا أعار ؟ ألم أقل لك يا صديقي العزيز  
أننى لا أحمل ذرة واحدة من —

هكتور : نعم ، وقد قالت لى لىدى أتروود انها لا تثير  
الفضائح . حسنا ، لا تضح غيرتك على شاربى ،  
لا تضح الغيرة على رجل حقيقى ، فإن البطل  
الخيالى هو الذى يتغلب علينا فى المدى البعيد .  
هذا الى أن الغيرة لا تليق بوضعك الذى تتقن  
تمثله فيما عداها ، أعنى وضع رجل المجتمعات  
الذى لا يزعجه شىء .

راندل : الحق يا هشاباى ، أعتقد أن الرجل يستطيع أن

يكون مهذبا دون أن يتهم بالتصنع .

**هكتور** : انه تصنع على أى حال ، ونحن فى هذا المنزل  
نعرف كل أنواع التصنع ، وتسليتنا أن نكتشف  
الرجل من خلف قناعه ، والظاهر أن عطيل  
محبوب ايلى هو ذلك الرجل الذى يخفى وراء  
قناع تصنعك .

**راندل** : دعنى أقل لك ان بعض تسلياتكم فى هذا المنزل  
مزعجة أشد الازعاج .

**هكتور** : نعم ، لقد كنت ضحيتها سنوات طويلة . وكنت  
برما بها فى أول الأمر ، ولكنى تعودتها ، وأخيرا  
تعلمت كيف أتسلى بها .

**راندل** : اذا كان الأمر سواء عندك فانى أرجوك ألا تنسلى  
بها معى ، فمن الواضح أنك لم تحسن تفهم  
خلقى ولا فكرتى عن السلوك المهذب .

**هكتور** : أفكرتك عن السلوك المهذب هى التى جعلتك  
تفضح ليدى أتروود ؟

**راندل** : ( نفمة سييانية باكية تكسر من حدة غيظه ) أنا  
لم أقل كلمة واحدة ضد ليدى أتروود ، ها قد  
عدنا الى المؤامرة ثانية .

- هكتور : أية مؤامرة ؟
- راندل : أنت تعرف ذلك تمام المعرفة ياسيدى ، مؤامرة لجعلى أبدو مشاكسا غيورا صيانيا وغير ذلك من الصفات التى ليست فى ، فكل انسان يعرف أنتى على العكس من ذلك تماما .
- هكتور : ( ينهض ) لقد أزعجك أمر ما فى جو هذا المنزل ، فكثيرا ما يكون له هذا الأثر ( يذهب الى باب الحديقة وينادى ليدي أتروود بصوت آمر ) أريادن !
- ليدي أتروود : ( عن بعد ) نعم .
- راندل : لماذا دعوتها ؟ انى أريد أن أتكلم —
- ليدي أتروود : ( تصل مبهورة الأنفاس ) نعم ، انك فى الحق شخص شديد التحكم ، ماذا حدث ؟
- هكتور : لست أدرى كيف أسوس صديقك راندل . لا شك أنك تستطيعين ذلك .
- ليدي أتروود : أجعلت من نفسك أضحوكة كالعادة ياراندل ؟ أستطيع أن أرى ذلك واضحا على وجهك ، انك فى الحق أكثر الناس مشاكسة .
- راندل : تعلمين تمام العلم يا أريادن أنه ليس فى طبيعتى

مقدار ذرة واحدة من المشاكسة . لقد ظهرت هنا  
في مظهر لطيف جدا . لقد كنت هادئا رزينا في  
مواجهة اللص . ان رزاتي تكاد تكون اقوى  
صفاتي ، ولكنني ( يضرب الأرض بقدمه ويذرع  
الفرقة ذهابا وجيئة في غضب ) اصر على ان  
أعامل بشيء من الاحترام ، ولن أقبل أن يتجرأ  
على هشاباي ، كما لا أقبل أن تشجى الناس  
كما تفعلين .

هكتور : عند الرجل وهم أكيد أنه زوجك .

ليدى أتروود : أعلم ذلك ، انه غيور كأنما له الحق في ذلك !  
وهو يعرضني للشكوك في كل مكان ويشير  
القضائح على الملأ ، ولكنني لن أسمح بذلك  
ياراندل ، لن أسمح به على الاطلاق . ليس لك  
الحق في مناقشة سلوكي مع هكتور ، فلن أقبل  
أن أكون موضوع حديث الرجال .

هكتور : كوني منصفه يا أريادن ، انما هو جمالك  
الطاغى الذى يجبر الرجال على التحدث عنك .

ليدى أتروود : أوه ، حقا ! وماذا عن جمالك الطاغى ؟

هكتور : وما حيلتي في ذلك ؟

ليدى اتروود : تستطيع أن تقص شاربيك ، أما أنا فلا أستطيع  
أن أجدع أنفى ، لقد قضيت حياتى كلها متورطة  
مع من يقعون فى حبى من الناس ، ثم يأتى راندل  
ليقول اننى أجرى وراء الرجال .

راندل : أنا —

ليدى اتروود : نعم ، هذا ما تقوله وما قلته الآن ، لماذا لا تفكر  
فى شىء آخر غير النساء ؟ صدق نابليون اذ قال  
ان المرأة شغلة الرجل العاطل ، حسن ، اذا كان  
فى هذه الدنيا رجل عاطل واحد فلن يكون اسمه  
الاراندل اتروود .

راندل : أرياد —

ليدى اتروود : ( تغمره بسيل من الكلمات ) نعم ، انك كذلك ،  
فلا تنكر ، ماذا فعلت فى حياتك ؟ وما الفائدة  
منك ؟ انك متعب فى المنزل كطفل فى الثالثة ،  
لولا خادمك الخاص لما استطعت أن تعيش .

راندل : هذا —

ليدى اتروود : كسل ! أنت الكسل مجسدا ، والأناية بعينها .  
انك أنته رجل على وجه الأرض ، فأنت  
لا تستطيع حتى أن تثرثر الا عن نفسك ، وعن

الظلم الواقع عليك ، وعن علك ، وعن الناس  
الذين ساءوا اليك ( تلتفت الى هكتور ) تعرف  
بم يلقبونه يا هكتور ؟

هكتور : ( فى صوت واحد )  
رانل : ( فى صوت واحد )

ليدى اتروود : رانل عديم النفع ، هذا هو اسمه فى المجتمع  
الراقى .

رانل : ( يصيح ) لن أحتمل هذا قلت لك ، ألا تستمعين  
الى أيتها الخبيثة الـ - - ( يختنق صوته ) .

ليدى اتروود : حسن ، استمر ، بم كنت تريد أن تصفنى ؟  
الخبيثة ماذا ؟ أى حيوان كرهه هذه المرة ؟

رانل : ( مزبدا ) ليس فى العالم حيوان أبغض من المرأة ،  
أنت شيطانة تذهين العقل ، لن تصدقنى  
يا هساباى اذا قلت لك اننى أحببت هذه  
الشيطانة طول عمرى ، ولكن يعلم الله أنى دفعت  
الثلث .

( يجلس على كرسى الرسام وهو يبكى )

ليدى اتروود : ( تقف وراءه فى ازدياء المنتصر ) أيتها الطفل  
البكاء !

هكتور : ( برزاة وهو يتقدم منه ) يا صديقى ، ان لابتى  
شتوفر تأبيرين غريين على الرجال : انهما  
قادران على ايقاع الرجال فى حبهما ، وقادران  
على دفعهم الى البكاء ، فاحسد الله أنك لست  
زوج احدهما .

ليدى اتروود : ( بعضمة ) أرجوك يا هكتور أن ...

هكتور : ( يضع يده فجأة حول كتفها ويديرها حوله  
ليبعدها عن راندل ثم يقبض على عنقها بيده  
الأخرى ) اريادن ا ان حاولت أن تلعى بى  
فأخثك ، أسمعين ؟ ان لعبة القط والفأر مع  
الجنس الآخر لعبة مسلية ولكنها قد تكلفك  
رأسك اذا لعبتها معى ( يلقي بها فى خشونة على  
المقعد الكبير ويتقدم منها فى تصميم وان كان  
أقل عنفا ) لقد قال نابليون حقا ان المرأة شغلة  
الرجل العاطل ، ولكنه أضاف قائلا انها سلوة  
المحارب ، حسن . اننى أنا المحارب ، فاحذرى .  
ليدى اتروود : ( لم يكدرها عنفه بل انه أرضاها ) يا عزيزى  
هكتور ، اننى لم أفعل فى الحقيقة الا ما طلبته  
منى .

هكتور : بريك ، ما معنى هذا ؟

ليدى اتروود : لقد ناديتنى لأسوس راندل ، أليس كذلك ؟ وقد قلت انك أنت نفسك لم تستطع أن تسوسه .

هكتور : حسن ، وماذا ان كنت قد قلت ذلك ؟ أنا لم أطلب منك أن تدفعى الرجل الى الجنون .

ليدى اتروود : انه لم يجن ، ولكن هذه هى الطريقة التى تصلح لسياسته . لو كنت أما لفهمت .

هكتور : أم ؟ أى غرض ترمين اليه الآن ؟

ليدى اتروود : الأمر فى غاية البساطة ، عندما كان الأطفال يثورون ويسبون الأدب كنت أضربهم حتى يبكوا بكاء طويلا وتصدم أعصابهم صدمة نافعة ، فيروحون فى النوم ثم يستيقظون بعد ذلك هادئين . حسنا ، اننى لا أستطيع أن أضرب راندل ، فهو أكبر من أن يضرب ، ولذا لا أجد وسيلة عندما يثور ويجمع الا أن أنهكهم عليه حتى ييكنى . ستحسن حاله الآن ، انظر ، انه فعلا نصف نائم . ( وهذا صحيح ) .

راندل : ( يستيقظ حانقا ) لست كذلك ، انك فى غاية القسوة يا أريادن . ( متأثرا ) لكن أنلتنى سأصفح

عنا كالعادة ( يمنع نفسه من التأوب ) .

ليدى اتروود: ( لهكتور ) هل اقتنعت أيها المحارب المخيف ؟  
هكتور : سأقتلك يوما ما ان زدت عن حدك ، لقد كنت  
أحسبك بلهاء .

ليدى اتروود: ( تضحك ) هذا ما يحسبه كل انسان أول الأمر ،  
ولكنى لست بلهاء كما يبدو علىّ ( تنهض في  
بشاشة ) اذهب الآن الى فراشك ياراندىل ، وفي  
الصباح ستكون في خير حال .

راندىل : ( في تمرد ضعيف ) سأذهب الى فراشى عندما  
أريد ، ثم ان الساعة لم تبلغ العاشرة .  
ليدى اتروود: بل انها تجاوزت العاشرة بكثير ، اعمل على أن  
يذهب الى فراشه فورا يا هكتور ( تذهب الى  
الحديقة ) .

هكتور : أفى الدنيا عبودية أحط من عبودية الرجل للمرأة؟  
راندىل : ( ينهض في عزم ) لن أكلمها غدا ، سأخاصمها  
أسبوعا ، سألقنها درسا . سأذهب توا الى فراشى  
دون أن أحييها ( يتجه الى الباب الموصل الى  
البهو )

هكتور : لقد سحرتك يا رجل ، ان شتوفر العجوز باع

نفسه للشيطان في زنجيار فزوجه الشيطان ساحرة  
سوداء ، وابنتاه الشيطانتان هاتان هما الذريرة  
الغامضة لهذا الزواج . أنا مربوط بهزيون .  
ولكنى زوجها ، واذا كنت قد جنت بها فما نحن  
على الأقل زوجان ، ولكن لماذا تدع أربادن  
تجرك وتضربك كما يجز الطفل جحشه الخشبي؟  
ماذا تكسب من ذلك ؟ أنت عشيقها ؟

**واتل** : لا تسيء فهمي ، انى أحبها حبا ساميا - حبا  
أفلاطونيا .

**هكتور** : يا للذريرة حبا أفلاطونيا ! انها تجعل منك خادما  
لها ، فان حان يوم السداد راغت منك . هذا  
ما تعنيه .

**واتل** : ( في ضعف ) حسنا ، اذا كان هذا يرضيني فما  
شأنك أنت به ؟ وقد أخبرتك أنى سأعاقبها .  
سترى ، انى أعرف كيف أعامل النساء . ولكن  
النعاس يغلبنى حقا . هل تكون ظريفا وتحيى  
مسز هشاباى نياية عنى ؟ تصبح على خير .  
( يسرع خارجا ) .

هكتود

: يا له من تمس ! أوه ، يا للنساء ! يا للنساء :

يا للنساء ! (يرفع قبضتيه الى السماء في ابتهاج)

اسقطلى ، اسقطلى واسحقى .

( يخرج الى الحديقة )

## الفصل الثالث

في الحديقة .

عندما يخرج هكتور من الباب الزجاجي للحجرة التي تشبه  
مؤخر السفينة ، يجد الليدي أتروود متنعمة بالرقاد على الأرجوحة  
الشبكية شرقى سارية العلم ، وقد أنصب عليها ضوء القوس  
الكهربائي الذي يشبه القمر في استدارته وبريقه . وراء رأس  
الأرجوحة كرسى رحلات يمكن طيه ، وعلى الجانب الآخر من السارية  
يرى القبطان شتوفر نائما على مقعد الحديقة الطويل وإلى يمينه ايلي وقد  
مالت عليه في محبة ، وإلى يساره كرسى من القماش كذلك الذي  
يستعمل على شرفات السفن . في الخلف تسير هزيون متنزهة في  
الظلمة ومعها مانجان . الليلة عادة جميلة غاب قمرها .

ليدي أتروود : يا لها من ليلة بديعة ! كأنما خلقت من أجلنا .

هكتور : الليل لا يهتم بنا ، فما نحن الليل ؟ ( يجلس في  
كأبة على الكرسى القماش ) .

ايلي : ( حاملة وقد التصقت بالقبطان ) ان جماله يسرى  
في أعصابي . في الليل راحة للشيوخ وأمل  
للشباب .

هكتور : أنت مبتدعة هذه العبارة ؟

الى : كلا ، ولكنها آخر كلمة قالها القبطان قبل أن  
ينام .

العيطان شتور : لست نائما .

مكتور : لقد نام راندل وكذلك مستر ماتزيني دن ، ولعل  
مانجان أيضا قد نام .

مانجان : كلا .

مكتور : أوه ، أنت هناك ؟ ظننت هزيون قد أرسلتك  
الى فراشك في هذا الوقت المتأخر من الليل .

مزر هشابى : ( تتقدم الى الضوء خلف مقعد الحديقة ومعها  
مانجان ) أظن هذا ما سأفعله ، فانه لم يكف عن  
اخبارى أن لديه احساسا داخليا بقرب موته .  
لم أقابل في حياتى رجلا شرها الى العطف مثله .

مانجان : ( فى نواح ) ولكن لدى احساسا داخليا بذلك ،  
الحق اننى أحس به ، ومع ذلك لا تريدان  
الاستماع الى .

مزر هشابى : لقد كنت أستمع الى شىء آخر ، كان فى السماء  
صوت رائع يشبه دقات طبول ، ألم يسمعه أحد  
منكم ؟ كان الصوت يأتى من بعيد ثم يتبدد .

مانجان : قلت لك انه صوت قطار .

مسز هشابى : وأنا قلت لك يا آلف انه لا يمر قطار فى هذه الساعة ، فأخر قطار يمر فى التاسعة وخمس وأربعين دقيقة .

مانيجان : ولكنه قطار بضاعة .

مسز هشابى : ليس على خطنا الصغير ، فهم يلحقون عربة للبضاعة بقطار الركاب ، ماذا تظن الصوت يا هكتور ؟

هكتور : دمامة السماء المتوعدة تقززا منا نحن المخلوقات العقيمة التى لا نفع فيها . ( فى عنف ) أقول لكم انه سيحدث أحد أمرين ، اما أن يخرج من هذه الظلمة خلق جديد يحل محلنا كما حللنا نحن محل الحيوانات ، واما أن تسقط السماء مرعدة وتقضى علينا .

ليدى اتروود : ( فى أسلوب تعليمى هادىء ، وهى تتقلب على الأرجوحة بارتياح ) اننا لم نحل محل الحيوانات يا هكتور . لماذا تسأل السماء أن تحطم هذا البيت الذى يمكن أن يكون مريحا لو أن لدى هزيون أية فكرة عن كيف تكون الحياة ؟ ألا تعرف ما عيب هذا البيت ؟

هكتور : نحن عيبه اذ لا عقل لنا ، اتنا خطرون لا تقع فينا  
ويجب أن نباد ونمحي .

ليدى اتروود : هراء ! لقد أخبرني هيستنجز بعله هذا البيت في  
اليوم الأول الذى جاء فيه الى هنا منذ أربع  
وعشرين سنة تقريبا .

الغبطان شتور : عجبا ! هل قال هذا الغبي ان في منزلى عيبا ؟  
ليدى اتروود : قلت ان هيستنجز قال ذلك ، وليس في هيستنجز  
ذرة واحدة من الغباء .

الغبطان شتور : وما عيب بيتى ؟  
ليدى اتروود : عيبه هو عيب السفن يا أبى ، ألم يكن ذكاء من  
هيستنجز أنه لاحظ ذلك ؟

الغبطان شتور : ان الرجل لغبي ، فليس في السفن من عيب .  
ليدى اتروود : بل ان فيها عيبا .

مسز هشابى : ولكن ما هو ؟ لا تهولى الأمر يا آدى .  
ليدى اتروود : خمنى .

هكتور : شيطانان ، ابنتا ساحرة زنجبار ، الشيطانات .  
ليدى اتروود : مطلقا ، أوكد لك أن كل ما يحتاج اليه هذا  
المنزل ليكون منزلا معقولا صحيا بهيجا ، يحس

المقيم فيه بشهية طيبة وينام نوما عميقا .. هو الخيل .

سز هشابى : الخيل ! ما هذا الكلام الفارغ ؟  
ليدى اتروود : نعم ، الخيل . لماذا لم نستطع قط تأجير هذا المنزل ؟ لأنه لا يشتمل على اسطبل جيد . اذهبى الى أى مكان فى انجلترا حيث يعيش ناس طيبون حقا من الانجليز ، ناس طبييون أصحاء راضون ، فماذا تجدين دائما ؟ تجدين أن الحفاظ هو المركز الحقيقى للبيت ، واذا ما أراد زائر أن يعزف على البيانو فلا بد أن تقلب الحجرة رأسا على عقب حتى يمكن فتحه لكثرة ما تراكم عليه من الأشياء . انى لم أعرف طعم الحياة قط قبل أن أتعلم الركوب ، ولن أجيد الركوب حقا لأنى لم أبدأ تعلمه وأنا طفلة . فى انجلترا يتكون المجتمع الراقى من طبقتين فقط ، طبقة الفرسان وطبقة المرضى باختلال الأعصاب ، وليس هذا مجرد عرف ، فكل انسان يستطيع أن يلاحظ أن من يصيدون هم الذين على صواب ، أما الذين لا يصيدون فهم المخالفون .

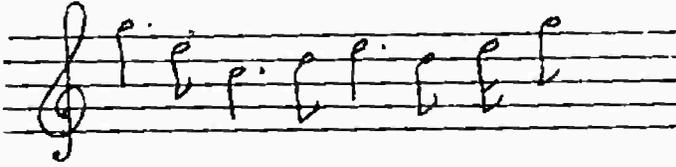
القبطان شتور : في هذا بعض الحق ، فقد جعلت سفيتتي منى رجلا ، والسفينة هي حسان البحر .

ليدى اتروود : هذا بالضبط هو ما علل به هيستنجز كونك سيدا مهذبا .

القبطان شتور : هذه حسنة من رجل غبي . أحضري الرجل معك في المرة القادمة ، يجب أن أحادثه .

بايى اتروود : لماذا كان راندل عبي هذه التفاهة ؟ لقد ربى تربية حسنة فذهب الى مدرسة خاصة ثم التحق بالجامعة وعمل بوزارة الخارجية ، وهو يعرف خيرة الناس ، وقد عاش طول حياته بينهم ، فما الذى يجعله غير مقبول هكذا ؟ ما الذى يجعله محقرا هكذا ؟ لماذا لا يستمر معه خادم أكثر من أشهر قليلة ؟ لا لسبب الا لأنه كسلان ميال الى الراحة بحيث لا يحب الصيد والقتنص ، انه يعزف على البيانو دون فن ، ويرسم ، ويجرى وراء المتزوجات ، ويقرأ الكتب الأدبية والشعر ، بل انه يعزف على الناي ، ولكنى لا أسمح له أبدا بأن يحضره الى منزلى ، لو أنه فقط ... ( تقاطعها أنغام ناي حزينة صادرة من نافذة

مفتوحة فوقهم ، فترفع نفسها وهى فى الأرجوحة  
وتقول فى غيظ ( راندل ، انك لم تنم ، اكن  
تسمع ما تقول ؟ ) فيجيبها الناي بوقاحة ) .



يا لها من سوقية ! اذهب الى فراشك ياراندل  
على الفور ، كيف تجرؤ ؟ ( تعلق النافذة بمنف  
فتعود ليدى أتروود الى الهدوء ) كيف يمكن أن  
يأبه أى انسان لمثل هذا المخلوق !؟

مسز هشاباى : أتظنين يا آدى أن ايلى ينبغى أن تتزوج ألفريد  
المسكين من أجل ماله فقط ؟

مانجان : ( فى انزعاج شديد ) ما هذا ؟ أتناقش شئونى  
الخاصة يا مسز هشاباى أمام كل انسان هكذا ؟

ليدى أتروود : لا أظن أن راندل يسمعنا الآن .

مانجان : كلكم تسمعون . هذا لا يجوز .

مسز هشاباى : ولكن ماذا يهتم ما دمننا فى الظلام ؟ ان ايلى  
لا تمنع ، أليس كذلك يا ايلى ؟

**ابلى** : لا مانع مطلقا ، ما رأيك يا ليدى أتروود ؟ فانك راجحة العقل .

**مانجان** : ولكن هذا لا يجوز ، انه .. ( تضع مسز هشاباي يدها على فمه ) أوه ، حسن جدا .

**ليدى أتروود** : كم تملك من المال يا مستر مانجان ؟

**مانجان** : حقا — كلا ، لا أستطيع احتمال هذا .

**ليدى أتروود** : هراء يا مستر مانجان ! فالأمر يتعلق بدخلك ، أليس كذلك ؟

**مانجان** : حسن ، ما دام الأمر كذلك ، فكم تملك هي من المال ؟

**ابلى** : لا شيء .

**ليدى أتروود** : لقد أجبناك يا مستر مانجان ، والآن وقد جعلت مس دن تكشف أوراقها ، فمن تستطيع أن ترفض كشف أوراقك .

**مسز هشاباي** : هيا يا ألف ! تكلم بصراحة ! كم ؟

**مانجان** : ( وقد ضايقه الأمر حتى تخلى عن كل احتراص )

حسن ، ما دمتم تريدون أن تعرفوا فآنا لا أملك مالا ، ولم أملك مالا قط .

**مسز هشاباي** : ألفريد ، لا تتخايب علينا بهذا الكلام .

**مانجان** : أنا لا أتحابث عليكم ، انما أخبركم بالحقيقة  
المصارية .

**ليدى أترود** : اذن بم تعيش يا مستر مانجان ؟

**مانجان** : بمصاريف التنقلات وعمولة ضئيلة .

**الميطان شتور** : وهل يملك أحدنا فى رحلة الحياة أكثر من  
مصاريف السفر ؟

**مزر منابى** : ولكتك تملك مصانع ورأس مال وغير ذلك .

**مانجان** : هذا ما يظنه الناس ، يظنون أنى امبراطور  
الصناعة ، وهذا هو السبب الذى تريد من ايلى  
أن أتزوجها من أجله ، ولكنى أقول لكم انى  
لا أملك شيئا .

**ايلى** : تعنى أن المصانع لا وجود لها مثل نمور  
ماركوس ؟

**مانجان** : انها موجودة ولا شك ولكنها ليست ملكى ، انها  
ملك أصحاب رءوس الأموال وحملة الأسهم  
وكل أصناف الرأسمالين الكسالى الذين  
لا يصلحون لشيء ، اننى أحصل على المال من  
مثل هؤلاء الناس لأقيم المصانع ، وأستخدم  
أناسا كوالد مس دن ليديروها ، ثم أحكم الرقابة

عليها لتربح ، فأعيش بالطبع عيشة مترفة ، ولكنها  
كميشة الكلاب ، اذ أنى لا أملك شيئا .

**مزرع شيبى :** ألفريد ، ألفريد ، انك تكذب فيما تقول لتجنب  
الزواج من ايلى .

**مانجان :** اننى أقول الحقيقة عن أموالى لأول مرة فى  
حياتى ، ولأول مرة يتقابل كلامى بالنك .

**ليدى أتروود :** يا مسكين ! لماذا لا تشتغل بالسياسة يا مستر  
مانجان ؟

**مانجان :** أشتغل بالسياسة ! أين كنت تعيشين ؟ اننى  
أشتغل بالسياسة .

**ليدى أتروود :** أرجو المذرة ، ولكنى لم أسمع بك .

**مانجان :** دعبنى أخبرك ياليدى أتروود أن رئيس وزراء  
هذه البلاد طلب منى أن أشترك فى الوزارة حتى  
بدون الدخول فى هذا الهراء الذى يسمونه  
انتخابات ، على أن أكون حاكما بأمرى فى وزارة  
كبيرة .

**ليدى أتروود :** باعتبارك من المحافظين أم من الأحرار ؟

**مانجان :** لا شيء من هذا الهراء . بل باعتبارى رجل أعمال

ذا خبرة عملية ( ينفجرون جميعا ضاحكين ) ماذا  
يضحككم جميعا ؟

مز شهابي : أود ، ألفريد ، ألفريد !

إيلي : أنت ! يا من تحتاج الى أبي ليقوم بكل أعمالك !

مز شهابي : أنت ! يا من تخاف عمالك !

هكتور : أنت ! يا من لمبت بك ثلاث نساء لعبة القط  
والفأر طوال المساء !

ليدى اتروود : لا بد أنك قدمت لخزانة الحزب مبلغا ضخما  
يا مستر مانجان .

مانجان : لم أذف مليما واحدا من جيبي ، لقد دبر اتحاد  
المتجعين المبالغ لأنهم يعلمون كم "كون مفيدا لهم  
وأنا في الوزارة .

ليدى اتروود : هذا أمر في غاية الامناع والفرابة يا مستر مانجان،  
وما هي أعمالك الحكومية العظيمة التي قمت بها  
حتى الآن ؟

مانجان : أعمالى العظيمة ؟ حسن ، أنا لا أدري ماذا تعنين  
بقولك أعمال عظيمة ، ولكنى وضمت حدا  
لألاعب الأشخاص الآخرين في الوزارات  
الأخرى ، فكل منهم كان يظن أنه سينتقد البلاد

وحده ، ويحرمنى من هذا الشرف ومن فرصة  
الحصول على لقب ، فحرصت على ألا يفعلوا  
ذلك هم أيضا ما داموا لا يريدون أن يسحوا  
لى بأن أفعله . لعلى لا أعرف شيئا عن المكنة  
التي أعمل عليها ، ولكنى أعرف كيف أدرس عودا  
من الحديد فى مكنة الشخص الآخر . وها هم  
الآن يبدون جميعا كأغبياء .

**هكتور** : وكيف تبدو أنت بحق السماء ؟

**مانجان** : أبدو كمن تغلب بهارته على الآخرين جميعا ،  
أليس كذلك ؟ فإذا لم يكن هذا اتصارا للخبرة  
العملية ، فماذا يكون ؟

**هكتور** : أهذه انجلترا أم مستشفى مجانيين ؟

**ليدى اتروود** : وهل تظن أنك ستنفذ البلاد يا مسر مانجان ؟

**مانجان** : حسنا ، من غيرى يستطيع ؟ هل يتقدها صديقك  
مستر راندل ؟

**ليدى اتروود** : راندل عديم النفع ! بالطبع لا .

**مانجان** : هل يستطيع انقاذها زوج أختك بشاربه وحديه  
المنمق ؟

هكتور : نعم ، لو سمحوا لى .  
مانجان : ( ساخرا ) آه ، وهل يسمحون لك ؟  
هكتور : كلا ، فهم يفضلونك .  
مانجان : حسن جدا اذن ، ما دمت فى عالم يقدرنى  
ولا يقدرك ، فخير لك أن تكون لطيفا معى ،  
أليس كذلك ؟ من يوجد اذن غيرى ؟

ليدى أتروود : يوجد هيستنجز ، فلتتخلصوا من ديموقراطيتكم  
المضحكة الكاذبة ، ولتعطوا هيستنجز السلطات  
اللازمة وكمية كافية من الخيزران ليرد الشعب  
البريطانى الى صوابه ، وسيتخذ البلاد بفاية  
السهولة .

الميطان نومر : اذن خير لها أن تضيع ، فأى مفضل يستطيع أن  
يحكم بعضا فى يده ، أنا نفسى أستطيع أن أحكم  
بهذه الطريقة ، ولكنها طريقة لا ترضى الله ، ان  
الرجل غيبى .

ليدى أتروود : الرجل ياء يكلم كلكم مجتمعين ، ما رأيك  
يا مس دن ؟

الى : أعتقد أن أبى يستطيع أن ينجح فى ذلك لو أن

الناس لا يخدعونه ويعشونه ويستخفون به من  
قرط طبيته .

**مانجان** : ( باحتقار ) انى لأتمثل ماتزىنى دن وهو عضو  
فى البرلمان أو وهو يشق طريقه الى الوزارة ،  
ولكننا والحمد لله لم نصل بعد الى هذا الحد .  
ما رأيك يا مسز هشاباى !

**مسز هشاباى** : أوه ، أنا أرى أنه لا يهم كثيرا من منكم يحكم  
البلاد ما دمنا نحن نحكمكم .

**هكتور** : نحن ؟ ماذا تعنين بكلمة نحن ، أرجوك ؟

**مسز هشاباى** : حفيدات الشيطان يا عزيزى ، الجيلات من  
النساء .

**هكتور** : ( يرفع يديه كما فعل قبلا ) اسقطى ، قلت لك ،  
وخلصينا من اغراء الشيطان !

**ابلى** : يبدو أنه لا يوجد شيء حقيقى فى هذه الدنيا  
ما عدا أبى وشكسبير ، نمور ماركوس زائفة ،  
ملايين مانجان زائفة ، ليس فى هزيون شىء قوى  
حقيقى الا شعرها الأسود الجليل ، ليدى أتروود  
أجمل من أن تكون حقيقية . لم يكن باقيا لى

الا درجة التركيز السابعة عند القبطان وقد ظهر  
أنها ليست الا نتيجة ..

القبطان شتولر : الروم .

ليدى اتروود : ( برزانه ) جانب كبير من شعري طبعي تماما ،  
وقد عرضت على دوقه ديدرينج خمسين جنيها  
مقابل هذه ( تلس جينها ) معتقدة أنها صناعية ،  
ولكنها طبيعية كلها الا اللون .

مانجان : ( في هياج ) انظروا ، سأخلع جميع ملابسى .  
( يبدأ في خلع سترته ) .

ليدى اتروود :  
القبطان شتولر :  
هكتور :  
ابلى :

مستر مانجان !  
ما هذا ؟  
ها ! ها ! اخلع ، اخلع !  
أرجوك ألا تفعل .

مسز هشابى : ( تمسك بذراعه وتمنعه ) ألقيد ، يا للعار !  
أأنت مجنون ؟

مانجان : العار ! أين هو العار في هذا المنزل ؟ فلتعز جميعا  
عريا كاملا اذ يجب أن تتم العمل الذى بدأناه ،  
لقد عرينا أنفسنا عريا معنويا ، حسنا ، فلنعر  
أنفسنا كذلك عريا ماديا ، ولتر كيف يروق لنا

ذلك . أقول لكم انى لا أتحمل هذا ، لقد نشأت على أن أكون محترما ، أنا لا يهمنى أن تصبغ النساء شعورهن أو يسكر الرجال ، فهذه هى طبيعة البشر ، ولكن ليس من طبيعة البشر أن فخر الناس جميعا بذلك . فى كل مرة يفتح أحدكم فمه فعمل هكذا ( ينحنى كأنما يتفادى قذيفة ) خوفا ما سيحدث بعد ذلك ، كيف نبقى على احترامنا لأنفسنا ان لم ندع أننا أفضل من حقيقتنا ؟

**ليدى اتروود :** انى أقدر شعورك يا مستر مانجان ، فقد مررت بهذه التجربة كاملة ، وانى لأعلم بخبرتى أن الرجال والنساء نباتات رقيقة يجب أن ترمى تحت الزجاج فى جو خاص ، ولكن سرتنا تمسود قذف الأحجار فى كل اتجاه لتترك الهواء يدخل ، وهذه العادة ليست فظة غير محتملة وحسب : بل انها خطيرة أيضا . ومع ذلك فلا فائدة من أن نصاب ببرد جسدى كما أصبنا ببرد معنوى ، لذلك أرجوك أن تظل بملابسك .

**مانجان :** سأفعل ما يروق لى لا ما تملينه على ، أطفل أنا

أم رجل مكتمل ؛ لن أتحمل استبداد الأمومة  
هذا ، وسأعود الى المدينة حيث يحترموننى  
ويحفظون بى .

مسر هشابى : وداعا يا آلف ، اذكرنا بين وقت وآخر وأنت فى  
المدينة . فكر فى شباب ايلى !

ايلى : فكر فى عيون هزيون وشعرها !

الميطان شتور : فكر فى الحديقة حيث لم تعد كلبا ينبج ليحجب  
الحقيقة !

هكتور : فكر فى جمال ليدى اتروود ! وعقلها ! وذوقها !

ليدى اتروود : متملق ، فكر يا مستر مانجان ان كنت تستطيع  
حقا أن تنفع نفسك فى أى مكان آخر ، فهذه  
هى النقطة الجوهرية ، أليس كذلك ؟

مانجان : ( فى اذعان ) سمعا وطاعة ، سمعا وطاعة ، لقد

هزمت فافعلوا ما شئتم ، وكل ما أطلبه أن  
تتركونى وشأنى ، فأنا لا أدرى وأتمت تهاجموننى  
هكذا ان كنت أقف على رأسى أو على رجلى ،  
سأبقى ، وسأتزوجها ، وسأفعل أى شىء فى سبيل  
حياة هادئة ، أرضيتم الآن ؟

ايلى : كلا ، فأنا فى الحقيقة لم أكن أنوى قط أن أجعلك

تزوجني يا مسر مانجان ، ولم تكن هذه الفكرة  
قط متأصلة في أعماق نفسي ، وكل ما كنت أرمي  
إليه هو أن أجرب قوتي لأعرف أنك لن تستطيع  
الفرار مني ان أردت أن آخذك .

**مانجان** : ( في غضب ) ماذا ! أتعنين أنك ستهجريني بعد  
أن تصرفت هذا التصرف الجميل ؟

**ليدي أترود** : لو كنت مكانك لما تسرعت هكذا يا مس دن .  
يمكنك أن تهجري مسر مانجان في أي وقت  
حتى اللحظة الأخيرة . ان قليلا جدا من الرجال  
الذين في مركزه يفلسون ، ويمكنك أن تعيش  
عيشة مترفة اعتمادا على شهرته بالثراء المريض .

**إيلي** : لن أستطيع يا ليدي أترود أن أرتكب جريمة  
تعدد الأزواج .  
( يصيحون في وقت واحد )

مسز هشاي : تعدد الأزواج ! عم تتحدثين بحق الله يا إيلي ؟  
ليدي أترود : تعدد الأزواج ! ماذا تعنين يا مس دن ؟  
مانجان : تعدد الأزواج ! أتعنين أنك متزوجة فعلا ؟  
هكتور : تعدد الأزواج ! أي لغز هذا !

**ايلي** : منذ نصف ساعة فقط أصبحت الزوجة البيضاء  
للقبطان شتوفر .

**سز مشابهى** : ايلي ! أى هراء ! أين ؟

**ايلي** : فى السماء ، حيث يتم كل زواج حقيقى .

**ليدى اتروود** : حقا يا مس دن ! حقا يا أبى !

**مانجان** : وكان يقول لى انى أنا كبير السن ، هذا المومياء !

**هكتور** : ( متمثلا بقول شيلى ) .

الأرض المشوشة الممتدة هيكلهم  
والرياح المهمة كاهنهم .

**ايلي** : نعم ، أنا ، ايلي دن ، أعطى قلبى المحطم وروحي

الصحيحة القوية لقبطانها الطبيعى زوجى الروحي

وأبى الثانى . ( تأخذ ذراع القبطان فى ذراعها

وتربت على يده بينما يظل القبطان مستغرقا فى

النوم ) .

**سز مشابهى** : أوه ، هذه براعة منك يا صغيرتى ، براعة عظيمة،

لن تستطيع يا ألفريد أن تعيش مع ايلي ، فعليك

أن تقنع بنصيب صغير منى .

**مانجان** : ( ينشق رغامه ويمسح عينيه ) هذه قسوة .

( تشتد به الماطنة فيخنتق صوته ) .

**يمنى أتروود:** لقد نجوت منها دون كارثة يا مستر مانجان :  
فمنذ عدت الى انجلترا لم أر شابة أشد غرورا  
من مس دن .

**مس شباهي :** أوه ، ان ايلي ليست مفرورة . أنت كذلك  
يا صغيرتي ؟

**ايلي :** انى أعرف الآن مدى قوتى يا هزيون .

**مانجان :** وقحة ، هكذا أصفك ، وقحة .

**مس شباهي :** صه ، صه يا ألفريد ، لا تكن فظا ، ألا تحس  
بجمال هذه الليلة ، ليلة العرس المعقود في  
السماء ؟ ألسنا سعيدين أنت وهكتور ؟ افتحا  
عيونكما : ان آدى وايلي جميلتان جمالا يسر  
أشد الرجال صعوبة في الارضاء ، اننا نعيش  
ونحب ولا نهتم بشئ آخر في الدنيا ، نحس  
النساء قد دبرنا هذا كله من أجلكما ، فلماذا بالله  
يبدو عليكما كأنكما تعيسان بائسان ؟

**الطبيب شوفر :** أقول لك انه لا خير في السعادة . يمكنك أن  
تكونى سعيدة وأنت نصف حية . اننى الآن  
وأنا نصف ميت أكثر سعادة مما كنت في شباهي ،  
ولكن سعادتى هذه ليس فيها بركة .

**أيلي :** ( يتلألاً وجهها ) الحياة المباركة ! هذا ما أريده ،  
الآن عرفت السبب الحقيقي الذى منعى من أن  
أتزوج مستر مانجان ، اذ لن يكون فى زواجنا  
بركة ، فى قلبى الكسير بركة ، وفى جمالك  
يا هزيون بركة ، وفى روح أيبك بركة ، حتى  
أكاذيب ماركوس فيها بركة ، أما مال مانجان  
فليس فيه شىء من البركة .

**مانجان :** انى لا أفهم كلمة واحدة مما تقولين .

**أيلي :** ولا أنا ، ولكنى واثقة أن له معنى .

**مانجان :** لا تدعى أنه كانت هناك أية صعوبة فى الحصول  
على البركة . لقد كنت على استعداد لأن أستدعى  
سقفا ليعقد زواجنا .

**مزر مشابى :** ليس غيبا يا صغيرتى ؟

**هكتور :** ( بشراسة ) لا تحقرا الرجل ، فكلنا أغبياء .

( يأتى ماتزىنى من المنزل من ناحية لىدى  
أترود وهو بالبيجاما وروب من الحرير  
زاعى الألوان )

**مزر مشابى :** أوه ! ما قد جاء الرجل الوحيد الذى قاوم

اغرائى ، ما الخبر يا متر دن ؟ هل اشتعلت  
النار فى المنزل ؟

**ماتزنى** : أوه ، كلا ، لم يحدث شىء ، ولكن من المستحيل  
حقا أن ينام الانسان بينما يدور تحت نافذته  
هذا الحديث الشائق فى مثل هذه الليلة الجميلة ،  
فلم يكن أمامى الا أن أنزل وأشارك معكم فى  
الحديث ، فيم كنتم تتحدثون ؟

**مزرهشابى** : أوه ، أشياء رائحة يا جندى الحرية .

**هكتور** : مثلا ، حاول ما نجان باعتباره رجلا عمليا من  
رجال الصناعة أن يخضع ملابسه كلها ولكنه  
فشل فى ذلك فشلا ذريعا ، بينما نجحت أنت  
نجاحا باهرا باعتبارك رجلا مثاليا .

**ماتزنى** : أرجو ألا يضايقك مظهرى هذا يا مزرهشابى  
( يجلس على كرسى الرحلات ) .

**مزرهشابى** : بالعكس ، انى لأتمنى أن أراك دائما هكذا .  
**ليدى اتروود** : لقد فُسخت خطبة ابتك يا متر دن ، اذ يبدو  
أن متر مانجان — الذى كنا كلنا نفلنه رجلا  
ثريا — لا يملك فى الحقيقة شيئا .

**ماتزنى** : حسنا ، لقد كنت أعلم ذلك بالطبع يا ليدى

أثروود ، ولكن اذا كان الناس يثقون فيه  
ويعطونه المال دائما ، بينما لا يثقون في  
ولا يعطوني شيئا من المال أبدا ، فكيف أطلب  
من ايلي المسكينة أن تعتمد على ما يمكن أن  
أعمله من أجلها ؟

**جانجان** : لا تسرعوا في تصديق فكرة أني لا أملك شيئا ،  
اني ...

**هكتور** : أوه ، لا تشرح شيئا ، فنحن فاهمون ، أنت تملك  
سندات على الحكومة تساوي ألفي جنيه ،  
وخمسين ألف سهم تساوي الدسنة منها عشرة  
بنسات ، كما تملك نصف دسنة من أقراص  
سيانيد البوتاسيوم لتقتل بها نفسك عندما  
يكتشف أمرك ، هذه هي حقيقة ملاينك .

**ماتريني** : أوه ، كلا ، كلا ، كلا ، انه شريف حقاً وكل  
أعماله سليمة وقانونية تماما .

**هكتور** : ( في استياء ) ياه ! ليس حتى نصابا كبيرا !

**ماتجان** : هذا ما تظنه ، ولكني مع ذلك كنت أقوى كثيرا  
من بعض الرجال الشرفاء .

**ليبي أثروود** : لا شيء ، يرضيك يا مستر مانجان ، فأنت تصر على

أناك لست غنيا ولا فقيرا ، ولست شريفا  
ولا غشاشا .

**مانجان** : ما قد عدتم ثانية ، فمنذ جئت الى هذا البيت  
المجنون وأنتم تحاولون اظهارى بمظهر الرجل  
الأحمق ، مع أنني لست فى هذا المنزل أقل منى  
فى المدينة .

**ايلي** : ( فى نعمة موسيقية ) نعم ، هذا البيت المجنون ،  
هذا البيت السعيد سعادة غريبة ، هذا البيت  
المعذب ، هذا البيت الذى لا أساس له ،  
أساسيه منزل القلوب المحطمة .

**سز هشابى** : كفى يا ايلي ، والافسأعوى كما تفعل الحيوانات .

**مانجان** : ( ينفجر فى بكاء خافت ) !!!

**سز هشابى** : أرايت ، لقد جعلت ألفريد يبكى .

**ايلي** : انى أفضله وهو يعوى .

**القبطان شتور** : صمتا ! ( يهدأ مانجان ) أقول دع القلب يتحطم  
فى صمت .

**هكتور** : أتقبل أن يطلق هذا الاسم على بيتك ؟

**القبطان شتور** : انه ليس بيتى ، ليس الا وجرى .

**هكتور** : لقد أقمنا هنا أطول مما ينبغى ، اننا لا نعيش فى

هذا المنزل وانما نسكنه كالأشباح .

**ليدى أتروود:** ( ممزقة القلب ) كم يفزعنى التفكير فى أنكم قضيتم هنا كل هذه السنين التى طفت فيها بالعالم ، لقد نجوت صغيرة ولكن ها قد اجتذبتى اليه ثانية ، انه يريد أن يحطم قلبى أنا أيضا ، ولكنه لن يستطيع ، فقد تركنكم وهجرته ، وكان غباء منى أننى عدت ، غير أن الحزين الى أبى والى هزيون والى المكان القديم تملكنى ؛ وأحسست كأنهم ينادونى .

**ماتزنى :** يا لبا من عاطفة انسانية طبيعية رقيقة ساحرة  
يا ليدى أتروود !

**ليدى أتروود:** هذا ما ظننته يا متر دن ، ولكنى الآن أعرف أنها آخر مراحل مرضى ، فقد اكتشفت أن أحدا لم يكن يذكرنى أو يريدنى .

**القبطان شتوفر:** لقد رحلت لأنك كنت لا تريدنا ، ألم يكن فى ذلك تحطيم لقلب أبيك ؟ لقد اتزعت نفسك من الجذور ، واندمل جرح الأرض وأخرجت نباتات أخرى جديدة ونسيتك ، فأبى حق تعودين لتجيبى الجراح القديمة ؟

مسز هشابى : لقد كنت غريبة علىّ تماما أول الأمر يا آدى ،  
ولكنى الآن أحس وكأنك لم تفارقينا لحظة .

ليدى أتروود : شكرا لك يا هزيون ، ولكنى شفيت من مرضى  
تماما ، قد يكون المكان منزلا للقلوب المحطمة  
بأنسبة اليك يامس دن او بالنسبة لهذا السيد  
القادم من المدينة والذي يبدو أنه لا يستطيع  
السيطرة على نفسه ، ولكنه بالنسبة لى ليس  
الا قبلا خالية من الترتيب والنظام وليس فيها  
حظيرة للخيل .

هكتور : ويسكنها .. ؟

ايلى : قبطان بحرى عجوز مجنون ومغنية شابة تبعده .  
مسز هشابى : وأثنى سلبطة اللسان تحاول أن تحفظ نفسها  
من السُمن والترهل ، وتتودد عبثا الى رجل  
ولد ليكون جنديا من جنود الحرية .

ماتزنى : ود ، حقا يا مسز هشابى ..

ماتجان : وعضو فى وزارة صاحب الجلالة يظنه الجميع  
أبله ، لا تنسه ياليدى أتروود .

ليدى أتروود : وسيد شديد الجاذبية عمه الرئيسى أنه زوج  
شقيقتى .

هكتور : وكلهم حمقى محضو القلوب .

ماترينى : أود ، كلا ، اسبحوا لى أن أقول انكم بالتأكيد

نموذج طيب لأحسن ما فى مدنيتنا الانجليزية ،  
فأنتم قوم ظرفاء جدا ، فى غاية التقدم ،  
والتسامح ، والصراحة ، والانسانية ، والطبيعية ،  
والديموقراطية ، وحرية الفكر ، وفيكم كل  
ما يرضى ذوى الفهم والثقافة .

مىز هشابى : لقد ماأتنا فخرا يا ماترينى .

ماترينى : لست متملقا - صدقونى - اذ أين يمكنى أن

أحس بالاطمئنان وأنا لابس بيجامتى ؟ أحيانا  
أحلم بأننى فى مجتمع راق وفجأة أجدنى لا ألبس  
الا بيجامتى ، وأحيانا أكون بدون البيجاما ،  
فأشعر دائما بالارتباك يفرقنى ، ولكنى هنا  
لا أهتم بذلك أقل اهتمام اذ يبدو الأمر طبيعيا  
تماما .

لىدى اتروود : هذه علامة أكيدة يا مستر دن على أنك الآن فى

مجتمع غير راق حقا ، فلو أنك كنت فى منزلى  
لشعرت بالارتباك .

**ماترني** : سأهتم دائما بأن أبتعد عن منزلك ياليدى  
أتروود .

**ليدى أتروود**: ستكون مخطئا في ذلك كل الخطأ يا مستردن ،  
فانى خليفة أن أجعلك تحس بالراحة التامة ،  
ولن تضيق أو تحترق فيما تلبس على العشاء :  
أتلبس سترتك الأرجوانية المذهبة أم تلبس  
الخضراء القرمزية . انكم تعقدون الحياة بدلا  
من تبسيطها بهذه المضحكات التى تفعلونها .

**ايلى** : ليس منزلك منزلا للقلوب المحطمة ، أم هو  
كذلك يا ليدى أتروود ؟

**مكتود** : ومع ذلك فهى تحطم القلوب مهما يكن فى منزلها  
من راحة ، فهذا الشيطان المسكين القابع بنايه  
فى الطابع العاوى يعوى كلما عصرت قلبه ، كما  
يعوى مانجان كلما عصرت زوجتى قلبه .

**ليدى أتروود**: ذلك لأن راندل لا عمل له الا أن يترك قلبه  
يتحطم ، فهذا نوع من التغيير بدلا من غسل  
شعره بالشامبو ، ولكن لن يوجد من يستطيع  
كسر قلب هيبستنجز !

**القبطان شتور** : القبى ينتصر على الرغم من كل شيء .

**ليدى اتروود:** سأعود الى زوجى العبى راضية كل الرضا عندما  
أضيق بكم جميعا مع ما أتم عليه من ذكاء .

**مانجان :** ( محتدا ) لم أرعم قط أننى ذكى .

**ليدى اتروود:** لقد نسيك يا مستر مانجان .

**مانجان :** حسنا ، اننى لا أفهم هذا أيضا .

**ليدى اتروود:** لعلك غير ذكى يا مستر مانجان ، ولكنك ناجح .

**مانجان :** ولكنى لا أريد أن ينظر الى على أنى رجل ناجح  
فقط ، فلى خيال كغيرى ، وانى لأحس احساسا  
داخليا ..

**مزر مشابى :** أوه ، انك لا تحتمل يا ألفريد ، فهأندى مشغولة  
بك وحدك ، وأنت لا تفكر الا فى احساساتك  
المضحكة ، أنت تضايقنى . تعال وأنشدنى  
شعرا فى ضوء النجوم . ( تجذبه خارجا الى  
الظلام ) .

**مانجان :** ( أثناء خروجه وقد امتلات عيناه بالدموع )  
نعم ، لا بأس من أن تسخرى منى ، ولكن  
لو أنك فقط عرفت ..

**هكتور :** ( نافذ الصبر ) كيف ينتهى هذا كله ؟

**ماترني** : لن ينتهي يا مستر هشاباي ، فالحياة لا تنتهي ، ولكنها تستمر .

**ايلي** : أوه ، لا يمكن أن تستمر هكذا الى الأبد . اني دائما أنتظر أمرا ما ، لا أدري ما هو ، ولكن يجب أن تنتهي الحياة الى نقطة ما ، في يوم ما .  
**ليدي انروود** : النقطة لشابة صغيرة في مثل سنك أن يكون ليا لطفل .

**هكتور** : نعم ، ولكني — يا للجنة ! — أحس نفس احساسها ولست بقادر أن يكون لي طفل .  
**ليدي انروود** : بطريق غير مباشر يا هكتور .

**هكتور** : ولكني أب لأطفال ، ذلك أمر انتهى بالنسبة لي ، ومع ذلك أحس أنا أيضا أن الأمر لا يمكن أن يستمر ، فنحن نجلس هنا لتبادل الحديث تاركين كل شيء لمانجان والمصادفات والشيطان ، فكروا في قوى التدمير التي يحسن استعمالها مانجان وعصابته التي تتبادل الاعجاب ! انه جنون ، كأنما أعطينا طوريدا لطفل سيء التربية كي يلعب به محدثا الزلازل .

**ماترني** : أعلم ذلك ، فظالما فكرت فيه وأنا شاب .

مكتوب : فكرت ! ما فائدة التفكير فيه ؟ لماذا لم تقم بعمل  
ايجابى ؟

مانزنى : ولكنى فعلت ، فقد انضممت الى الجمعيات  
وألقيت الخطب ، وألفت الرسائل ، وكان هذا  
كل ما أستطيع عمله . ولكنك تعلم أن معظم  
الذين ينضمون الى الجمعيات يحسبون أنهم  
أكثر معرفة من مانجان ، ولكنهم ما كانوا  
لينضموا اليها لو أنهم يعلمون ما يعلمه ،  
والسبب الحقيقى أنه لم يكن لديهم قط مال  
يستثمرونه ولا رجال يشرفون عليهم . وكل سنة  
كنت أتوقع ثورة أو دمارا رهيبا ، فقد كان  
يبدو مستحيلا أن نظل فى خطئنا وتخبطنا أكثر  
من ذلك ، ولكن لم يكن يحدث شىء بالطبع  
الا استمرار الفقر والجرائم والسكر التى  
اعتدناها ، لا شىء يحدث مطلقا ، وانه لأمر  
عجيب كيف نظل سائرين على الرغم من كل  
الظروف .

لهدى اتروود : لعل شخصا ما أذكى منك ومن مانجان كان يعمل  
طول الوقت .

**ماترني** : ربما ، فمع أنني نشئت على ألا أومن بشيء ،  
فكثيرا ما أحس أن هناك — رغم كل شيء —  
الكثير الذي يمكن أن يقال عن نظرية العناية  
الالهية المهيمنة علينا .

**ليدى أتروود** : العناية الالهية ! انما عانيت هيستنجز .

**ماترني** : أوه ، معذرة يا ليدى أتروود .

**القبطان شتور** : كل ربان سكير يكل أمره الى العناية الالهية ،  
ولكن من الطرق التي تتبعها العناية الالهية مع  
السكيرين أنها تحطم سفنهم على الصخور .

**ماترني** : لا شك في صدق ذلك في البحر ، ولكني أؤكد  
لك أنهم لا يحدث لهم شيء في السياسة إذ  
لا يصطدمون الا بالأسماك الهلامية .

**القبطان شتور** : في البحر لا يحدث شيء للبحر ولا يحدث شيء  
للسماء ، فالشمس تشرق من المشرق وتغرب في  
المغرب ، والقمر ينمو من هلال كالمنجل الى أن  
يصبح كالقوس الكهربائي ، ويتأخر ظهوره ليلة  
بعد أخرى حتى يختفي في الضوء كما تختفي  
الأشياء الأخرى في الظلام . وبعد العاصفة تلمع  
الأسماك الطائرة في ضوء الشمس كأنها الطيور ،

وعجيب أمر هذه الأشياء ، تمضى في طريقها رغم  
كل شيء . لا شيء يحدث الا شيء لا يستحق  
الذكر .

**ايلى** : وما ذك يا قبطان ، يا قبطانى ؟

**القبطان شوهر** : ( فى وحشية ) لا شيء الا تحطم سفينة الربان  
السكير على الصخور وتناثر ألواحها العفنة ،  
وتمزق صفائحها الصدئة ، وغرق بحارتها كأنهم  
فئران فى مصيدة .

**ايلى** : اليك حكمة لا تشرب الروم .

**القبطان شوهر** : ( فى عنف ) هذا كذب يا بنيتى ، فلو شرب الرجل  
عشرة براميل من الروم فى اليوم لما قيل عنه ربان  
سكير حتى يكون ربانا متواكلا ، فما دام  
يستطيع أن يرسم طريقه ويقف فى مقر قيادته  
ليقود سفينته فلن يكون سكيلا أبدا ، أما الذى  
أسميه الربان السكير فهو ذلك الذى يرقد على  
السرير فى قمرته ويعتمد على العناية الالهية  
ولو لم يشرب الا من مياه نهر الأردن .

**ايلى** : رائع امع أنك منذ ساعة لم تشرب قطرة واحدة،  
أرأيت أنك لست فى حاجة اليه ، ان روحك لم  
تمت .

القبطان شتور: انها أصداء ، ولا شيء غير أصداء ، قد أطلقت  
آخر طلاقة منذ سنوات بعيدة .

هكتور : وهذه السفينة التي تضمنا جميعا ؟ هذا السجن  
الروحي الذي نسميه انجلترا ؟

القبطان شتور: قبطانها في سريره يشرب ماء القنوات المعبأ في  
زجاجات ، وبحارها يتامرون في مقدمة السفينة ،  
وستصطدم وتغرق وتتحطم ، أتظن أن القانون  
الالهي سيعطل من أجل انجلترا لأنكم ولدتم  
فيها ؟

هكتور : حسن ، اني لا أنوي أن أغرق كنأر في مصيدة ،  
ما زالت لدى ارادة الحياة ، فماذا يجب على  
أن أفعل ؟

القبطان شتور: ماذا تفعل ؟ ليس أسهل من ذلك ، تعلم كيف  
تؤدي عملك بوصفك انجليزيا .

هكتور : أرجوك أن تخبرني ما هو عملي بوصفي انجليزيا.  
القبطان شتور: الملاحه ، تعلمها وعش ، أو اهجرها لتحق عليك  
اللعة .

ايلى : اهدأ ، اهدأ ، انك تنهك نفسك .

ميانزى : لقد فكرت فى ذلك كله مرة يا قبطان ، ولكنى

أؤكد لك أن شيئاً لن يحدث .

( يسمع انفجار مكنوم عن بعد )

هكتور : ( ينتفض ) ما هذا ؟

القبطان شتور : شيء يحدث ( ينفخ فى صفارته ) الأمواج العالية

أمامنا !

( يطفئ النور )

هكتور : ( تأثراً ) من أظناً ذلك النور ؟ من جرؤ على

إطفاء النور ؟

المرية جينى : ( تقبل عدوا من المنزل الى وسط الساحة ) أنا

يا سيدى ، فقد اتصلت بنا الشرطة تليفونيا

وبلغنا بأننا سنقدم الى المحاكمة ان لم نطفىء

ذنب النور ، فانه يثرى على بعد ميا .

هكتور : سأجعله يثرى على بعد مائة ميل ( يندفع الى

داخل المنزل ) .

المرية جينى : يقولون ان الأبرشية لم تعد الا كومة من

الحجارة ، وما لم تقدم للقسيس سريراً فلن يجد

مكاناً ينام فيه الليلة .

القبطان شتور : الكنيسة على الصخور تتحطم ، لقد أخبرته أنها

ستحطم ان لم تولّ وجهها نحو بحر الشمال  
الفيح .

الربة جينيس : وعليكم جميعا أن تنزلوا الى الأقبية .

الغبان شتوفر : اذهبي أنت ، أنت وجميع البحارة ، وسدوا  
جميع الأبواب .

الربة جينيس : وأختبيء مع ذلك الجبان الذي تزوجته !  
سأصعد أولا الى السطح ( يضاء المصباح ثانية )  
انظروا ، لقد أضاء مستر هشاباي النور مرة  
ثانية .

اللس : ( يدخل مسرعا ويتضرع الى المربية جينيس )

اسمعي ، أين الطريق الى الحفرة الرملية ؟ لقد  
أخبرني الخادم الصغير أن في الحفرة الرملية  
كهفا ، هذه الأقبية لا نفع فيها . أين الحفرة  
الرملية يا قبطان ؟

الربة جينيس : سر أمامك عبر سارية العلم حتى تسقط فيها  
ويدق عنقك القدر .

( تدفعه بازدراء نحو سارية العلم وتذهب  
هي الى طرف الأرحوحة حيث تظل واقفة  
كأنما تقف بجوار مهد أريادن )  
( يسمع انبجار آخر أعلى صوتا فيقف اللص  
مرتجنا )

- ايلى** : ( تنهض ) كان هذا اقرب .
- القبطان شتور** : سيميينا الانفجار القادم ( ينهض ) قنوا صفا  
ايما الرجال ، فهذا يوم الحساب .
- اللىص** : اود ، يا اله السماوات ! ( يندفع فى جنون الى  
الظلمة عبر سارية العلم )
- مسز هشاباى** : ( تخرج من الظلام وهى تلهث ) من كان هذا  
الذى جرى مبتعدا ؟ ( تتجه الى ايلى ) اُسمعت  
الانفجارات ؟ والصوت المدوى فى السماء ؟ انه  
رائع ، كأنه أوركسترا ، انه يشبه لحنا لبيتهوفن .
- ايلى** : انه والله لحن لبيتهوفن يا هزيون .  
( تحتضن كل منهما الاخرى فى انفعال  
شديد ، يزداد الضوء )
- هاتزينى** : ( بتلق ) ان النور يزداد سطوعا .
- الرية جينسى** : ( ترفع بصرها نحو المنزل ) هذا مستر هشاباى  
يضىء كل أنوار البيت ويمزق الستائر .
- واتدل** : ( يندفع داخلا وهو بالبيجاما محركا نايه فى  
ذهول ) اريادن ، يا عزيزتى ، يا روحى ، انزلى  
الى الاقيية ، أرجوك وأتوسل اليك أن تنزلى  
الى الاقيية

ليدى اتروود: ( مطمئنة تماما فى الأرجوحة ) زوجة الحاكم فى

الأقبية مع الخدم ! حقا يا راندل !

راندل : ولكن ماذا أفعل ان قتلت ؟

ليدى اتروود: لعلك تقتل أنت أيضا يا راندل ، والآن أعزف

على نايك لتثبت أنك لست خائفا ، كن لطيفا

واعزف لنا لحن « أبقى نيران البيت مشتعلة » .

الرببة جينيس : ( فى تجهم ) سيقون نيران البيت مشتعلة من

أجلنا ، هؤلاء الذين هم فوق .

راندل : ( يحاول العزف ) شفتاى ترتجفان ولا أستطيع

إخراج أى صوت .

ماتزىنى : أرجو أن يكون مانجان المسكين فى أمان .

مسز هشاباى : انه مختبىء فى الكهف فى الحفرة الرملية .

القبطان شتوفر : لقد اجتذبتة مفرقاتى الى هناك ، انها يد الله .

هكتور : ( يعود الى المنزل ويتجه فى خطى واسعة الى

حيث كان يجلس ) لا يكفى ضعف هذا النور ،

كان يجب أن تتوهج أنوارنا حتى تصل الى عنان

السماء .

ابلى : ( فى انفعال شديد ) أشعل النار فى البيت

يا ماركوس

- مزر هشاباي : يتى ا كلا .
- هكتور : لقد فكرت في ذلك ، ولكنها لن تشتعل في الوقت المناسب .
- الفيضان شتوفر : جاء يوم الحساب ولن تنجيكم شجاعتكم ، ولكنها ستظهر لنا أن أرواحكم ما زالت حية .
- مزر هشاباي : ش ش ! اسمعوا ، أسمعونها الآن ؟ انها رائعة ( يتحولون جميعا عن المنزل وينظرون الى اعلى وهم يتسمعون )
- هكتور : ( بوقار ) لا فائدة من وجودك هنا يا مس دن ، نحن سكان هذا المنزل لسنا الا فراشات تحوم حول لهب الشمعة ، خير لك أن تهبط الى القبو .
- ايلي : ( باحتقار ) لا أظن .
- ماتريزي : لا عار في الذهاب الى القبو يا عزيزتي ايلي ، فقد يأمر الضابط جنوده بالاخلاء . ان مستر هشاباي يتصرف كالهواة ، أما مانجان واللص فقد تصرفا بحكمة ، وهما اللذان سينجوان .
- ايلي : فلينجوا . ولكنى سأتصرف كهواية ، أما أنت فساذا تعرض نفسك للخطر ؟
- ماتريزي : فكرى في المخاطر التى يتعرض لها هؤلاء المساكين الذين هم فوق .

الريية جينيس : نفكر فيهم حقا ، هؤلاء الأوغاد القتلة ! وماذا بعد ؟

( انفجار مرووح يهز الأرض فيقعون على مقاعدهم أو يتسبثون بأقرب شيء اليهم ، يسمعون سقوط الزجاج المحطم من نوافذ المنزل . )

مانزنى : هل أصيب أحد ؟

هكتور : أين سقطت ؟

الريية جينيس : ( في اتصار بشع ) أصابت الحفرة الرملية اصابة مباشرة ، لقد رأيتها ، وقد نال ما يستحقه ، لقد رأيتها . ( تجرى مسرعة الى الحفرة الرملية وهى تضحك في خشونة ) .

هكتور : مات أحد الأزواج .

الميطان شتور : وضاع ثلاثون رطلا من أجود المنفجرات .

مانزنى : أوه ، مسكين مانجان !

هكتور : أنت خالد لتأسى عليه ؟ ان دورنا قادم .

( ينتظرون في صمت وقتق وتوقع ، وقد شدت كل من هزيون وايلي على يد الاخرى )  
( يسمع انفجار بعيد . )

مزر هشباى : ( تخفف من قبضتها ) أوه ! لقد ابتعدوا عنا .

ليدى انروود : انتهى الخطر يا راندل فاذهب الى فراشك .

القبطان شتوفر : عودوا جميعا أيها الرجال ، فقد نجت السفينة .  
( يجلس ويروح فى النوم . )

إلى : ( فى خيبة أمل ) نجت !

هكتور : ( فى اشمزاز ) نعم نجت ، وكم يبدو العالم  
— فجأة — سخيفا ومملا من جديد ! ( يجلس ) .

ماتزنى : ( يجلس ) لقد كنت مخطئا تماما على الرغم من  
كل شئ ، فانا نحن الذين نجونا ، ومانجان  
واللص ..

هكتور : — اللسان —

ليدى اتروود : — رجال الأعمال العمليان —

ماتزنى : ماتا كلاهما ، ولا بد للقسيس المسكين من بيت  
جديد .

مسز هشابى : ولكن يا لها من تجربة رائعة ! ليتهم يعودون فى  
الليلة القادمة

إلى : ( تهش للفكرة ) أوه ، ليتهم يفعلون .

( ينجح راندل أخيرا فى أن يبقى نيران البيت  
مشتعلة على نايه . )